وَظِيفَةُ كَاشِفِ الْقَبْضِ بمَنفَلُوط زمَن الْمَمَالِيك
(٦٤٨ـ ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠ـ ١٥١٧م)

إعـــــدَاد

د/ مُحَمَّد أَحْمَد مُحَمَّد أَحْمَد الْكَرْدُوسِي

أُسْتَاذ التَّارِيخ الْإِسْلَامِيّ المُسَاعِد

كُلِيّة الآدَاب ـ جَامِعة أَسْيُوط

Email: ma_alkardousi@aun.edu.eg

DOI: 10.21608/aakj.2025.390801.2089

تاريخ الاستلام : ٣١/ ٥/ ٢٠٢٥م

تاريخ القبول : ٢/ ٧/ ٢٠٢٥م

مُلَخص:

يَتَنَاوَلُ هَذَا البَحثُ وَظِيفَةً اسْتِثْنَائِيَّةً مِن الْوَظَائِف الإِدَارِيَّة العَسْكَرِيَّة زَمَن الْمَمَالِيك (٦٤٨– ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠– ١٥١٧م)، هِيَ وَظِيفَة "كَاشِف الْقَبْضِ" الَّتِي اخْتصَّتْ بِها مَنْفَلُوط التَّابِعَة حَالِيًّا لمُحَافَظة أَسْيُوط. ويُعَالِجُ البَحثُ مَوْضُوعَ هَذِهِ الوَظِيفَة تَارِيخيًّا؛ لاسْتِكنَاه طَبِيعتها، واسْتِجلَاء التَّفَاصِيل المَعلُوماتيَّة ذَات الصِّلَة بِها، مُحَاوِلًا رَسْم صُورَة وَاضِحة لِمَا كَانَتْ عَلَيهِ فِي عَصْرِها. وقَدِ اشْتَمَلَتْ مَحَاوِرُ البَحثُ الرَّئِيسة وفْقًا لخُطَّتِه عَلَى: تَعْرِيف كَاشِف الْقَبْضِ لُغَةً واصْطِلاحًا، وأَسْبَاب اِخْتِصَاص مَنْفَلُوط بوَظِيفَته، وطَرِيقة تَعْيينه ورُتْبَته، والْخَلْع عَلَيهِ قَبْلَ سَفَره، ومَهامّه المَنُوط بِهِ تَنْفِيذها، وإِقَامَته بمَنْفَلُوط ومُدَّتها، ثُمَّ عَوْدَته إِلَى الْقَاهِرَة بَعْد انْجَاز مَهامّه، والْخَلْع عَلَيهِ عِنْدَ وُصُوله، ومَصِيره الوَظِيفيّ بَعْدَ ذَلِكَ.

الكَلِمَات المُفْتاحِيَّة: كَاشِف الْقَبْض، الكَاشِف، مَنْفَلُوط، الْمَمَالِيك

Abstract:

The position of Kashif al-Qabd in Manfalut during the Mamluk era (648–923 AH/1250–1517 AD)

This research deals with an exceptional administrative military position during the Mamluk era (648-923 AH/1250-1517 AD), namely the position of Kashif al-Qabd “inspector of the sultan’s grain collection” which was unique to Manfalut, now part of Asyut Governorate. The research examines this position historically to discern its nature and explore the informational details related to it, in an attempt to draw a clear picture of what it was like in its era. According to the research plan its main themes included the definition of the "Kashif al-Qabd" linguistically and terminologically, Manfalut's specialization in this position and the reasons for it, as well as the method of assigning its holder and his rank, bestowing a robe of honor upon him before traveling, the duties he was assigned to carry out, his stay in Manfalut and its duration, his return to Cairo after completing his duties, bestowing a robe of honor upon arrival, and his career fate thereafter.

Keywords: Kashif al-Qabdh, al-Kashif, Manfalut, Mamluks

تَوْطِئة:

صَادَفتنا فِي مَصادِرِ عَصْر سَلاطِين الْمَمَالِيك إِشَارَات عَارِضة إِلَى وَظِيفَةٍ فِي جِهَاز دَوْلَتِهم الإِدَارِي أُطْلِق عَلَى مُتَوَلّيها اسْمُ "كَاشِفِ الْقَبْضِ"، فسَعَيْنا للتَّنقِيب عَنْها فِي الْمَوْرُوث التَّارِيخي؛ لمَعْرِفَة طَبِيعتها، واسْتِجلَاء تَفاصِيلها. وبَعْد تَتَبُّع مَظَانّهَا لَاحَ لَنَا أنَّها وَظِيفَة مُسْتَحدَثة عَصْرئذٍ، اخْتصَّت بِها مَنْفَلُوط أَوِ الأَعْمَال المَنْفَلُوطيَّة الوَاقِعة عَلَى الشَّاطِئ الْغَرْبِيّ لنَهْرِ النِّيْل بصَعِيد مِصْرَ الأَوْسَط، وهِيَ حَاليًّا مَدِينَة ومَرْكَز بمُحَافَظة أَسْيُوط، واسْمُها مَأخُوذ مِن اسْمِها الْقِبْطِيّ Manpalout (مَنبالُوت) وقِيلَ: إنَّ مَعْنَاها مَحَطُّ الفِرَاء، أَي الحُمُر الوَحْشِيَّة، حَيْثُ كَانَتْ تُقْتَنى بِها قَدِيمًا؛ فعُرِفَتْ بذَلِكَ[١].

ولما تَثَبَّتنا، بَعْدَ قِراءاتٍ حَثِيثةٍ فِي المَصَادِر والمَراجِع، مِن اِخْتِصَاص مَنْفَلُوط بتِلْكَ الوَظِيفَة عَصْرئذٍ زَادَتْ رَغْبتُنا البَحْثيَّة فِي الكَشْف عَنْها، وعَنْ تَفاصِيلها، وَجَاءَ ذَلِكَ مُعَزَّزًا بنُضُوبِ الدِّرَاسَات والبُحُوث بشَأْنهَا؛ حَتَّى إنَّ مِن البَاحِثين مَن تَنَاوَل الكُشَّاف والكُشُوفِيَّة –بصِفَةٍ عَامَّة– فِي عَصْر سَلاطِين الْمَمَالِيك، فِي بَحْثٍ بِعنْوَان: "الكُشُوفِيَّة فِي مِصْر عَصْر سَلاطِين الْمَمَالِيك وأثرها الاقْتصَاديّ"[٢]. لَكِن هَذَا البَحْث –عَلَى مَا بِهِ مِن جَهْدٍ مَبْذُولٍ يُشْكَرُ عَلَيهِ بَاحِثُه– لَمْ يُشرْ فِيهِ إِلَى وَظِيفَة كَاشِفِ الْقَبْضِ.

وثمَّة دِراسَة وَحِيدة –فيمَا اطَّلَعْنَا عَلَيهِ– تَنَبَّهَ مُؤَلِّفُها إِلَى وُجُودِ وَظِيفَة كَاشِفِ الْقَبْضِ فِي مَنْفَلُوط فِي العَصْر الْمَمْلُوكِيّ، وهِيَ رِسَالَة مَاجِستير أَعدَّها حَمْزة عَبْد العَزِيز بَدْر، بعنْوَان: "الآثَار الإِسْلاميَّة بمَنْفَلُوط مِن الفَتْح العَرَبيّ حَتَّى العَصْر العُثْمَانيّ"[٣]، وهِيَ مِن الرَّسائِل العِلْميَّة ذَوَاتِ الْقِيمَة الآثاريَّة والتَّارِيخيَّة فِي مَضمُونِها. وقَدْ أَوْرَدَ مُؤَلِّفُها الوَظِيفَة المَذْكُورة ضِمْن الْوَظَائِف الإِدَارِيَّة بمَنْفَلُوط فِي العَصْر الْمَمْلُوكِيّ، لَكِن مَا خَطَّهُ بخُصُوصِها لا يَتَجاوَز عَشرَةَ أَسْطُرٍ، بَعْضهم بحَاجَةٍ إِلَى تَدقِيقٍ وإِعَادَة نَظَرٍ[٤].

وتَأْسِيسًا عَلَى هَذَا، وعَلَى شُعُورنا بأَهميَّة دِرَاسة وَظِيفَة "كَاشِفِ الْقَبْضِ" ومُعَالَجة مَوْضُوعها تَارِيخيًّا وحَضَارِيًّا؛ لإِبْرَاز الجَوانِب المُتَعلّقة بَها، ورَسْم صُورَة وَاضِحة لِمَا

كَانَتْ عَلَيهِ فِي عَصْرِها؛ تَنَامَتْ لَدَيْنا دَافِعيَّة لكِتَابة الطَّرْح الَّذِي بَيْن أَيْدِينا، بعنْوَان: "وَظِيفَة كَاشِفِ الْقَبْضِ بمَنْفَلُوط زَمَن الْمَمَالِيك" (٦٤٨– ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠– ١٥١٧م)، وَهُوَ –حَسبَ ظَنِّي– مِن المَوْضُوعات الجَدِيرة بالعِنَاية البَحْثيَّة فِي حَقْل الدِّراسَات التَّارِيخيَّة. أَمَّا عَنْ مَحَاوِره، فقَد اشْتَمَلَتْ، وفْقًا لخُطَّتِه، عَلَى: تَعْرِيف كَاشِف الْقَبْضِ لُغَةً واصْطِلاحًا، وأَسْبَاب اِخْتِصَاص مَنْفَلُوط بوَظِيفَته، وطَرِيقة تَعْيينه ورُتْبَته، والْخَلْع عَلَيهِ قَبْلَ سَفَره، ومَهامّه المَنُوط بِهِ تَنْفِيذها، وإِقَامَته بمَنْفَلُوط ومُدَّتها، ثُمَّ عَوْدَته إِلَى الْقَاهِرَة بَعْد انْجَاز مَهامّه، والْخَلْع عَلَيهِ، ومَصِيره الوَظِيفيّ بَعْدَ ذَلِكَ.

والله من وراء القصد،

أَوَّلًا: تَعْرِيفُ كَاشِف الْقَبْضِ لُغَةً واصْطِلاحًا

"كَاشِفُ الْقَبْضِ" اسْمُ وَظِيفَةٍ مُرَكَّبٌ مِن كَلِمَتيْن؛ الْأُولَى كَلِمَة "كَاشِف" وهِيَ اسْم فَاعِلٍ مِن كشَفَ يَكْشِف، كَشْفًا. والكَشْفُ فِي اللُّغَةِ: رَفْعُ شَيءٍ عَمَّا يُواريهِ ويُغَطّيه[٥]، فيُقَال كشَفَ الشّيءَ أَوْ كشَفَ عَنْهُ أَي أَظْهَرَه وبيَّنَه[٦]. وللكَشْفِ مَعَانٍ عَدِيدَة، ذَكَرَها ريْنهَارت دُوزِي[٧] تَحْت مَادَة (ك ش ف)، مِنْها مَثَلًا: الإحْصَاء، والعَدّ، والتَّحَقُّق، والمُراجَعة، والفَحْص، والاِسْتَقصاء، والجَرْد، واِسْتِخْلاص الرَّصِيد، واسْتِخْرَاج الحِسَاب، وإِعَادة النَّظَر مَرَّةً أُخْرَى، والتَّفْتِيش، والمُراقَبَة، والتَّحَرّي، والاِسْتِعْلام عَنْ شَخْصٍ أَوْ عَنْ شَيءٍ وجَمْع مَعلُومات عَنْه.

وقَدْ اسْتُعْمِلَتْ كَلِمَةُ "كَاشِفٍ" فِي مَعْنَاها الاصْطِلاحي – فِي نُظُم الحُكْم والإِدَارَة الإِسْلاميَّة– بمَعْنَى رَئيس يَخْتَصّ بالكَشْفِ عَمَّا يَقَع تَحْتَ إِمْرَتِهِ مِن أُمُور[٨]. ولَيسَ لَدَيْنا فِي وَاقِع الأَمْر إِحَاطَة مَعلُوماتيَّة ببِدَاية اسْتِعْمَالِها بهَذَا الْمَعْنَى الاصْطِلاحي، لَكِن المُتعارَف عَلَيهِ أَنَّ "الكَاشِف" كاِسْم وَظِيفَة يَنْطَوِي عَلَى لَقَبٍ ترسَّخَ اسْتِعْمَالُه وظَهَرَ بمَعْنَى وَاضِح فِي عَصْر سَلاطِين الْمَمَالِيك، حَتَّى صَارَ مِن إِفْرَازَات نُظُمِهم الإِدَارِيَّة، ومِن هُنَا رَأينَاهُ –هَوَ أَوِ الكُشُوفِيَّة"[٩]– مِن الأَلْفَاظ الاصْطِلاحيَّة المُتَدَاوَلَة بِكَثْرَةٍ فِي مَصادِر عَصْرهم.

والمُتتبِّعُ لوَظِيفَةِ الكَشْفِ فِي تِلْكَ المَصَادِر يَجِدُهَا تُشِيرُ فِي الْعُمُومِ إِلَى مَنْصِبٍ إِداريّ عَسْكَريّ يَأْتِي ضِمْن الْوَظَائِف الَّتِي كَانَ يَشْغَلها أَرْبَابُ السُّيُوفِ، لَكِن دلَالَته الوَظِيفِيَّة تَخْتَلِف أَوْ تَتَشَعَّب باخْتِلَافِ مَا يُعوَّل عَلَيهِ مِن مَهامّ واخْتِصَاص؛ فهُنَاكَ "كَاشِفُ الإِقْلِيم"، و"كَاشِفُ الْجُسُور"، و"كَاشِف الطَّيْر"، و"كَاشِف الْقَبْضِ"، ولكُلّ مِنْهم دلَالَة وَظِيفِيَّة خَاصَّة؛ نَلْمَحُهَا فِي مُسَمَّياتِهم، وتُوضِّحُهَا اِخْتِصَاصاتُهم.

فبِالنِّسْبَة للأَوَّل وَهُوَ "كَاشِف الإِقْلِيم" يُرَادُ بِهِ حَاكِم الإِقْلِيم أَوْ وَالِيه[١٠]، وَهُوَ مِن أَكْثَر وأَشْهَر –ورُبَّمَا أَقْدم– مَا كَانَ يُعَبّرُ عَنْهُ الْمَعْنَى الوَظِيفيّ للكَاشِف فِي عَصْر الْمَمَالِيك، حَتَّى إِنَّ أَحَد البَاحِثين[١١] يَقُول: إِنَّ وَظِيفَة "الكَاشِف" ظَهَرت بمَعْنَى "الوَالِي"

بشَكْل وَاضِح مُحدَّد فِي دَوْلَة الْمَمَالِيك، وكَانَ يَشْغَلُها أَحَدُ العَسْكريّين، وكَانَتِ اللَفْظة تعْنِي وَالِي إِقْلِيم مِن مَرْتَبَةٍ مُعيَّنةٍ، ومهمَّته تَوَلِّي أُمُور الإِقْلِيم والحُكْم فِيهِ والإِشْرَاف عَلَى أمْنِه وحِمَايته والدِّفَاع عَنْهُ.

وقَدْ أُطْلِقتْ لَفْظةُ الكَاشِف بهَذَا الْمَعْنَى فِي الْبِدَايَة عَلَى "وَالِي الوُلَاة" بالْوَجْه الْقِبْلِيّ، وعَلَى نَظِيرِه الَّذِي بالْوَجْه البَحرِيّ، وذَلِكَ قَبْلَ اسْتِحْدَاث نِيَابَة السَّلْطَنَة فِيهِمَا عَلَى يَدِ الظَّاهِر بَرْقُوق؛ سَنَة ٧٨٠هـ/١٣٧٧م بالْوَجْه الْقِبْلِيّ[١٢]، وسَنَة ٧٩٨هـ/١٣٩٥م بالْوَجْه البَحرِيّ[١٣]. وقَدْ ذَكَرَ القَلْقَشَنْديّ[١٤] ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: "قَبْلَ اسْتِحْدَاث النِّيَابَة بالْوَجْهين الْقِبْلِيّ والبَحرِيّ كَانَ بِهِمَا كَاشِفَان يُعبَّر عَنْ كُلّ مِنهمَا بوَالِي الوُلَاة". وعِنْدَ حَدِيثه عَنِ النِّيَابَتيْن المَذْكُورتَيْن قَالَ: "نِيَابَة الْوَجْه الْقِبْلِيّ .... ومقرّ نِيَابَته مَدِينَة أَسْيُوط ... كَانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ كَاشِفًا يُطْلَق عَلَيهِ وَالِي الوُلَاة".... و"نِيَابَة الْوَجْه البَحرِيّ .... كَانَ القَائِمُ بِها قَبْلَ ذَلِكَ كَاشِفًا يُطْلَق عَلَيهِ وَالِي الوُلَاة".

وبَعْد اسْتِحْدَاث النِّيَابَة فِي الْوَجْهين الْقِبْلِيّ والبَحرِيّ تَراجَعَت الكُشُوفِيَّة، وتَمَّ تَعْيين ثَلاثة كُشَّاف[١٥]، جَاءَت كُشُوفِيّاتُهم فِي مَرْتَبَةٍ أَقلَّ مِن النِّيَابَة، وأَعْلَى مِن الولَايَة، ثُمَّ أَخَذَتْ أَعْدَادُ الكُشَّاف والكُشُوفِيّات تَزْدَاد بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْوَجْهين الْقِبْلِيّ والبَحرِيّ. والمُلاحَظ أنَّها لَمْ تَبْقَ ثَابِتة عَلَى حَالٍ طَوَال عَصْر الْمَمَالِيك، وإِنَّما كَانَتْ تَتغيَّر مِن وَقْتٍ لآخَر تَبعًا للظُّرُوف السِّياسِيَّة والاقْتصَاديّة؛ فقَدْ تَظهَر كُشُوفِيّات، وقَدْ تَخْتَفِي أُخْرَى، ورُبَّمَا تَحَوَّلَتْ كُشُوفِيَّة إِلَى وِلَايَة، أَوِ العَكس. وقَدْ كَتَبَ مُحَمَّد سَالم عبَّاس الصَّعِيدي بَحْثًا – أَشَرْنَا إِلَيْهِ سَلَفًا – فِي هَذَا الْخُصُوصِ، مِمَّا لَا يَدَع مَجَالا للتّكْرَار فِي هَذِهِ الصَّفحات القَلائِل، ومَن أَرادَ تَفاصِيل مَعلُوماتيَّة عَنِ الكَاشِف بمَعْنَاه السَّابِق يُمْكِنهُ الرُّجُوع إِلَى ذَلِكَ البَحْث.

أمَّا بخُصُوصِ الثَّانِي وَهُوَ "كَاشِف الْجُسُور" فيُطلَق عَلَيهِ أَيْضًا "كَاشِف التُّرَاب"[١٦]، ويُعَبّر هَذَا اللَّقَب أَوْ ذَاكَ بِمَا يَحْمِلُهُ مِنْ مَعانٍ وَظِيفِيَّة عَن أَمِير يُشْرف عَلَى عَمليَّات الحَفِير والْجرَافَة وعمَارَة الْجُسُور[١٧] بالعَمَل (الإِقْلِيم)، حَيْثُ جَرَتِ الْعَادَةُ

فِي العَصْر الْمَمْلُوكِي أَنْ يُجَهَّزَ لكُلَ عَمَلٍ فِي كُلِّ سَنَةٍ أَمِيرٌ لعمَارَة جُسُوره، ويُعبَّر عَنْهُ بكَاشِف الْجُسُور بالعَمَلِ الفُلانيّ، ويُعاوِنُه فِي أَدَاء مَهامّه خَوَلَةٌ ومُهَنْدِسُون يَكُونون فِي خِدْمَتِهِ إِلَى أَن تَنْتَهِيَ عمَارتُها[١٨]. وقَدْ أعَدَّ أَحَدُ البَاحِثين وَرَقةً بَحْثيَّةً عَنْ "كُشَّاف الْجُسُور فِي مِصْر خِلال العَصْرين الأَيُوبِي والْمَمْلُوكِيّ"[١٩]، ومَنْ أَرادَ المَزيدَ عَنْهم فَلْيَرْجِع إِلَيها.

وأَمَّا الثَّالِث وَهُوَ "كَاشِفُ الطَّيْر"، ورُبَّمَا قِيلَ فِيهِ أَيْضًا "حَارِسُ الطَّيْر"؛ فهُو الْمُتَحَدِّثُ عَلَى طَائِفَةٍ مِن الْجُنْد برَسْم مُراقَبة الطُّيُور –الَّتِي يَصِيدهَا السَّلاطِينُ بالْجَوَارِح– إِلَى أَن تَتوطَّن بمَكانٍ تَأْلَفُهُ، فيُمْنع مَن يَتَعَرَّضه، أَوْ يَنْزِل بقُرْبِه، ويُعْلم بذَلِكَ كَاشِف الطَّيْر بتَحْقِيق تَوطِينها، ويُحِيط السُّلطَانَ بِها وبعِدَّتِهَا؛ لِيَنْزِل لِلصَّيْدِ عَلَى بَصِيرَةٍ[٢٠].

وعَن الرَّابِع وَهُوَ "كَاشِف الْقَبْضِ"، والَّذِي تُعْتَبَرُ وَظِيفَتُه الأَسَاس الاِرتِكازِيّ لمَوضُوع هَذَا البَحْث، فيُسْتَشَف مِن مُسَمَّاه الوَظِيفيّ بصُورَةٍ مَبدئِيَّة: أنَّه أَمِير ذُو رُتْبة مُعيَّنة يَخْتَصّ بالْقَبْض.

ولتَعْرِيفه بصُورَةٍ أَكْثَر وُضوحًا لَا بُدَّ مِن مَعْرِفة الْمَقْصُود بالْقَبْض، ومَا الَّذِي يَقْبِضُه الكَاشِفُ؟ ولصَالِح مَن؟ ومِنْ أَيِّ جِهَةٍ يُقْبَض؟

الْقَبْضُ فِي اللُّغَة: جَمْعُ الْكَفِّ عَلَى الشَّيْءِ. وَقَبَضْتُ الشَّيْءَ قَبْضًا: أَخَذْتُهُ. وقَبَّضَه المَالَ: أَعْطاهُ إِيّاه. والْقَبْضُ: مَا قُبِضَ مِنَ الأَمْوال[٢١]. ويُستَعارُ الْقَبْضُ لتَحْصِيل الشَّيْءِ، وإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مُلاحَظة اليَد والكَفّ، نَحْوَ: قَبَضْتُ الدَّارَ مِن فُلان، أَي حُزْتُها[٢٢].

والوَاضِح مِن هَذَا: أنَّ الْمَعْنَى اللُّغَوي للْقَبْض هُوَ الأَخْذ أَوِ التَّسَلُّم أَوِ التَّحْصِيل، ويُشِير فِي الغَالِب إِلَى قَبْض الْأَمْوَال؛ نَقْدِيَّة أَوْ عَيْنِيَّة. أمَّا مَعْنَاه الاصْطِلاحي المُرتَبِط بالمُسَمَّى الوَظِيفيّ الَّذِي نَحْنُ بصَدَد تَعْرِيفه فيُرَاد بِهِ قَبْض الْغِلَال[٢٣]، ويُقَال فِيهِ أَيْضًا:

قَبْض الْمُغَلّ[٢٤]، أَوْ ضَمّ الْمُغَلّ[٢٥]، أَوْ جَمْع الْمُغَلّ[٢٦]، وكُلّها بِمَعْنَى وَاحِدٍ يُرَاد بِه: قَبْض غِلَال السُّلطَان مِن مَنْفَلُوط (أو الأَعْمَال المَنْفَلُوطيَّة)؛ حَيْثُ جَرَتِ الْعَادَةُ فِي العَصْر الْمَمْلُوكِي أن يُجَهِّز السُّلطَانُ فِي كُلّ سَنَةٍ أَمِيرًا مِن مَرْتَبَةٍ مُعيَّنةٍ للقِيَام بِهَذِهِ الوَظِيفَة، فيَتوَجَّه الأَمِيرُ بجُنُودِه ومُعَاونِيه[٢٧] إِلَى هُنَاكَ لتَأْدِيَة مَهامّه فِي هَذَا الْخُصُوصِ. وقَدْ أُطلِقَ عَلَيهِ "كَاشِف الْقَبْضِ"[٢٨] بمَنْفَلُوط، أَوْ "كَاشِف الْمُغَلّ بمَنْفَلُوط"[٢٩]، كَمَا قِيلَ فِيهِ أَيْضًا "كَاشِف الْقَبْضِ والْمِسَاحَة"[٣٠] بِها.

والمُلاحَظُ أَنَّ المَصَادِر لَمْ تُصَرِّحْ بِذِكْر مُسَمَّاه الوَظِيفيّ[٣١] عَلَى الدَّوَامِ، لَكِن كَثِيرًا مَا يَدُلّنَا سِيَاقُ عِباراتِها الْمُشَار فِيْهَا إِلَى قَبْض غِلَال مَنْفَلُوط عَلَى وُجُود وَظِيفَته، فيُقَال فِيها مَثَلًا: "تَوَجَّه إِلَى مَنْفَلُوط لقَبْض مُغَلّها"[٣٢] أَوْ جَهَّزَه إِلَى مَنْفَلُوط لقَبْض مُغَلّها[٣٣] أَوْ سَارَ إِلَى مَنْفَلُوط لقَبْض مُغَلّها[٣٤] أَوْ "وُلّي قَبْض مُغَلّ مَنْفَلُوط"[٣٥] أَوْ "تعَيَّن للتَّوجُّه إِلَى مَنْفَلُوط لقَبْض مُغَلّ السُّلْطَان"[٣٦] أَوْ "اسْتَقَرَّ فِي وِلَايَة مَنْفَلُوط وقَبْضِ الْمُغَلّ"[٣٧].

وعَلَى هَذَا، يَكُون مُصْطَلَحُ "كَاشِفِ الْقَبْضِ" يُعَبّرُ عَنْ وَظِيفَة فِي جِهَاز الإِدَارَة الْمَمْلُوكِيَّة يَتولَّاها أَحَدُ العَسْكرِيّين (أَرْبَاب السُّيُوف)، أَوْ بالأَحْرَى أَمِيرٌ مِن مَرْتَبَةٍ مُعيَّنةٍ، يُعَيّنه السُّلطَانُ فِي كُلّ سَنَةٍ لقَبْض غِلَاله مِن مَنْفَلُوط (أَو الأَعْمَال المَنْفَلُوطيَّة)، فَيَخْرُج إِلَيْهَا عَادَةً بجُنُودِه ومُعَاونِيه، ويَمْكُثُ هُنَاكَ لِحِين الِانْتِهَاء مِن مَهامّ وَظِيفَته، ثُمَّ يَعُود إِلَى الْقَاهِرَة.

وعَطْفًا عَلَى مَا سَبَقَ يُمْكِن اعْتِبَار وَظِيفَة "كَاشِف الْقَبْضِ" وَظِيفَة اسْتِثْنائِيَّة اخْتصَّتْ بِها مَنْفَلُوط دُونَ سِوَاها مِن أَعْمَالِ الدِّيَار المِصْريَّة، أَوْ حَتَّى غَيْر المِصْريَّة الوَاقِعة فِي دَائِرة حُكْم السَّلْطَنَة الْمَمْلُوكِيَّة. وقُلنَا بهَذَا بَعْدَ التَّأَكُّد مِن خُلُوّ المَصَادِر المُتَاحَة –حَتَّى الآنَ– مِن مَعلُومات تُفِيد بوُجُودِ هَذِهِ الوَظِيفَة فِي أَيّ بَلَدٍ أَوِ إِقْلِيمٍ آخَر عَصْرئذٍ.

وهَـذَا القَـوْلُ يَتْبَعُـهُ بالضَّـرُورَة تَسَـاؤلٌ عَـنِ الأَسْـبَاب الكَامِنـة وَرَاءَ الإِخْتِصَـاص المَنْفَلُوطيّ بالوَظِيفَة المَذْكُورة؟ والإِجَابَة عَلَيهِ يُجلّيها المِحْوَرُ التَّالِي:

ثَانِيًا: اِخْتِصَاصُ مَنْفَلُوط بِكُشُوفِيَّةِ الْقَبْضِ عَصْر السَّلْطَنَة الْمَمْلُوكِيَّة

مِن المَعْرُوف أَنَّ الْجِهَاز الإِدَارِي الْمَمْلُوكِي تَميَّز بدَرَجَةٍ كَبِيرَةٍ مِن الاحْتِرَافِ والتَّنَوُّعِ وتَفْوِيضِ السُّلْطَة حَتَّى فِي أَبْسَط المَهامّ الإِدَارِيَّة، وهَذَا التَّنْظِيم الإِدَارِي المُحكَم أَفْرَزَ تَخَصُّصات ووَظَائِف بَالِغة التَّنَوُّعِ ودَقِيقة التَّخَصُّص(٣٨)، حَتَّى رَأَيْنَا مِن الْوَظَائِف الإِدَارِيَّة فِي ذَلِكَ العَصْر مَا اخْتصَّ بِهِ بَلَدٌ أَوِ إِقْلِيمٌ بِعَيْنِهِ دُونَ سِوَاه، ومِن هَذِهِ الْوَظَائِف وَظِيفَة "كَاشِف الْقَبْضِ"، الَّتِي لَمْ يَرِدْ فِي المَصَادِر المُتَاحَة ذِكرٌ لَهَا فِي بَلَدٍ أَوِ إِقْلِيمٍ سِوَى مَنْفَلُوط (أو الأَعْمَال المَنْفَلُوطيَّة) الوَاقِعة –كَمَا أَسْلَفْنا– عَلَى الشَّاطِئ الْغَرْبِيّ لنَهْرِ النِّيْل بصَعِيد مِصْرَ الأَوْسَط، وهِيَ حَالِيًّا مَدِينَة ومَرْكَز بمُحَافَظة أَسْيُوط.

وهَـذِهِ الْخُصُوصِـيَّة أَوِ الإِنْفِرَادِيّـة المَنْفَلُوطيَّـة بكُشُـوفِيَّة الْقَـبْض لَـمْ تَكُـنْ وَلِيـدَة الصُّـدْفة، بِـلْ يَقِـفُ وَرَاءَهَـا ثَلَاثَـةُ أَسْـبَاب مُنْطَوِيَـة عَلَـى مُعْطَيَـات وظُـرُوف مَنْفَلُوطيـة خَاصَّـة، جَعَلَتْهـا تَنْفَرِد بِهَـذِهِ الوَظِيفَـة، وهِـيَ: وَفْرَة إِنْتاجِيَّـة أَرَاضِـي مَنْفَلُـوط وجَوْدَتهـا، واِخْتِصَاص سَلاطِين الْمَمَالِيك بِها فِي إِقْطاعَاتهم، فَضْلًا عَنِ الأَحْداث السِّياسِيَّة الَّتِي مُنِيَتْ بِها المَنْفَلُوطيَّة، ومَا جَاوَرَها مِن بُلْدَان صَعِيد مِصْرَ الأَوْسَط فِي عَصْرهم.

فبِالنِّسْبَة للسَّبَبِ الأَوَّل المُتَعلّق بأَرَاضِي مَنْفَلُوط وجَوْدَتها يَسْتَطِيعُ البَاحِثُ فِي عَصْـر سَـلاطِين الْمَمَالِيـك أَنْ يَسْـتَنْبِطه بكُـلّ سُـهُولةٍ مِـن وَصْـفِ مُعَاصِـريهم لتِلْـكَ الْأَرَاضِي، ويَكْفِينَا فِي هَذَا الشَّأْن وَصْفُ القَلْقَشَنْديّ(٣٩) لَهَا، حَيْثُ يَقُول: والجَارِي "فِي دِيْوَان الْوِزَارَة (الحُكُومَة) أَعْظَمُهُ خَطَرًا، وأَرْفَعُهُ قَدْرًا، جِهَتان: إِحْدَاهُمَا– عَمَلُ الجِيْزَيّة ... الثَّانِيَةُ– عَمَلُ مَنْفَلُوط، ولَـهُ مُباشِرُون كَمَا تَقدَّم فِي الجِيْزَيّة، بَلْ هِيَ أَرْفَعُ قَدْرًا وأَكْثَرُ مُتحصّلا، وغَالِب خَرَاجِه غِلَال: مِن قَمْحٍ وفُولٍ وشَعِيرٍ".

وهَذَا الوَصْفُ يَعْكِسُ بِلا رَيْب خُصُوبةَ أَرَاضِي مَنْفَلُوط، وإِنْتاجِيَّة مَحَاصِيلها الوَفِيرة –كَمَا لا يُلْغَيها فِي الجِيْزَيّة، وغَيْرها– لَا سِيَّمَا مَحَاصِيل الغِلَال الَّتِي زُرِعتْ فِيْهَا بِكَثْرَةٍ آنذَاكَ، وعَلَى رَأْسِهَا القَمْح، مَحْصُول التَّغذِيَة الرَّئِيس، والَّذِي كَانَتْ مَنْفَلُوط مِن أَهَمّ مَناطِق زِراعتِه، حَتَّى اشْتُهِرَ قَمْحُها فِي الأَوْسَاط المِصْريَّة –فِي العُصُور الوُسْطى– بجَوْدَته وقِيمَتِه الْعَالِيَة، أَوْ عَلَى حَدِّ تَعْبير المَصَادِر "بطِيبِهِ ورَزانةِ حَبَّتِهِ"(٤٠).

ولمَّا كَانَ لمَنْفَلُوط هَذِهِ المَزايا المُنْطَوِيَة عَلَى جَوْدَة أَرَاضِيها ووَفْرَة مَحَاصِيل غِلَالها وقِيمَتِها الْعَالِيَة؛ اخْتصَّ السَّلاطِينُ الْمَمَالِيك بِها –كَمَا اخْتصَّ بِها الأَيُّوبيّون قَبْلَهم(٤١)– فِي إِقْطاعَاتهم عَنْ سَائِر الأُمَرَاء والْأَجْنَاد(٤٢) طِبقًا لنِظَام الإِقْطاع العَسْكريّ الَّذِي سَادَ مِصْرَ فِي عَصْرهم، والَّذِي كَانَ امْتِدادًا لِمَا كَانَ سَائدًا فِي عَصْر أَساتذتِهم الأَيُّوبيّين(٤٣).

وسيُشَكِّلُ هَذَا الاِخْتِصَاص عِنْد سَلاطِين الْمَمَالِيك بمَنْفَلُوط ضِلْعًا رَئِيسًا فِي ثُلاثيّة الأَسْبَاب الكَامِنة وَرَاءَ انْفِرَادها بكُشُوفِيَّة الْقَبْض، ولا غَرَابَة فِي أَنْ تَكُونَ مَنْفَلُوط ضِمْن إِقْطاعَاتهم الخَاصَّة فِي تِلْكَ الآونَة؛ فأَرَاضِيها مِنْ أَجْوَدِ الأَرَاضِي المِصْريَّة وأَوْفَرها غَلَّةً وقَطِيعَةً كَمَا ذَكَرْنَا، ومِن الطَّبِيعيّ أَنْ يَسْتَأْثِر بِهَا السَّلاطِين ويَخْتَارُوها لِأَنْفُسِهِمْ؛ بوَصْفِهم رُؤوس الإِدَارَة الإِقْطاعيّة فِي الدَّوْلَة.

والمُطَّلِعُ عَلَى التَّوزِيعَات الإِقْطاعيّة الَّتِي أَجْرَاهَا السَّلاطِين الْمَمَالِيك فِي أَوْقَاتٍ مُخْتَلفَةٍ، والَّتِي اصْطُلحَ عَلَى تَسْمِيَة كُلّ مِنْها "رَوْك"(٤٤)، يَلْمسُ حِرْصَهم عَلَى الاِحْتِفَاظِ بمَنْفَلُوط لِأَنْفُسِهِمْ فِي كُلّ تَوزِيع مِنْها؛ ولهَذَا تُدْرَجُ مَنْفَلُوط دَوْمًا فِي التَّناوُل المَصْدَريّ لتِلْكَ التَّوزِيعَات –والتَّقْسِيمَات الإِدَارِيَّة– ضِمْن الْبِلَاد الْمُفْرَدَة (المُقَرَّرة) للخَاصّ(٤٥)، أَوِ الجَارِيَة فِي "خَاصّ السُّلْطَان"(٤٦)، أَوْ "الخَاصّ السُّلْطَانِي"(٤٧)، أَوْ "الخَاصّ الشَّرِيف السُّلْطَانِي"(٤٨)، وأَحْيَانًا يُقَال فِيهَا: "جَارِيَة فِي الدِّيوَان الشَّرِيف السُّلطَاني للدَّوْلَة الشَّرِيفَة"(٤٩).

فعِنْدَمَا قَامَ السُّلطَانُ حُسَامُ الدِّين لَاجِين[٥٠] مَثَلًا بعَمَلِ الرَّوْك الحُسَامِي[٥١] سَنَة ٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م احْتَفَظَ بِها ضِمْن بِلَاد الخَاصّ السُّلطَاني الَّتِي حَازَها بِمُوجب هَذَا الرَّوْك[٥٢].

ولَمَّا عَملَ السُّلطَانُ النَّاصِرُ مُحَمَّد بْن قَلَاوُون[٥٣] الرَّوْك النَّاصِريّ[٥٤] سَنَة ٧١٥هـ/ ١٣١٥م[٥٥] فِي سَلْطَنَته الثَّالِثة (٧٠٩ -٧٤١هـ/ ١٣١٠- ١٣٤٠م) اخْتَارَهَا- كسَابِقِيه- ضِمْن الْبِلَاد الْمُفْرَدَة للخَاصّ السُّلطَاني[٥٦]، بَلْ كَانَتْ هِيَ أَجَلّ هَذِهِ الْبِلَاد وأَعْظَمها شَأْنًا، وذَلِكَ بِشَهَادَةِ ابْن فَضْل الله العُمَري[٥٧] (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م) الَّذِي وَصَفَها بِقَوْلِهِ: "هِي مِن مُدُنِ الصَّعِيد، وأَجَلّ خَاصّ السُّلْطَان".

وعلَاوَة عَلَى ذَلِكَ، صَيَّرَها النَّاصِرُ مُحَمَّد بْن قَلَاوُون فِي عَهْدِه عَمَلًا أَوْ وحْدَةً إِدَارِيَّةً؛ وذَلِكَ عِنْدَمَا ضَمّ -بمُقْتضَى الرَّوْك الَّذِي عَمِلَه سَنَة ٧١٥هـ/١٣١٥م- إِلَى مَنْفَلُوط ومَنْقَبَاط وكُفُورهما نَواحِي مِن الأُشْمُونِين الوَاقِعة إِلَى الشّمَال مِنْهما، ونَواحِي أُخْرَى مِن عَمَلِ السُّيوطِيَّة الوَاقِعة جَنُوبهما، وأَنْشأَ مِنْهم عَمَلًا جَدِيدًا، أُطْلِق عَلَيهِ "عَمَلُ المَنْفَلُوطيَّة"[٥٨]، وجُعِلَتْ مَدِينَة مَنْفَلُوط مَقَرّ وِلايتِه أَوْ قَاعِدَتِه[٥٩]، وقُدِّرَت مِسَاحَةُ أَراضِيه الزِّرَاعيَّة فِي ذَلِكَ الرَّوْك بـ ٣٢١٧٢ فدّانًا[٦٠].

وكَانَ مِن نَتائِج هَذَا الوَضْع الإِدَارِي الْجَدِيد أَن ازْدَادَتْ مَنْفَلُوط تَمَيُّزًا فَوْقَ تَمَيُّزِها، واسْتَمَرَّتْ عَلَى هَذَا النَّحْو طَوَال عَصْر الْمَمَالِيك. والمُدهِش أنَّه عَلَى الرَّغْمِ مِن المِحَن والكَوارِث الَّتِي حَلَّتْ بالْبِلَاد مُنْذُ سَنَة ٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م، وانْتِهَاء العَمَل بالرَّوْك النَّاصِريّ[٦١]، وتَنَاقُص عَدَد الْبِلَاد الجَارِيَة فِي الدَّواوِين السُّلْطَانِيَّة وتَبَدُّل أَحْوَالها[٦٢]، إِلَّا أنَّ مَنْفَلُوط ظَلَّتْ مُحْتفِظَة بِاخْتِصَاص السَّلاطِين بِهَا، وهَذَا مَنْصُوصٌ عَلَيهِ فِي أَقْوالِ الْمُؤَرِّخِين المُعَاصِرِين لدَوْلَة الجَرَاكِسة قَبْلَ أُفُول نَجْمها؛ فهَذَا ابْن دُقْمَاق[٦٣] (ت ٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م) يَقُول: "مَنْفَلُوط وكُفُورها[٦٤] جَارِيَة فِي الدِّيوَان الشَّرِيف السُّلطَاني للدَّوْلَة الشَّرِيفَة". كَمَا يَقُول القَلْقَشَنْديّ[٦٥] (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م) عَنْ "عَمَلِ المَنْفَلُوطيَّة": "هُوَ مِن أخصّ خَاصّ السُّلطَان الجَارِي فِي دِيْوَان وِزَارتِه". وهَا هُوَ ابْن الجِيْعَان[٦٦] (ت

٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م) الَّذِي احْتَفَظَ لَنَا بتَفاصِيل الرَّوْك النَّاصِريّ وتَوزِيع الْبِلَاد طِبْقًا لَه مَعَ تَوضِيح التَّغييرَات الَّتِي طَرَأَتْ عَلَى تَوزِيعها فِي زَمَنِه، يَقُول: مَنْفَلُوط وكُفُورها[٦٧] "جَمِيعُهَا للدِّيوَان الشَّرِيف السُّلْطَانِي".

وأَقْوالُ هَؤُلَاء الْمُؤَرِّخِين تَأْتِي كَاشِفةً بصُورَةٍ وَاضِحةٍ عَنِ اسْتِمراريّة حِرْص السَّلاطِين الْمَمَالِيك عَلَى الِاحْتِفَاظِ بمَنْفَلُوط لِأَنْفُسِهِمْ، وَالْإِبْقَاء عَلَيْهَا فِي دَواوِينِهم الخَاصَّة، وكَيْفَ لَا؟ ! ومَنْفَلُوط كَانَتْ بِالنِّسْبَة لَهُم مَزْرَعَة خِصْبَة يَحْصلُون مِنْها عَلَى أَكْثَر الغِلَال –مِن قَمْحٍ وفُولٍ وشَعِيرٍ– الَّتِي تُحْمَل إِلَى الْأَهْرَاء السُّلْطَانِيَّة[٦٨] بالفُسْطَاط، ويَصْرِفُون مِنْها فِي جُمْلَة مَصَارِف هَذِهِ الْأَهْرَاءَ عَلَى الطَّواحِين السُّلْطَانِيَّة والمُنَاخَات، وغَيْر ذَلِكَ[٦٩].

ولحُسْن الحَظّ أَمدَّتنا المَصَادِرُ بمُعْطَيَات مَقَادِيريَّة –سنَذكُرها لاحِقًا– دَالَّة عَلَى عِظَم مَا كَانَ يَتَحَصَّل عَلَيهِ السَّلاطِينُ الْمَمَالِيك سَنَويًّا مِن الغِلَال المَنْفَلُوطيَّة، وهَذَا يَعْكِسُ لَنَا أهميَّة مَنْفَلُوط بِالنِّسْبَة لَهُم مِن جِهَةٍ، ويَكْشِفُ عَنْ دَوْرِها الرِّيادِي فِي تَغْطِيَة حَاجَة السَّلْطَنَة مِن الغِلَال مِن جِهَةٍ أُخْرَى. وقَدْ تَأكَّد لَنَا ذَلِكَ مِن كَلَام القَلْقَشَنْديّ[٧٠] الَّذِي سُقْنَاهُ سَلَفًا، والَّذِي يَقُول فِيهِ: والجَارِي "فِي دِيْوَان الْوِزَارَة أَعْظَمُهُ خَطَرًا، وأَرْفَعُهُ قَدْرًا، جِهَتان: الجِيْزَيّة ومَنْفَلُوط. بَل إنَّه اعْتَبرَ أنَّ مَنْفَلُوط أَرْفَع قَدْرًا وأَكْثَر مُتحصّلا مِن أُختِها. ثُمَّ قَالَ: وغَالِبُ خَرَاجِها غِلَال: مِن قَمْحٍ وفُولٍ وشَعِيرٍ، وغِلَالها تُحْمَل إِلَى الْأَهْرَاء السُّلْطَانِيَّة.

ومِن هَذَا المُنْطَلَق، ومَعَ مَسِيس حَاجَة السَّلْطَنَة إِلَى الغِلَال المَنْفَلُوطيَّة؛ وَجَّه السَّلاطِينُ الْمَمَالِيك إِلَى مَنْفَلُوط عِنَايَة إِدَاريَّة جَاءَت مَصحُوبَة غَالِبًا باهْتِمَامَاتٍ وتَجْهِيزاتٍ عَسْكَريَّةٍ مُعيَّنةٍ؛ إذ لَمْ تَكُنْ عَمَليَّةُ قَبْضِ غِلَالها سَهْلة أَوْ تَتِمّ فِي هُدُوءٍ؛ بِسَببِ الِاضْطِرَابات السِّياسيَّة الَّتِي شَهدْتَهَا مَنْفَلُوط وتَوابِعُها فِي ذَلِكَ العَصْر.

وهَذَا يَنْقُلُنا إِلَى بَيَان السَّبَب الثَّالِث فِي انْفِرَاد مَنْفَلُوط بكُشُوفِيَّة الْقَبْض، لتَكْتَمل بِهِ ثُلاثيّة الأَسْبَاب الكَامِنة وَرَاءَ تِلْكَ الانْفِرَادِيّة، ويَتجلَّى ذَلِكَ السَّبَب فِي الظُرُوف السِّياسيَّة غَيْر الْمُسْتَقِرَّة الَّتِي مَرَّتْ بِها مَنْفَلُوط وبُلْدَان الصَّعِيد الأَوْسَط بِسَببِ ثَورَات الْعُرْبَان، ومَا تَرَتَّبَ عَلَيْهَا مِن اضْطِرَابات وفَوْضَى فِي ذَلِكَ الإِقْلِيم، خَاصَّة وَقْت قَبْض الْمُغَلّ مِن المُزارِعين؛ مِمَّا جَعَلَ السَّلْطَنَة تَنْهَضُ بتَجْهِيز أَوْ تَعْيين "كَاشِف الْقَبْضِ" فِي كُلِّ سَنَةٍ لقَبْض غِلَالها مِن مَنْفَلُوط، قَبْل نَهْبها مِن الثُّوار، فيَخْرُج إِلَيْهَا عَادَة وَمَعَهُ كَثِيرٌ مِن الأُمَرَاء، وعَدَدٌ كَبِيرٌ مِن الجُنُود والْمَمَالِيك عَلَى هَيْئَة المُتَّجِه إِلَى الحَرْب[٧١]؛ نَظرًا لِمَا يُقَابِل هَذِهِ الْمهمَّةَ مِن صِعَابٍ، وأَهمُّها خُطُورة الْعُرْبَان وتَعَرُّضهم لحَاصِل الدَّوْلَة، أَوْ رَفْضهم دَفْع الحُقُوق والخَرَاج[٧٢].

ورُبَّمَا لَو كَانَتِ الأَوْضَاع السِّياسيَّة بمَنْفَلُوط مُسْتَقِرَّة لأَشْرَفَ عَلَى قَبْض غِلَالها مَثَلًا وَالِيها، أَوْ حَتَّى كَاشِف الْوَجْه الْقِبْلِيّ المُقِيم بأَسْيُوط عَلَى مَقْربةٍ مِن مَنْفَلُوط، لَكِن هَذَا لَمْ يَحْدُثْ؛ لأَنَّ الْعُرْبَان صَارُوا قُوَّةً لَا يُسْتهان بِهَا، وشَكَّلُوا تَحَدّيًا دَاخِليًّا مُسْتَمِرًّا لسَلاطِين الْمَمَالِيك[٧٣]، وسَبَّبُوا كَثِيرًا مِن المَتاعِب لكُشَّاف (نُوَّاب) الْوَجْه الْقِبْلِيّ، ولوُلَاة مَنْفَلُوط، وكَثِيرًا مَا خَرَجُوا عَلَيْهِمْ، وقَاتَلُوهُمْ، وَقَتَلُوا بَعْضَهم أَحْيَانًا[٧٤].

ولا نَسْتبعدُ بطَبيعَةِ الحَالِ، أَنْ تَكُونَ السَّلْطَنَةُ الْمَمْلُوكِيَّةُ أَدْرَكَتْ مُنْذُ وَقْتٍ مُبَكِّر تَدَاعيات الخَطَر الْعُرْبَاني فِي مَنْفَلُوط والصَّعِيد الأَوْسَط عَلَى قَبْض غِلَالها تَعْطِيلًا أَوِ انْتِقاصًا؛ إِذْ مَعَ بِدَاية العَصْر الْمَمْلُوكِي حَمَلَتِ الْقَبَائِلُ الْعَرَبِيّةُ بهَذَا الإِقْلِيم لِواءَ مُقَاوَمَةِ الحُكْم التُّرْكِي، وكَانَ للقُرَشِيِّينَ، وبالذَّات الجَعَافِرَة الأَشْرَاف الَّذِينَ سَكَنُوا مَناطِقَ مَنْفَلُوط وشَمَالها، دَوْر الزَّعَامَة فِي هَذِهِ الحَرَكَةِ[٧٥]، حَيْثُ رَأَوْا أَنَّهُمْ أَحَقُّ بحُكْم الْبِلَاد مِن الْمَمَالِيك الَّذِينَ مَسَّهم الرِّقُ، فأَعَدُّوا الْعدَّةَ فِي سَنَة ٦٥١هـ/ ١٢٥٣م، وقَامُوا بحَرَكَةٍ وَاسِعةِ النّطَاق فِي بِلادِ الصَّعِيد، بقِيَادة الشَّرِيف الأَمِير حِصْن الدِّيْن بْن ثَعْلَب الَّذِي اسْتَوْلَى عَلَى "دَهْرُوطْ صَرَبان"[٧٦] (دَيْرُوط) واتَّخَذَها مَرْكزًا لحَرَكَةِ المُقاوَمَة، وأَعْلَنَ أَنَّ

العَرَب هُم أَصْحَاب الْبِلَاد، ومَنَعَ الْجُنْدَ مِن تَنَاوُل الخَرَاج، لَكِن الدَّوْلَة تَصَدَّتْ لَهُ، وهَزَمَتْهُ وأَتْبَاعَهُ، وأَخْمدتْ جَذْوَة ثَوْرتِهم(٧٧).

غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَمْضِ وَقْتٌ كَبِيرٌ عَلَى هَذِهِ الأَحْداث حَتَّى ثَارَ عُرْبَان الصَّعِيد مَرَّةً ثَانِيَةً، وهَمُّوا بتَغْيِير الْمَمَالِيك فِي سَنَة ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م، واسْتَطَاعَتِ الدَّوْلَة أَيْضًا أَنْ تَتَصدَّى لَهُم وتَهْزِمهُم(٧٨). ومُنْذُ ذَلِكَ الْوَقْت لَمْ يَكُفّ الْعُرْبَان عَنْ خُرُوجِهم فِي وَجْهِ السُّلْطُة، وتَوالَتْ حَرَكَاتُ مُقَاوَمتهم لَهَا، وتَرَكَّز أَغْلَبُها فِي منْطِقة مَنْفَلُوط وأَسْيُوط(٧٩)، وكَثِيرًا مَا كَانَ القَائِمُون بِها يَغِيرُون على الْبِلَاد وفَلَّاحِيها، وزُرَّاعِها(٨٠) ويَمْنَعُون الخَرَاج، مِثْلما حَدَثَ فِي سَنَة ٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م عِنْدَمَا خَرَجُوا عَنِ الطَّاعَة، وطَمِعُوا فِي الْمُغَلّ، وَمنَعَ كَثِيرٌ مِنْهُم الْخَرَاج، مُسْتَغلّين انْشِغال الدَّوْلَة فِي حُرُوبِها الخَارِجيَّة مَعَ غَازَان(٨١) خَان التَّتار.

فالوَاضِحُ مِن مُجْريات الأَحْداث السِّياسيَّة الَّتِي مَرَّتْ بِها مَنْفَلُوط والصَّعِيد الأَوْسَط فِي تِلْكَ الآونَة، وأَمَام خَطَر الْعُرْبَان المُتَنامي بتِلْكَ الْبِلَاد، ومَا كَانُوا يُحْدثُونه مِن فَوْضَى وَقْت جَمْع المَحْصُول وقَبْض غِلَال السَّلْطَنَة –يَأْتِي مُعْظَمُها مِن مَنْفَلُوط– أنَّ هُنَاكَ ضَرُورةً سِياسِيَّة وأُخْرَى اقْتِصَاديَّة أَوْجَبَتا عَلَى السَّلْطَنَة تَعْيين أَمِير –كَاشِف– لقَبْض مُغَلّها مِن مَنْفَلُوط فِي كُلّ سَنَة.

وَإِنْ كَانَتْ المَصَادِرُ الَّتِي بَيْن أَيْدِينَا لَمْ تَذكُر تَعْيين كُشَّاف قَبْض الغِلَال بمَنْفَلُوط خِلال السَّنوَات الْأُولَى مِن حُكْم الدَّوْلَة الْمَمْلُوكِيَّة، فهَا هِيَ تُرفِدُنا بعَطَايا مَعلُوماتيَّة تُلْمِح إِلَى تَواجُدهم وتَنْفِيذ مَهامّهم مُنْذُ سَنَة ٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م، وهِيَ السَّنَة الَّتِي مَرَّ بِنا أنَّ الْعُرْبَان خَرَجُوا فِيها، وطَمِعُوا فِي الْمُغَلّ، وَمَنَعوا الْخَرَاج؛ فقَدْ ذَكَرَ المُؤرِّخان (المقْرِيزيّ(٨٢) وبَدْرُ الدِّيْن العَيْني(٨٣)) فِي ثَنايَا تَسْطِيرهما لأَحْداث تِلْكَ السَّنَة أنَّ العَرَب لمَّا قَامُوا بِهَذِهِ الأَفْعَال سَارَ إِلَيْهِم الْوَزِيرُ شَمْس الدِّينِ سُنْقُر الأَعْسَر(٨٤)، ومَعَهُ مِائَة مِن الْمَمَالِيك السُّلْطَانِيَّة، ولمَّا وَصَلَ بِهم إِلَى الصَّعِيد دَاهَمَ بَعْض الْبِلَاد، وَقَتَلَ جَمَاعاتٍ مِن المُتمرِّدِين، واسْتَوْلَى عَلَى الْخُيُولِ والْجِمَالِ والسِّلَاحِ الَّذِي بِيَد

الفَلَّاحِين والْعُرْبَان، فهَدَأت الأَوْضَاعُ بتِلْكَ الْبِلَاد، ودَانَ الفَلَّاحُون وأَعْطُوا الْخَرَاج، وأُخِذَ الْمُغَلُّ كَامِلًا.

ويُسْتَوحَى مِن ذَلِكَ، وبالأَخَصّ مِن العِبَارة الْأَخِيرة، أنَّ الْوَزِير الأَعْسَر خَرَجَ إِلَى الصَّعِيد فِي تِلْكَ السَّنَة كَاشِفًا للْقَبْض بمَنْفَلُوط، وإن لَمْ يَذْكُر المقْرِيزيّ أَوْ بَدْرُ الدِّيْن العَيْني ذَلِكَ صَراحةً، فيُمْكِن فَهْمه مِمَّا جَاءَ عَلَى لِسَانِ رُكْن الدِّيْن بَيْبَرْس الْمَنْصُورِيّ الدَّوَادَار[٨٥] (ت٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م) الَّذِي شَهِدَ تِلْكَ الأَحْداث وشَارَكَ فِيها، ورَوَى بَعْض تَفاصِيلها، إِذْ يَقُول: "جُرّد الأَمِيرُ شَمْس الدِّينِ سُنْقُر الأَعْسَر إِلَى الصَّعِيد للكَشْف والتَّمْهِيد، ورُسِمَ لَه بحَسْم مَادَّة الْعُرْبَان، فإنَّهم تَظَاهَروا بالنِّفَاق والعِصْيان، وتَوجَّهتُ إِلَى ذَلِكَ الْوَجْه، فاجْتَمَعْنَا بمَنْفَلُوط وأَحْضَرْنَا أَعْيَانَهم، وَقُرِّرَت عَلَيْهِم جِبايَةٌ مِن المَالِ والخَيلِ والجِمَالِ والسِّلَاحِ، وجُبِيَتْ ... وحُسِمَتْ مَادَّتُهم فِي ذَلِكَ الْوَقْت".

وجَدِيرٌ بالذِّكْرِ أَنَّ الجِبايَات الَّتِي أُخِذَتْ مِن الْعُرْبَان فِي تِلْكَ السَّنَة لَمْ تَكُنْ رَادِعة لَهُم، إِذْ سرْعَان مَا خَرَجُوا فِي السَّنَة التَّالِيَة (٧٠١هـ/ ١٣٠١) وقَطَعَوا الطُّرق، وفَرَضُوا عَلَى التُّجَّار وأَرْبَاب المَعايِش بأَسْيُوط ومَنْفَلُوط إتَاوَاتٍ، واسْتَخفُّوا بالوُلَاة، وَمَنَعُوا الْخَرَاج، فأَحْضَرَ السُّلطَانُ وأُمَراؤه الْقُضَاةَ وَالْفُقَهَاءَ واسْتَفْتوهم فِي جَوَاز قِتَالهمْ، فَأَفْتوهم بِجَوَاز ذَلِك؛ فخَرَجَ الأُمَرَاءُ لقِتَالِهم، وأَشَاعُوا أنَّهم مُسَافِرون إِلَى الشَّام، ثُمَّ حَاصَروا الصَّعِيد مِن عِدَّةِ جِهَات، وانْقضُّوا عَلَى المُتمرِّدِين، وهَزَمُوهُمْ، وأَخَذُوا أَمْوَالَهم، وأَسَرُوا كَثِيرًا مِنْهم، ثُمَّ أَفْرَجُوا عَنِ المَأسُورِين وأَعَادُوهم لحِفْظ الْبِلَاد، لمَّا رَأوها خَلَتْ مِن الرِّجَال[٨٦].

بَعْدَ ذَلِكَ، تَوالَت الثَّورَات الْعُرْبَانية بالصَّعِيد، وَجَاءَ ذِكْرُها فِي المَصَادِر –لا دَاعي لسَرْدها أَوِ الخَوْض فِي تَفاصِيلها هُنَا– مَقْرونًا أَحْيَانًا بإِشَارَاتٍ تُفِيد بتَجْهِيز أَو إِرْسَال أُمَرَاء (كُشَّاف) لمُواجَهة الْعُرْبَان وقَبْض الْمُغَلّ؛ فقَدْ وَرَدَ مَثَلًا فِي أَحْداث سَنَة ٧٥٣هـ/ ١٣٥٢م أنَّ الأَمِير بَلَبان السِّنَاني الأسْتادَّار[٨٧] خَرَجَ بجُنُودِه وبَعْض الأُمَرَاء إِلَى الصَّعِيد، وأُمِرُوا بالْإِقَامَة هُنَاكَ حَتَّى يَتِمَّ قَبْض الْمُغَلّ[٨٨]. أَوْ عَلَى حَدِّ تَعْبير ابْن

إِيَاس[٨٩]: "حَتَّى يَحْفَظُوا الضِّيَاع مِن فَسَادِ الْعُرْبَان، بِسَببِ أَنْ لَا يَنْهَبُوا الْمُغَلَّ، فإِنَّ القَمْح كَانَ فِي الجُرُون[٩٠]".

كَمَا وَرَدَ فِي أَحْداث السَّنَة الَّتِي تَلَتها، وتَحْديدًا فِي شَهْر رَبِيعِها الآخَر/ مَايُو ١٣٥٣م، أَنَّ الأَمِير نَفْسه (بَلَبان السِّنَاني) سَارَ إِلَى مَنْفَلُوط –مَرَّةً أُخْرَى– لقَبْض مُغَلّها[٩١].

وهُنَاكَ أَمْثِلَةٌ أُخْرَى عَلَى ذَلِكَ، وَرَدَ ذِكْرُهَا فِي المَصَادِر، سَوَاء فِيمَا تَبقَّى مِن سَنَوات حُكْم الْمَمَالِيك البَحرِيّة، أَوْ خِلال حُكْم الجَرَاكِسة، وسيَتِمّ تَنَاوُل ذَلِكَ لاحِقًا فِي مَوَاضِعِه المُنَاسِبة مِن هَذَا البَحْث.

وَصَفْوَةُ القَوْل: إنَّ مَنْفَلُوط اخْتصَّتْ بوَظِيفَة كَاشِف الْقَبْضِ فِي العَصْر الْمَمْلُوكِيّ، انْطِلاقًا مِن ظَرفيَّات ومَزَايا خَاصَّة بِها، تَجلَّتْ فِي: جَوْدَة أَرَاضِيها ووَفْرَة مَحَاصِيل غِلَالها وقِيمَتِها الْعَالِيَة، مِمَّا دَفَعَ السَّلاطِين إِلَى اِخْتِصَاصهم بِها فِي إِقْطاعَاتهم؛ ليَحْصُلوا مِنْها عَلَى النَّصِيب الأَوْفَر مِن الغِلَال الَّتِي تَدخُل مَخَازنَهم وتُغطِّي احْتياجَاتِهم السَّنَويَّة مِنْها. لَكِن حُصُولهم عَلَيْهَا فِي الوَاقِع لَمْ يَكُنْ مِن السُّهُولة بمَكان؛ بِسَببِ التَّوَتُّرات السِّياسيَّة الَّتِي عَاشَتها مَنْفَلُوط وبُلْدَان الصَّعِيد الأَوْسَط مِن جَرَّاءِ ثَورَات الْعُرْبَان ومَخَاطِرهم المُطرَدَة، لَا سِيَّمَا عِنْدَ قَبْض الْمُغَلّ وأَدَاء الخَرَاج؛ ومِن هُنَا نَهضَت السَّلْطَنَة بتَجْهِيز أَوْ تَعْيين "كَاشِف الْقَبْضِ" وإِرْسَاله بمَن مَعَهُ مِن القُوَّات العَسْكَريَّة إِلَى مَنْفَلُوط فِي كُلِّ سَنَةٍ ليَقُوم بقَبْض غِلَالها.

ثَالِثًا: تَعْيينُ كَاشِفِ الْقَبْضِ ورُتْبَتُهُ والْخَلْعُ عَلَيهِ قَبْلَ سَفَرِهِ إِلَى مَنْفَلُوط

اقْتَضَتْ الحَاجَة الإِدَارِيَّة فِي العَصْر الْمَمْلُوكِي أَنْ يَقُومَ السُّلطَانُ بتَعْيين كَاشِف الْقَبْضِ فِي كُلّ سَنَة؛ لقَبْض غِلَاله مِن مَنْفَلُوط. ونَظَرًا لمَخَاطِر هَذِهِ الوَظِيفَة ومَا كَانَ يُصاحِبها غَالِبًا مِن صِعَاب، وتَوَتُّرات أَمْنيَّة، ومُواجَهات عَسْكَريَّة مَعَ الْعُرْبَان، كَانَ

السُّلطَانُ يسْنِدها إِلَى أَمِير مِن أَصْحَاب الرُّتَب العَسْكَريَّة الْعُلْيَا؛ مِن أُمَرَاء الْمِئين[٩٢] "مُقَدَّمي الْأُلُوف" أَوْ مِن أُمَرَاء الطَّبْلَخاناه[٩٣]، وأَحْيَانًا مِن أُمَرَاء الْعَشَرَاتِ[٩٤].

والأَمِيرُ الَّذِي يَقَعُ عَلَيهِ اخْتِيار السُّلطَان ويَعْهَدُ إِلَيْهِ بقَبْض غِلَاله مِن مَنْفَلُوط غَالِبًا مَا يَكُون –فِي الْوَقْت نَفْسه– مِن أَصْحَاب الْوَظَائِف أَوِ المَنَاصِب الْعُلْيَا بِالْحَضْرَةِ السُّلْطَانِيَّة، فقَدْ يَكُون وَزِيرًا أَوِ اسْتادَّارًا أَوْ دَوَادَارًا أَوْ شَادّ عَمَائِر[٩٥] أَوْ وَاحِدًا مِن أكَابِر الوُلَاة، كَوَالِي الْقَاهِرَة مَثَلًا، فيَخْتَاره السُّلطَانُ، ويسْنِد إِلَيْهِ كُشُوفِيَّةَ الْقَبْض، فيَخْرُج لأَدَاء مَهامّها، وبَعْدَ الِانْتِهَاء مِنْها يَعُود إِلَى الْقَاهِرَة عَلَى وَظِيفَته الْأُولَى أَوْ يُعْزَل عَنْها أَوْ يُرَقَّى لوَظِيفَة أَعْلَى –سيَتِمّ تَنَاوُل ذَلِكَ لاحِقًا– حَسَب مَا يَرَاه السُّلطَانُ مُنَاسِبًا.

ولحُسْن الحَظّ أَمدَّتنا المَصَادِرُ الْمَمْلُوكِيَّة بأَمْثِلَة تُؤَيِّد قِيَام السَّلاطِين بإِسْنَاد وَظِيفَة كَاشِف الْقَبْضِ بمَنْفَلُوط إِلَى الأُمَرَاء أَصْحَاب الرُّتَب الْعُلْيَا، خَاصَّة مِن أَرْبَاب الْوَظَائِف أَوِ المَنَاصِب الَّتِي أَشَرْنَا إِلَيها.

فقَدْ أُسْنِدَت كُشُوفِيَّةُ الْقَبْضِ مَثَلًا فِي سَنَة ٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م فِي سَلْطَنَة النَّاصِر مُحَمَّد بْن قَلَاوُون الثَّانِية (٦٩٨– ٧٠٨هـ/ ١٢٩٩– ١٣٠٩م) إِلَى الْوَزِير شَمْس الدِّينِ سُنْقُر الأَعْسَر –كَمَا سَبَقَ ذِكْرُه– وكَانَتْ رُتْبَتُه أَمِير مِائَة مُقَدَّم أَلْف[٩٦].

وفِي سَنَة ٧٥٣هـ/١٣٥٢م أُسْنِدَت تِلْكَ الوَظِيفَة إِلَى الأَمِير بَلَبان السِّنَاني الأسْتادَّار[٩٧]، وكَذَلِكَ فِي السَّنَة الَّتِي بَعْدها[٩٨]، وكَانَ مِن الأُمَرَاء مُقَدَّمي الْأُلُوف[٩٩].

وفِي سَنَة ٧٦١هـ/ ١٣٦٠م وَلِيَها الأَمِيرُ نَاصِر الدِّيْن مُحَمَّد بْن عُمَر البُتْخَاصّي[١٠٠] بَعْد أنْ مَنَحَهُ السُّلطَان إِمْرة طَبْلَخاناه، وجَعَلَهُ مُشِدًّا فِي العَمَائِر السُّلْطَانِيَّة بالْقَاهِرَة، ثُمَّ جَهَّزه إِلَى مَنْفَلُوط لقَبْض مُغَلّها[١٠١].

وفِي سَنَة ٨١٨هـ/ ١٤١٦م كُلِّفَ بِها أسْتادَّارُ السُّلطَان المَؤَيَّد شَيْخ[١٠٢] – بَدْر الدِّيْن حَسَن بْن مُحِبّ الدِّيْن الطَّرَابلسيّ[١٠٣]– فتَوَجَّهَ إِلَى الصَّعِيد وَقْت قَبْض الْمُغَلّ، وحَارَب العُرْبَان[١٠٤].

وفِي سَنَة ٨٢٥هـ/ ١٤٢٢م تعيَّن الأَمِيرُ "أَيْتَمُش الخضري"[١٠٥] للتوجُّه إِلَى مَنْفَلُوط لقَبْض مُغَلّ السُّلطَان –الصَّالح نَاصِر الدّين مُحَمَّد بْن الظَّاهِر طَطَر– لكنَّه امْتَنعَ مِن ذَلِكَ، فعَاقَبَه السُّلطَانُ بعَزْلِه عَنِ إِمْرتِه ونَفَاهُ إِلَى القُدْس بَطَّالًا[١٠٦]، وكَانَ رُتْبَته حِينئذٍ أَمِير عَشرَة[١٠٧].

وفِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ ١٥ جُمَادَى الْأُولَى سَنَة ٨٣٨هـ/ ١٧ دِيسِمبِر ١٤٣٤م، وفِي سَابِقةٍ مِن نَوْعِها، جُمِعَتْ كُشُوفِيَّة قَبْض مَنْفَلُوط مَعَ وِلايتِها، وأُسْنِدَتا لدُولات خجَا[١٠٨] وَالِي الْقَاهِرَة، واسْتَمَرَّتِ الولَايَة بالْقَاهِرَة شَاغِرة إِلَى يَوْمِ الْأَحَدِ سَابِع عَشرِهِ/ ١٩ دِيسِمبِر، فاسْتَقَرَّ فِيْهَا عَلَاءُ الدّين عَليّ بْن الطَّبَلاوي[١٠٩] بَعْدَ أَنْ كَانَ لَهُ بِضْع عَشرَ سِنِينَ مَعْزُولًا عَنْها[١١٠].

وَمِمَّنْ شَغَلُوا كُشُوفِيَّةَ الْقَبْض أَيْضًا: جانِبَك النَّاصِريّ المُرتدّ[١١١]، وذَلِكَ بَعْدَ أَنْ صَيَّره الظَّاهِر جَقْمَق (٨٤٢– ٨٥٧هـ/١٤٣٨– ١٤٥٣م) مِن أُمَرَاء الْعَشَرَاتِ، ثُمَّ مِن رُؤوس النُوَب[١١٢]، ثُمَّ بَعَثَهُ إِلَى مَنْفَلُوط كَاشِفًا لِلْقَبْض والْمِسَاحَة[١١٣].

ويُسْتَفادُ مِن إِشَارَةٍ وَرَدَتْ فِي تَرْجَمةٍ للأَمِير آقْبَاي السَّيْفِيّ قَانِبَك (قَانِي بَك[١١٤]) السَّيْفِيّ يَشْبُك بْن أَزْدَمُر أنَّ أُسْتَاذه شَغَلَ وَظِيفَة كَاشِف الْقَبْضِ والْمِسَاحَة بالأَعْمَال المَنْفَلُوطيَّة[١١٥]. وأُسْتَاذه المَذْكُور –بِناءً عَلَى اسْم المُتَرجَم لَه وتَفاصِيل تَرْجَمتِه– هُوَ قَانِبَك (قَانِي بَك) السَّيْفِيّ يَشْبُك بْن أَزْدَمُر (ت ٨٧٩هـ/ ١٤٧٤م)، وكَانَ مِن الدَّوَادَارية[١١٦] وأَحَد أُمَرَاء الْعَشَرَاتِ[١١٧]، ثُمَّ صَارَ مِن الطَّبْلَخانات[١١٨]. وَلَا نَعْلَمُ عَلَى وَجْهِ التَّحْدِيد مَتَى شَغَل كُشُوفِيَّة الْقَبْض بمَنْفَلُوط ؟ لَكِن قِياسًا عَلَى رُتَبِ مَن أُسْنِدَت إِلَيْهِم هَذِهِ الوَظِيفَة عَصْرئذٍ، والَّتِي لَمْ تَقِلّ بِأَيِّ حَالٍ مَن الأَحْوَالِ عَنْ رُتْبة أَمِير عَشرة، نَسْتبعدُ أَنْ يَكُونَ شَغَلَها قَبْلَ سَنَة ٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م؛ فهِيَ سَنَة حُصُولِه عَلَى تِلْكَ الإِمْرة[١١٩]. كَمَا نَسْتبعدُ أَنْ يَكُونَ شَغَلَها بَعْدَ سَنَة ٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م، حَيْثُ اسْتعفَي فِي تِلْكَ السَّنَة عَنِ الإِمْرة والوَظِيفَة مَعًا[١٢٠]؛ بِسَببِ عَجْزِه وكِبَر سِنّه[١٢١].

وَمِمَّنْ كُلِّفَ بكُشُوفِيَّة الْقَبْض أَيْضًا: الأَمِيرُ يَشْبُك مِن مَهْدي[١٢٢] الدَّوَادَار الْكَبِير والأسْتادَّار والْوَزِير[١٢٣]، وكَلَّفَه بِها السُّلطَانُ قَايِتْباي، فسَافَرَ فِي أَوَاخِر شَهْر مُحَرَّمٍ سَنَة ٨٧٤هـ/ أُغُسطُس١٤٦٩م إِلَى الْوَجْه الْقِبْلِيّ[١٢٤]مِنْ أَجْلِ هَذَا، أَوْ كَمَا يَقُولُ ابْنُ إِيَاس[١٢٥] "بِسَببِ جَمْع الْمُغَلّ مِن الْبِلَاد الْقِبْلِيّة". ووَصَلَ الخَبَرُ بوُصُوله إِلَى مَنْفَلُوط فِي أَوَاخِر شَهْر صَفَرٍ/ سِبْتَمْبِر مِن تِلْكَ السَّنَة[١٢٦].

ولمَّا سَافَرَ – الأَمِيرُ يَشْبُك مِن مَهْدي– إِلَى شَمَال بِلاد الشَّام وانْشَغَلَ فِي حَرْبه ضِدَّ شَاه سوار[١٢٧] مِن سَنَة ٨٧٥هـ/ ١٤٧٠م إِلَى سَنَة ٨٧٧هـ/ ١٤٧٢م بَاشَرَ شَرَفُ الدِّيْن مُوسَى بْن غَرِيب[١٢٨] الْوِزَارَة والأسْتادَّارية نِيَابَة عَنْهُ[١٢٩]، وكَانَ يَخْرُج إِلَى الْوَجْه الْقِبْلِيّ لمِسَاحَة الْبِلَاد وقَبْض الغِلَال، وبصُحْبَتِه جَانم[١٣٠] دَوَادَار يَشْبُك المَذْكُور[١٣١].

وبَعْدَ مَقْتَل الأَمِير يَشْبُك سَنَة ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م عَرفنَا –اسْتِنباطًا– أنَّ دَوَادَاره لَاحِين[١٣٢] الَّذِي كَانَ كَاشِفًا بالْوَجْه الْقِبْلِيّ (سُيُوط ومَا وَالاَها) فِي أَيَّام أُسْتَاذه –يَشْبُك– هُوَ الَّذِي بَاشَرَ مَهامّ كَاشِف الْقَبْضِ مِن بَعْدِه، وهَذَا اسْتَنبطناه مِن عِبَارةٍ لعَبْد الْبَاسِط بْن خَلِيل[١٣٣] يَقُول فِيها: "وكَانَ لَاحِين بـبَعْض بِلَاد الصَّعِيد يَتكلَّم عَلَى بَعْض جِهَات السُّلْطَان، بَعْدَ مَوْت أُسْتَاذه يَشْبُك".

وفِي سَنَة ٨٨٧هـ/ ١٤٨٢م أُسْنِدَت كُشُوفِيَّة الْقَبْض للوَزِير خُشْقَدَم[١٣٤]، فخَرَجَ فِي شَهْر رَمَضَانَ/ أُكتُوبر مِن تِلْكَ السَّنَة إِلَى الْوَجْه الْقِبْلِيّ؛ لمُحَارَبَةِ عُرْبَان مَنْفَلُوط[١٣٥] و"ضَمّ الْمُغَلّ"[١٣٦].

وفِي سَنَة ٨٨٨هـ/ مَايُو١٤٨٣م سَافَرَ الأَمِير آقْبَرْدي الدَّوَادَار[١٣٧] إِلَى الْوَجْه الْقِبْلِيّ "بِسَببِ ضَمّ الْمُغَلّ"[١٣٨]، وللسَّبَبِ نَفْسه سَافَرَ إِلَيْهِ مَرَّةً أُخْرَى فِي سَنَة ٨٩٢هـ[١٣٩]/ ١٤٨٧م. ولَدَيْنا إِشَاراتٌ حَوْلَ ذِهَابه وإِيَابه، إِلَى هُنَاكَ كَذَلِكَ، فِي سنوات ٩٠٠هـ[١٤٠]/ ١٤٩٥م و٩٠١هـ[١٤١]/ ١٤٩٦م و٩٠٢هـ[١٤٢]/ ١٤٩٧م، لَكِن هَذِهِ الإِشَارات لَمْ تُفْصِح عَنْ سَبَب سَفَره فِي المَرَّات الثَّلاث، ولا نَسْتبعدُ بطَبيعَةِ الحَالِ أَنْ تَكُونَ كُشُوفِيَّة الْقَبْض مِنْ وَرَائِهِنَّ، قِيَاسًا عَلَى مَا بَدَا لَنَا بخُصُوص سَفَره فِي المَرَّتيْن السَّابِقَتيْن.

وللسَّبَبِ ذَاتـه –كُشُـوفِيَّة الْقَـبْض أو ضَـمّ الْمُغَـلّ– سَـافَرَ بَعْـدَ ذَلِـكَ، الأَمِيـرُ طُقطباي[١٤٣] وَزِيـر الدِّيَار المِصْريَّة إِلَـى جِهَـة الصَّـعِيد فِـي شَـعْبَان سَنَة ٩٠٧هـ[١٤٤]/ فبْرَايـر ١٥٠٢م. وكَـانَ حِينهـا مِـن الأُمَـرَاء مُقَـدَّمي الْأُلُـوف، وقَـدْ جَمَـعَ بَـيْن الْـوِزَارَة والأسْتادَّارية[١٤٥].

كَمَـا سَـافَرَ الأَمِيـرُ "طُومـان بَـاي" الـدَّوَادَار[١٤٦] إِلَـى هُنَـاكَ، فِـي سَـنَوات: ٩١٦هـ[١٤٧]/ ١٥١٠م، و٩١٨هـ[١٤٨]/ ١٥١٢م، و٩١٩هـ[١٤٩]/ ١٥١٣م، و٩٢٠هـ[١٥٠]/ ١٥١٤م، وذُكِرَتْ أَسْفَارُه هَذِه مَشْفُوعةً بالْغَرَضِ مِنْها: وَهُوَ "ضَمّ الْمُغَلّ".

وعَلَى كُلٍّ، فالأَمْثِلَة السَّابِق عَرْضُها –الْوَارِدَة فِي المَصَادِر المُتَاحَة– لِمَن عُيِّنُوا فِي كُشُوفِيَّة الْقَبْضِ بمَنْفَلُوط زَمَنِ الْمَمَالِيك تَكْشِفُ أَنَّ السُّلْطَة الحَاكِمَة كَانَتْ تَخْتَارهم مِن الأُمَرَاء ذَوِي الرُّتَب الْعُلْيَا الْمُقَرَّبِينَ إِلَيها، خَاصَّة مِن أُولَئكَ الَّذِينَ كَانُوا يَشْغَلُون وَظَائفَ أَوْ مَنَاصِبَ رَفِيعةً بِالْحَضْرَةِ السُّلْطَانِيَّة، كالدَّوَادَارية أَوِ الأسْتادَّارية أَوِ الْوُزَرَاء ... الخ.

وَمِنْ جَانِبٍ آخَر تَكْشِفُ تِلْكَ الأَمْثِلَة أَنَّ أَغْلَب الَّذِينَ عُيِّنُوا فِي كُشُوفِيَّة الْقَبْضِ كَانُوا مِن الدَّوَادَارية، خَاصَّة زَمَن الْمَمَالِيك الجَرَاكِسة، وبالأَخَصّ فِي عُهُود السَّلاطِين الآواخِر مِنْهم، حَتَّى بَاتَ –عَلَى مَا يَبْدُو– ذَلِكَ تَوَجُّها إِدَارِيًّا اعْتَمَدُوه فِي تَعْيينهم لكُشَّاف القَبْض. وقَدْ أَلْمَحَ ابْنُ إِيَاس[١٥١]، الَّذِي عَاصَرَ هَؤُلَاء السَّلاطِين، إِلَى هَذَا التَّوجُّه فِي سِيَاق تَسْجِيله لمُجْرِيَات الأَحْداث فِي مِصْر مَعَ بِدايَات العَصْر العُثْمانيّ؛ وتَحْديدًا فِي أَحْداث شَهْر جُمَادَى الْأُولَى سَنَة ٩٢٥هـ/ مَايُو ١٥١٩م، إذ يَقُول: "وفِي يَوْمِ الْأَحَدِ تَاسِعه خَرَجَ القَاضِي بَرَكَات بْن مُوسَى[١٥٢] الْمُحْتَسِبَ إِلَى مِسَاحَة بِلَاد الصَّعِيد واسْتِخْرَاج الْمُغَلّ الَّذِي بِهَا، وكَانَتْ هَذِهِ وَظِيفَة الأَمِير يَشْبُك الدَّوَادَار والأَمِير آقْبَرْدي الدَّوَادَار وغَيْرهما مِن الدَّوَادَارية".

وعَلَى الْعُمُومِ، فبَعْدَ أَنْ يَخْتَارَ السُّلطَانُ كَاشِفَ الْقَبْضِ يُجَهِّزهُ[١٥٣] بِمَا يَحْتَاج إِلَيْهِ، ويَخْلَع عَلَيهِ[١٥٤] خِلْعَةً[١٥٥] (أو تَشْرِيفَةً[١٥٦]) بِمَا يَتَمَاهَى مَعَ رُتْبَتِهِ؛ إِشْعَارًا بتَولّيه

مَنْصِبه، جَرْيًا عَلَى العَادَة المُتَّبَعة عِنْدَ تَوْلِيَةِ أَمِيرٍ أَوْ صَاحِبِ مَنْصِبٍ وَظِيفَةً مَا أَنْ يَلْبَسَ تَشْرِيفًا يُناسِب وِلايتَه الَّتِي وَلِيَها، عَلَى حَسَب مَا تَقْتضِيه الرُّتْبَة؛ عُلوًّا وهُبُوطًا(١٥٧).

وتَأْسِيسًا عَلَى هَذَا، كَانَتْ خِلَعُ كُشَّاف الْقَبْض تَخْتَلِف مِن كَاشِفٍ لآخَر، فِي مَضَامِين هَيئتِها وقِيمَتِها، مِن حَيْثُ الأَلْوان والطُّرُز والخَامَات والمَواد الثَّمِينة المُرصَّعة بِها، عَلَى حَسَب رُتْبة الأَمِير المُنعَم عَلَيهِ بها. وهَذَا يُمْكِنُ الاسْتِدلال عَلَيهِ مِمَّا وَرَدَ بالمَصَادِر عَنِ الْخِلَع والتَّشَارِيف، وتَنُّوع طَبَقاتها ومَرَاتِبها فِي ذَلِكَ العَصْر، لَا سِيَّمَا تَشَارِيف أَرْبَاب السُّيُوف(١٥٨).

وتِلْكَ الْخِلْعَةُ الَّتِي يَخْلَعها السُّلطَانُ عَلَى كَاشِف الْقَبْضِ يَخْلَعها عَلَيهِ فِي حَفْلٍ مَهِيبٍ، يُقَام فِي القَلْعَة –قَلْعَة الجَبَل، مَقَرّ السَّلْطَنَة– يَحْضره كِبَارُ الأُمَرَاء والمَسؤولين، وبَعْدَه يَنْزِل الأَمِيرُ (كَاشِفُ الْقَبْضِ) مِن القَلْعَة فِي مَوْكِبٍ حَافِلٍ، وصُحْبَته الأُمَرَاءُ المُقَدَّمون والأَعْيَانُ مِن الْمُبَاشِرين (المُوظَّفِين) وغَيْرهم، ثُمَّ يَخْرُج مُتوجِّهًا إِلَى مَنْفَلُوط لتَنْفِيذ مَهامّه، ويَكُون ذَلِكَ الْيَوْم مَشْهُودًا –حَسَب وَصْف ابْن إِيَاس(١٥٩)– وإِنْ صَادَفَ خُرُوجُه يَوْمَ جُمُعَةٍ كَانَ يُصلِّي الْجُمُعَةَ مَعَ السُّلْطَان، ثُمَّ يَنْزِل مِن القَلْعَة(١٦٠) مُتوجِّهًا إِلَى السَّفَر.

وإِنْ كَانَ كَاشِفُ الْقَبْضِ مِن الأُمَرَاء الطَّبْلَخانات، فمَا فَوْق، كَانَتْ فِرْقَةُ الطَّبْلَخاناه – تُقابِل فِرْقَة المُوسِيقى العَسْكَرِيَّة فِي وَقْتِنا الحَاضِر– تَدُقُّ لَهُ الطُّبُولُ ومَا مَعَها مِن آلَاتٍ، تَكْرِيمًا وتَشْرِيفًا لَهُ، جَرْيًا عَلَى العَادَةِ المُتَّبعة مَعَ أَقْرَانِه مِن الأُمَرَاء حَامِلي الرُّتْبَة نَفْسها، والَّذِينَ كَانَ مِن أَحَقِّيَّتهم دَقُّ الطُّبُولِ عَلَى أَبْوَابِهِمْ عِنْدَ خُرُوجِهم ودُخُولِهم، وفِي مَواعِيد مُحَدَّدة مِن الْيَوْم، كَمَا يُفْعلُ بالقَصْر السُّلْطَانيّ(١٦١). ومِن المُدهِش أنَّه عَلَى الرَّغْمِ مِن انْحِسَار وتَلاشِي عَادَةُ دَقِّ الطُّبُول لأُمَرَاء الطَّبْلَخاناه مَعَ قُرْب نِهايَات العَصْر الْمَمْلُوكِي إِلَّا أنَّ كُشَّاف الْقَبْض كَانُوا مِمَّنْ حَظُوا باسْتِمراريّة دَقّها لَهُم عِنْدَ تَوجُّههم لتَنْفِيذ مَهامّهم. ولَيسَ ثَمَّة شهَادَة أَصْدَق عَلَى ذَلِكَ مِن مَقُولة شَمْس الدِّينِ السّحمَاوِيّ(١٦٢) (ت ٨٦٨هـ/ ١٤٦٤م) فِي حَقِّ أُمَرَاء الطَّبْلَخاناه، إِذْ يَقُولُ: "وَهُم

فِي زَمَانِنا لَا يَدُقّ لَهُم طَبْلَخاناه[١٦٣] إِلَّا إِذَا تَوجَّهوا فِي مُهِمّ شَرِيفٍ لكَشْف جُسُور أَوْ قَبْض غِلَال ونَحْوَ ذَلِكَ".

وهَذِهِ المَرَاسِمُ المُتَّبَعةُ عِنْدَ تَعْيين كَاشِف الْقَبْضِ، وقُبَيل سَفَره إِلَى مَنْفَلُوط، تَعْكِسُ الْمَنْزِلَةَ الرَّفِيعَةَ الَّتِي تَمَتَّعَ بِها كُشَّافُ الْقَبْضِ بَيْن أَقْرَانهم مِن الأُمَرَاء الْعَامِلِينَ فِي جِهَاز الحُكُومَة الْمَمْلُوكِيَّة وغَيْر الْعَامِلِينَ آنذَاكَ. لَكِن يَجِب ألَّا نَنسَى أنَّ تِلْكَ الْمَنْزِلَة أَسْهَمَ فِي رِفْعَتِها بطَبيعَةِ الحَالِ الرُّتَبُ العَسْكَرِيَّةُ الْعُلْيَا الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا الأُمَرَاء المَنُوط بِهم شَغْل كُشُوفِيَّة الْقَبْض، والَّتِي تَعْكِسُ هِيَ فِي حَدّ ذَاتها أَهميَّة تِلْكَ الوَظِيفَة وعُلُو مَكَانة شَاغِلِيها، والَّتِي اخْتَلَفَت مُجَسّداتُها مِن كَاشِفٍ لآخَر، كُلّ حَسَب رُتْبَته، وقَدْ بَدَا لَنَا ذَلِكَ مَلْمُوسًا مَثَلًا فِي الْخِلَع والتَّشَارِيف المَمنُوحة لَهُم.

ويُمْكِنُ أنْ نَلْمسُه كَذَلِكَ فِي الْمُكَاتَبَات السُّلْطَانِيَّة الصَّادِرة إِلَيْهِم مِن دِيْوَان الْإِنْشَاء عَصْرئِذٍ، حَيْثُ كَانَ يُكْتَبُ لكُلّ مِنْهم بِمَا تَقْتضِيه رُتْبَتُه. وقَدْ بَيَّنَ ابْنُ نَاظِر الْجَيْش[١٦٤] (ت٧٨٦هـ/١٣٨٤م) –الَّذِي عَملَ فِي دِيْوَان الْإِنْشَاء– رَسْم الْمُكَاتَبَة إِلَيْهِم، بِقَوْلِهِ: "أمَّا مَن يَتَوجَّه مِن الأُمَرَاء إِلَى الأَعْمَال –أَيْ الأَقَالِيم– المَذْكُورة بِسَببِ كَشْف الْجُسُور أَوِ التَّخْضِير أَوْ قَبْض الغِلَال فإِنَّ الْمُكَاتَبَة إِلَيْهِ إِنْ كَانَ طَبْلَخاناه السَّاميّ بالْيَاء، وإِنْ كَانَ عَشرَة بالسَّامِي بغَيْر يَاء"[١٦٥].

وأَوْرَدَ القَلْقَشَنْديّ (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م)، الَّذِي عَملَ هُوَ الآخَر فِي دِيْوَان الإنشاء، الكَلَامَ نَفْسه –نَقْلًا عَنِ ابْن نَاظِر الْجَيْش– وسَطَّره فِي كِتَابِهِ صُبْح الأَعْشَى[١٦٦]، وذَلِكَ فِي سِيَاق بَيانه "مَرَاتِب المَكْتُوب إِلَيْهِم مِن أَهْل المَمْلَكة، ومَا يَسْتَحِقُّهُ كُلٌّ مِنْهم مِن الْمُكَاتَبَات" عَلَى عَهْدِه، حَيْثُ جَعَلَ مَرَاتِبَهم أَنْواعًا ثَلاثَة: أَرْبَاب السُّيُوف، وأَرْبَاب الأَقْلَام، والْخوَنْدات السُّلْطَانِيَّة[١٦٧]. ثُمَّ قَسَّم أَرْبَابَ السُّيُوف إِلَى ثَلاثَةِ أَقْسَام؛ الأَوَّل مِنْهم –الَّذِي يَعْنِينَا هُنَا– مَن هُوَ مِنْهم بالدِّيَار المِصْريَّة، وهَؤُلَاء جَعَلَهم سِتَّةَ أَصْنَاف[١٦٨]، جَاءَ كُشَّافُ الْقَبْض ضِمْن صنْفِهم الرَّابِع، الَّذِي ضَمّ المُتَوجّهين مِن الْأَبْوَاب السُّلْطَانِيَّة مِن الأُمَرَاء لبَعْض الأَعْمَال –الأَقَالِيم– لكَشْف الْجُسُور وعِمَارتها، أَوْ

لتَخْضِير الْبِلَاد، أَوْ لقَبْض الغِلَال[١٦٩]. ثُمَّ أَوْرَدَ رَسْم الْمُكَاتَبَة إِلَيْهِم عَلَى مَا قَالَهَ ابْنُ نَاظِر الْجَيْش.

وكَرَّرَ القَلْقَشَنْديّ كَلَامَه هَذَا مَرَّةً أُخْرَى، فِي كِتَابِهِ ضَوْء الصُّبح المُسفِر[١٧٠]، مَعَ مُلاحَظة أنَّه أَدْرَجَ كُشَّافَ الْقَبْضِ عِنْدَ تَصْنِيفِهِ لأَرْبَاب السُّيُوف بالدِّيَار المِصْريَّة ضِمْن الصّنْف الخَامِس ولَيسَ الرَّابِع. وسَبَب ذَلِكَ أنَّ تَصْنِيفه اشْتَملَ هَذِهِ المَرَّة عَلَى سَبْعَةِ أَصْنَاف، ولَيسَ سِتَّة[١٧١]؛ وذَلِكَ بإضَافتِه "وُلَاة الْعَهْد بالسَّلْطَنَة"[١٧٢] كصنْف أَوَّل قَبْلَ الأَصْنَاف السِّتَّة المَذْكُورة فِي كِتَابِهِ الأَوَّل. وتَرْتِيب الأَصْنَاف السَّبْعَة كَمَا أَوْرَدَها: الصّنْف الأَوَّل وُلَاة الْعَهْد بالسَّلْطَنَة – الثَّانِي نُوَّاب السَّلْطَنَة الشَّرِيفَة؛ النَّائِب الكَافِل، نَائِب الإسكندرية، نَائِبي الْوَجْهين الْقِبْلِيّ والبَحرِيّ– الثَّالِث الكُشَّاف؛ كَاشِفَا الفَيُّوم والبَهْنَساويَّة وكَاشِف الْوَجْه البَحرِيّ– الرَّابِع الوُلَاة بالْوَجْهين الْقِبْلِيّ والبَحرِيّ– الخَامِس كُشَّاف الْجُسُور والمُتَوجّهون لتخْضِير الْبِلَاد وقَبْض الغِلَال – السَّادِس بَاقِي الأُمَرَاء بالدِّيَار المِصْريَّة– السَّابِع أُمَرَاء الْعُرْبَان بالدِّيَار المِصْريَّة[١٧٣].

وذَانِكَ التَّصْنِيفان –السُّدَاسي والسُّبَاعي– يَكْشِفان عَلَى حَدٍّ سَواء أنَّ الْمُكَاتَبَات السُّلْطَانِيَّة الصَّادِرة إِلَى كُشَّاف الْقَبْض كَانَتْ تَلِي فِي المَكَانة والْقِيمَة الْمُكَاتَبَات الصَّادِرة إِلَى الوُلَاة، حَتَّى زَمَن مُصَنِّفهما (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م).

بَعْدَ ذَلِكَ سيَتبدَّل الأَمْرُ، فتُصْبِح رُتَبُ ومُكَاتَبَاتُ كُشَّاف الْقَبْض أَعْلَى مِن رُتَبِ ومُكَاتَبَاتِ الوُلَاة، لتَلِي بذَلِكَ رُتَبَ ومُكَاتَبَات كُشَّافِ الأَقَالِيم مُبَاشرةً. وهَذَا دَلَّنا عَلَيهِ تَصْنِيفٌ أعَدَّه شَمْسُ الدِّينِ السّحمَاوِيّ[١٧٤] (ت٨٦٨هـ/ ١٤٦٤م) بخُصُوص مَرَاتِب المَكْتُوب إِلَيْهِم مِن أَرْبَاب السُّيُوف بالدِّيَار المِصْريَّة فِي زَمَنِه، حَيْثُ جَعَلَهم سِتَّةَ أَصْنَاف: (وُلَاة الْعَهْد بالسَّلْطَنَة– أُمَرَاء الحَضْرة الشَّرِيفَة؛ المُقَدَّمين أَرْبَاب الْوَظَائِف– نُوَّاب السَّلْطَنَة بالدِّيَار المِصْريَّة –الكُشَّاف –كُشَّاف الْجُسُور بالْوَجْهين الْقِبْلِيّ والبَحرِيّ – الوُلَاة بالْوَجْهين الْقِبْلِيّ والبَحرِيّ). ففِي هَذَا التَّصْنِيف أَدْرَجَ السّحمَاوِيّ كَاشِفَ الْقَبْضِ فِي الصّنْف الخَامِس الَّذِي ضَمّ كُشَّاف الْجُسُور بالْوَجْهين الْقِبْلِيّ والبَحرِيّ، وذَلِكَ بِقَوْلِهِ فِيمَا

يَخُصّ كُشَّاف جُسُور أَوَّلهما: "هُم أَرْبَعة؛ كَاشِف الجِيْزَة، وكَاشِف البَهْنَساويَّة، وكَاشِف الفَيُّوم، ورَسْم الْمُكَاتَبَة إِلَى كُلٍّ مِنْهُمْ بحَسَب إِمْرَته، ويُلْحَق بِهم كَاشِفُ الْمُغَلّ بمَنْفَلُوط"(١٧٥).

وجَدِيرٌ بالتَّنْويه: أنَّ الْمُكَاتَبَات الصَّادِرة مِن الْأَبْوَاب السُّلْطَانِيَّة إِلَى كُشَّاف الْقَبْض لَمْ تَكُنْ وَحْدها الَّتِي يُرَاعَى فِيْهَا رُتْبةُ كَاشِف الْقَبْضِ حَال الكِتَابة إِلَيهِ، وإِنَّما أُخِذَ ذَلِكَ بعَيْنِ الِاعْتِبَار أَيْضًا فِي الْمُكَاتَبَات الَّتِي عُرِفَتْ آنذَاكَ بـ "الْإِخْوَانِيَّات"(١٧٦)، فإِذَا كَانَ كَاشِفُ الْقَبْضِ مِن الأُمَرَاء مُقَدَّمي الْأُلُوف فمُكَاتَبته تَأْتِي فِي "الْإِخْوَانِيَّات" فِي المَرْتَبَة الرَّابِعة مِن الطَّبَقَة الثَّالِثة(١٧٧)، ويُكْتَبُ إِلَيْهِ فِيْهَا "البَاب الكَرِيم". أَمَّا إذا كَانَ مِن الأُمَرَاء الطَّبْلَخاناه فمُكَاتَبته تَأْتِي فِي المَرْتَبَة السَّادِسة مِن الطَّبَقَة الثَّالِثة، ويُكْتَبُ إِلَيْهِ فِيْهَا "يُقبِّل اليَد الْعَالِيَة". ولُو انْحَطَّتْ رُتْبةُ أَحَدِهم عَنْ ذَلِكَ كُتِبَ إِلَيهِ: "أَعزَّ الله تَعَالى أَنْصَار المَقَرّ الكَرِيم"، أَوْ "نُصْرَة الجَنَاب الكَرِيم"، أَوْ "ضَاعَفَ الله تَعَالى نِعْمَة الجَنَاب العَالِي"(١٧٨).

وَصَفْوَةُ القَوْل: إنَّ مَا بَحَثْنَاهُ فِي هَذَا المِحْوَر يُفْضِي إِلَى أنَّ السُّلطَان هُوَ الَّذِي يُعَيّن كَاشِفَ الْقَبْضِ، ويَخْلَع عَلَيهِ الْخِلَع أَوِ التَّشَارِيف قَبْلَ سَفَره إِلَى منفلوط لأَدَاء وَظِيفَته، الَّتِي حُفَّتْ بمَخَاطِر مُواجَهة الْعُرْبَان وغَيْرها، ولهَذَا كَانَ السُّلطَانُ يَخْتَارُهُ مِنِ الأُمَرَاء الأَكْفَاء أَصْحَاب الرُّتَب الْعُلْيَا، الَّذِينَ يَشْغَلُون وَظَائِف مَرْمُوقة فِي جِهَاز حُكُومَته، وبالذَّات مِن الْمُقَرَّبِينَ إليه، الَّذِينَ هُم مَوْضِع ثِقَته. وهَذَا الْمَسْلَك السُّلطَاني لَمْ يَخُصّ اخْتِيار كُشَّاف الْقَبْض فَحَسْب، بَل انْتَهَجَهُ السَّلاطِينُ عِنْدَ اخْتِيار أَصْحَاب الْوَظَائِف أَوِ المَنَاصِب الْعُلْيَا فِي دَوْلَتهم عُمُومًا؛ بِسَببِ الظُّرُوف السِّياسيَّة المُضْطَرِبة الَّتِي مَرَّت بِها الْبِلَاد فِي ذَلِكَ العَصْر، والَّتِي جَاءَت مَصحُوبَة فِي كَثِيرٍ مِن الأَوْقَات – خَاصَّة فِي عَصْر الجَرَاكِسة– بتَنْفِيذ عَمليَّات غَدرٍ وخِيانَة، طَالَتْ كِبَار المَسؤولين فِي الدَّوْلَة، حَتَّى السَّلاطِين أَنْفُسهم. ومِن هُنَا رَأَيْنا السَّلاطِين يَعْتَمِدُونَ بصُورَةٍ أَسَاسيَّة عَلَى أَقْرَب الْمُقَرَّبِينَ إِلَيْهِم فِي تَسْيِير أَعْمَالهم، وإِدَارة شُؤونهم الخَاصَّة، ومِن بَيْنها، بَلْ مِن أَهمّها، قَبْض غِلَالهم مِن المَنْفَلُوطيَّة التَّابِعة لدِيْوان "الخَاصّ السُّلْطَانِي". فَتَرَى السُّلطَان

مِن هَؤُلَاء يَجْمَع كُشُوفِيَّةَ الْقَبْض مَعَ وَظَائِف أُخْرَى مُهمّةٍ لدَّوَادَاره الْكَبِير –مَثَلًا– ويَعْتبرهُ سَاعِدَهُ الْأَيْمَنَ الأَمِين، فِي وَقْتٍ أَفَلَ فِيهِ نَجْمُ الوَفَاء والإِخْلاص أَوْ كَادَ. فَتَرَى هَذَا الْأَخِير يَشْغَل وَظَائِف الدَّوَادَارية والأسْتادَّارية والْوِزَارَة وكُشُوفِيَّة الْقَبْض وغَيْرها دُفْعَةً وَاحِدَةً، حَتَّى إنَّ كُتَّاب دِيْوَان الْإِنْشَاء اهْتَمّوا بتَرْتِيب الأَلْقَاب والنُّعُوت الوَظِيفِيَّة فِي الْمُكَاتَبَات الصَّادِرة إِلَى المُوظَّفِين الَّذِينَ يَجْمَعُون عِدَّة وَظَائِف أَوْ مَنَاصِب بِأَيْدِيهِمْ، وبَاتَ ذَلِكَ مِن القَواعِد الْمَرْعِيَّة عِنْدَهم فِي الْمُكَاتَبَات الدِّيوَانية عَصْرئذٍ؛ فعِنْدَ تَوْجِيه مُكَاتَبَة إِلَى صَاحِب وَظِيفَتَيْن أَوِ أكْثَر "يُورَدُ فِي تَقْلِيدِه فِي الْمُكَاتَبَة إِلَيْهِ الألقابُ والنُّعُوتُ الَّتِي تَتَمَيَّز بِها كُلُّ وَظِيفَة، ثُمَّ يُقَدَّم أَلْقابُ أَعْلَى الوَظِيفَتَيْن"[١٧٩]، وهَكَذا.

رَابِعًا: مَهامُّ كَاشِف الْقَبْضِ ومُدَّةُ إقَامَتِه بمَنْفَلُوط

يُمْكِنُ التَّعرُّف عَلَى مَهامّ "كَاشِف الْقَبْضِ" بصُورَةٍ مَبْدئيَّة مِن مَحْتَوى مُسَمَّاه الوَظِيفيّ، وتَتَبُّع مُرادفَاته الْوَارِدَة بالمَصَادِر؛ فعِنْدَمَا يَأْتِي فِي بَعْض المَصَادِر أنَّه "كَاشِف الْمُغَلّ بمَنْفَلُوط"[١٨٠]، فهَذَا يَعْكِسُ أنَّه المَسْؤول عَنْ قَبْض غِلَال السَّلْطَنَة مِن مَنْفَلُوط. وعِنْدَمَا يُذْكَر أنَّه "كَاشِف الْقَبْضِ والْمِسَاحَة" بمَنْفَلُوط[١٨١] أَوْ بالأَعْمَال المَنْفَلُوطيَّة[١٨٢] فهَذَا يَعْكِسُ أنَّ مَسْح أَرَاضِيها دَاخِلٌ فِي دَائِرة اِخْتِصَاصاته.

وَلَوْ أَخَذْنَا فِي الِاعْتِبَار أَنَّ لَقَب "كَاشِف" يُشِير –فِي عُمُوم إِطْلَاقِه– إِلَى مَنْصِبٍ يَشْغَله أَحَدُ القَادَة العَسْكريّين (أَرْبَاب السُّيُوف) فذَلِكَ يَعْكِسُ بالضَّرُورَة أنَّ كَاشِف الْقَبْضِ كَانَ يُؤدِّي مَهامّ ذَات طَابِع عَسْكَريّ فِي نِطَاق عَمَلِه، الَّذِي شَهِدَ كَثِيرًا مِن الِاضْطِرَابات وعَدَم الاسْتَقَرَّار السِّياسِي؛ بِسَببِ ثَورَات الْعُرْبَان وقِيَامهم بأَعْمَال تَخرِيبيَّة وعُدوانيَّة ضِدّ السَّلْطَنَة الْمَمْلُوكِيَّة، خَاصَّة فِي أَوْقَاتِ قَبْض غِلَالها ومُستحقَّاتها المَالِيَّة.

وعَلَى ضَوْءِ هَذِهِ الانْعِكاسَات، يُمْكِن تَأْطِير مَهامّ كَاشِف الْقَبْضِ بأُطُرٍ ثَلاثَة هِي: قَبْض غِلَال السُّلطَان مِن مَنْفَلُوط (أو الأَعْمَال المَنْفَلُوطيَّة)، ومِسَاحَة أَرَاضِيها، ومُحَارَبَة الْعُرْبَان والتَّصَدِّي لمَخَاطِرهم هُنَاك. ولا نَسْتبعدُ بطَبيعَةِ الحَالِ قِيَام كَاشِف

الْقَبْضِ بِأَعْمَالٍ أُخْرَى، لَكِنَّهَا فِي الغَالِب سَتَكُونُ مُنْبثقة مِن مَهامّه الرَّئِيسة المَذْكُورة، والَّتِي سَنَعْرِض تَفاصِيلَها فِيمَا هُوَ آتٍ.

لَكِن قَبْلَ عَرْضها يَجِب التَّنْويه إِلَى أَنَّ كَاشِف الْقَبْضِ كَانَ يُؤَدِّيها بمُعَاونةِ العَسْكريّين الَّذِينَ خَرَجُوا تَحْتَ قِيادَته (مِن الأُمَرَاء والْجُنْد) إِلَى مَنْفَلُوط، فَضْلًا عَنِ الْمُبَاشِرين (المُوظَّفِين) المَسؤولين عَنِ إدارة الْأَرَاضِي السُّلْطَانِيَّة هَنَاكَ، والَّذِينَ يَكُونُون فِي خِدمتِه عِنْدَ وُصُوله إِلَيهَا، ويمدُّونه بِمَا يَحْتَاج إِلَيْهِ مِن المُتطلّبات الحِسَابيَّة، والمُتَعلّقات الإِدَارِيَّة، ذَات الصِّلَة بقَبْض غِلَال مَنْفَلُوط ومَسْح أَرَاضِيها. وهَؤُلَاء الْمُبَاشِرون أَطْلَعَنا القَلْقَشَنْديّ[١٨٣] عَلَى مُسَمّيات وَظَائفهم، قَائلًا: إنَّ مَنْفَلُوط كَانَ لَهَا – مِثْل الجِيْزَيّة– مُبَاشِرون بمُفرَدِها مِن دِيْوَان الْوِزَارَة مَا بَيْن نَاظِرٍ[١٨٤]، ومُسْتَوْفٍ[١٨٥]، وشُهُودٍ[١٨٦]، وصَيْرَفِيّ[١٨٧]، وغَيْرهم.

وبالتَّقَصِّي عَنْ مَبَاشِري هَذِهِ الْوَظَائِف بمَنْفَلُوط فِي ذَلِكَ العَصْر، عَثَرْنا – بِفَضْلِ اللَّهِ– عَلَى إِشَارَات مَصْدَرِيَّة دَلَّتْنا عَلَى بَعْض أَسْمَاءِ مَنْ أُسْنِدَتْ إِلَيْهِم وَظِيفَتا النَّظَر والاسْتِيفَاء خَاصَّة؛ فبِالنِّسْبَة للوَظِيفَة الْأُولَى، وهِيَ وَظِيفَة النَّظَر، وَرَدَ أَنَّها أُسْنِدَتْ إِلَى كَرِيم الدِّيْن عَبْد الكَرِيم المَعْرُوف بكَرِيم الدِّيْن الصَّغِير[١٨٨]، بِمُوجب تَوْقِيع سُلْطَانِي كُتِبَ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّل سَنَة ٧٢٦هـ/ فبْرَاير ١٣٢٦م، فِي سَلْطَنَة النَّاصِر مُحَمَّد بْن قَلَاوُون الثَّالِثة، لَكِنَّهُ أُعْفِيَ مِنْها قَبْلَ أَنْ يَتَسَلَّمَهَا[١٨٩]. كَمَا وَرَدَ أَنَّها أُسْنِدَت إِلَى ابْن سَعِيد الدَّوْلَة[١٩٠]، فبَاشَرَها، حَتَّى خَرَجَ عَرَبُ مَنْفَلُوط وَقَتَلُوهُ –هُوَ وَوَالِيها– فِي شَهْر جُمَادَى الْأُولَى سَنَة ٨٠٠هـ[١٩١] / يَناير ١٣٩٨م.

أَمَّا بخُصُوص الوَظِيفَة الثَّانِيَة، وهِيَ وَظِيفَة الاسْتِيفَاء، فجَاءَ فِي كِتَاب المَجْمَع المُفَنَّن[١٩٢] أَنَّها أُسْنِدَت إِلَى شَرَفِ الدِّين بْن كَرِيم الدِّين بْن بَرِيَّة[١٩٣] (ت٨٨٠هـ/ ١٤٧٥م تَقْرِيبًا[١٩٤])، ثُمَّ أُسْنِدَت إِلَى صَلَاح الدِّيْن مُحَمَّد بْن بَرِيَّة[١٩٥]، وبَعْدَ إِسْنادها إِلَيْهِ حَاوَل ابْنُ عَمّه (إِبْرَاهِيم بْن يَحْيَى بْن بَرِيَّة) أَنْ يَعْزِلَهُ عَنْها ويَأْخُذَهَا لنَفْسِه، وسَعَى وَرَاء تَوَلّيها ببَذْلِ المَال وغَيْره، فلَمْ يُفْلِحْ فِي ذَلِكَ؛ لِسُوءِ سِيرَتِهِ، وَطَمَعِهِ فِي الْأَمْوَال.

وعَلَى كُلِّ حَالٍ، فَهَذِهِ الإِشَارَات المَصْدَريّة، رَغْم قِلَّتها، تَشْهَدُ بوُجُودِ مُوظَّفِين مَدَنِيين يُدِيرُون شُؤون الْأَرَاضِي السُّلْطَانِيَّة بمَنْفَلُوط، ومِن الضَّرُوريّ أنَّهم كَانُوا –هُم والعَسْكريُّون– يُعاوِنون كَاشِف الْقَبْضِ فِي النُّهُوض بأَعْبَاء مَهامّه الَّتِي حَدَّدنا أُطُرَها الرَّئِيسة سَابِقًا، وفِيمَا يَلِي شَرْح تَفاصِيلها:

١– قَبْضُ غِلَال السُّلطَان مِن مَنْفَلُوط

يَأْتِي قَبْضُ غِلَال السُّلطَان (مِن قَمْحٍ وفُولٍ وشَعِيرٍ) مِن مَنْفَلُوط أَوِ الأَعْمَال المَنْفَلُوطيَّة عَلَى رَأْسِ المَهامّ الوَظِيفِيَّة المَنُوط بكَاشِف الْقَبْضِ تَنْفِيذها، فهَوَ المَسؤول عَنْ قَبْضِها وتَخْزِينها فِي الشُّوَن السُّلْطَانِيَّة بمَدِينَة مَنْفَلُوط[١٩٦] تَمْهِيدًا لإِرْسَالها إِلَى الْأَهْرَاء السُّلْطَانِيَّة بالفُسْطَاط[١٩٧].

وكمِّيَّاتُ الغِلَال الَّتِي يَقْبِضُها كَاشِفُ الْقَبْضِ مِن مَنْفَلُوط لَا يُسْتهان بِها، فَهِيَ ذَاتُ مَقَادِير ضَخْمةٍ، تُغطِّي مُعْظَم حَاجَة السَّلْطَنَة مِن الغِلَال سَنَويًّا[١٩٨]. ويُمْكِنُ تَصوُّر ضَخَامةَ مَقَادِيرها عَلَى ضَوْءِ مَا وَرَدَ بالمَصَادِر مِن إِشَارَاتٍ رَاكِضَةٍ إِلَى مَا اخْتصَّ بِهِ بَعْضُ السَّلاطِين الْمَمَالِيك ودَوَاوينُهم مِن الغِلَال المَنْفَلُوطيَّة فِي بَعْض سَنَوات حُكْمِهِمْ؛ مِن ذَلِكَ مَثَلًا مَا وَرَدَ فِي أَحْداث سَنَة ٧٣٨هـ/ ١٣٣٨م عَنْ خسَارَةِ السُّلطَان النَّاصِر مُحَمَّد بْن قَلَاوُون نَحْوَ ٦٠,٠٠٠ إِرْدَبّ فُوْل بِنَاحِيَة مَنْفَلُوط بِسَببِ الفِئْران الَّتِي أَتْلَفَتْ الزُّرُوع وأَجْرَان الغِلَال فِي تِلْكَ السَّنَة[١٩٩]. ومِنْها أَيْضًا مَا ذَكَرَه ابْنُ دُقْمَاق[٢٠٠] (ت ٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م) عَنْ جُمْلةِ مَا كَانَ يُستخرَج مِن مَنْفَلُوط وكُفُورها للدِّيْوَان الشَّرِيف السُّلطَاني مِن الغِلَال، والَّذِي قُدِّر بحَوَالي ١٢٠,٠٠٠ إِرْدَبّ. ومِنْها مَا قَالَه ابْنُ شَاهِين الظَّاهِري[٢٠١] (ت ٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م): إنَّ وَاحِدًا مِن الثِّقاتِ أَخْبَرَه باطِّلاعِه عَلَى مُتَحصّل الغِلَال المُسْتخرَجَة مِن مَنْفَلُوط وتَوابِعها، والمَوضُوعَة بشُوَنِها السُّلْطَانِيَّة، وقَالَ: إنَّها ١,١٥٠,٠٠٠ إِرْدَبّا. ومِن هَذَا القَبِيل أَيْضًا مَا ذَكَرَه ابْنُ ظَهِيرة[٢٠٢] (ت٨٩١هـ/ ١٤٨٦م) مِن أنَّ قطلوشَاه الجمَاليّ[٢٠٣]، وَهُوَ ثِقَةٌ، أَخْبَرَه باطِّلاعِه عَلَى مَحْضَرِ تَعْلِيقٍ بمَدِينَة مَنْفَلُوط، مَثبُوت بِهِ ٢٤٠,٠٠٠ إِرْدَبّ غَلَّة لِدِيْوَان السُّلطَان خَاصَّة، ولَمْ

يَسْتَحْضِر تَارِيخَه. وأَنَّه وَقَّفَه عَلَى حِسَابٍ قَدِيمٍ، قَرَأَهُ بَعْضُ الأَقْبَاط، فِي أَيَّام أُسْتَاذِه جَمَال الدِّيْن[٢٠٤]، وفي شُوَنِه وشُوَنِ السُّلطَان خَاصَّة ٦٠٠,٠٠٠ إِرْدَبّ مِن قَمْحٍ وشَعِيرٍ وفُولٍ.

وتِلْكَ الإِشَارَات الدَّالَة عَلَى عِظَم مَقَادِير مَا يَتَحَصَّل عَلَيهِ السَّلاطِين الْمَمَالِيك ودَوَاوينُهم مِن الغِلَال المَنْفَلُوطيَّة سَنَويًّا تَعْكِسُ أَهميَّة الدَّوْر الوَظِيفيّ لكَاشِف الْقَبْضِ فِي هَذَا الشَّأْن، ومَا يَتَطَلَّبهُ دَوْره مِن جهْدٍ وتَنسِيقٍ ومُتابَعةٍ مِن بِدايَة مَوْسِم الحَصَاد إِلَى أَنْ يَتِمَّ جَمْعُ هَذِهِ المَقَادِير الْكَبِيرَة مِن الغِلَال، ونَقْلُها، وتَخْزِينُها فِي الشُّوَن.

هَذَا مِن جِهَةٍ، ومِن جِهَةٍ أُخْرَى تَعْكِسُ أَنَّ الشُّوَن السُّلْطَانِيَّة بمَنْفَلُوط جُهِّزَتْ عَلَى مِسَاحَات كَبِيرَة، بِحَيْثُ تَسْتَوعِب سَعَتُها التَّخْزِينيَّة هَذِه المَقَادِير الضَّخْمة مِن الغِلَال. وإِنْ كَانَ لَيسَ لَدَيْنا فِي الوَاقِع تَفاصِيل عَنِ أَوْصَاف هَذِهِ الشُّوَن، خَاصَّة أَنَّها مِن الآثَار الدَّارِسَة، فمَعْرُوف أَنَّ الشُّوَن مَا هِيَ إِلَّا مِسَاحَة كَبِيرَة خَالِيَة تُسْتخدَم فِي تَخْزِين الْحُبُوب إِلَى حِينِ شَحْنِها فِي النِّيْل، وبصِفَةٍ عَامَّة فِي اسْتِقبال وصَرْف الغِلَال، ومِن الضَّرُوريّ أَنَّها كَانَتْ مُلْحَقة بِها بَعْض المُنْشَآت الَّتِي يَستخدِمها القَائِمون عَلَى هَذِهِ الشُّوَن[٢٠٥]. وَفِي رِوَايَةٍ لابْن إِيَاس[٢٠٦] عَنْ شُوْنَةٍ بمَنْفَلُوط يَقُول فِيهَا: (إِنَّ دَاوُد بْن عُمَر[٢٠٧] أَمِير هَوَّارة شُنِقَ عَلَى بَابِها، بَعْدَ أَنْ قَبْض عَلَيهِ آقْبَرْدي الدَّوَادَار فِي شَهْر شَعْبَان سَنَة ٩٠٢هـ/ أبْرِيل ١٤٩٧م) مَا يَدُلّ عَلَى وُجُودِ مِثْل هَذِه المُنْشَآت؛ فمِن غَيْر المَعْقُول أَنْ يَكُونَ للشُّوْنَة بَابٌ ولا مَبْنى لَها، أَوْ عَلَى الأَقلّ سيُحِيطها سُورٌ لَهُ بَاب.

٢- مَسْحُ أَرَاضِي السُّلطَان ومَزْرُوعَاتِها بالأَعْمَال المَنْفَلُوطيَّة

لَمْ تَقْتَصِرْ المَهامُّ الوَظِيفِيَّة لكَاشِف الْقَبْضِ عَلَى قَبْض غِلَال مَنْفَلُوط ونَقْلها إِلَى شُوَنِها وتَخْزِينها بِها، بَل امْتدَّت لتَشْمَل بجَانِب ذَلِكَ مَسْح الْأَرَاضِي والمَزْرُوعَات الخَاصَّة بالسَّلْطَنَة هُنَاكَ، وهَذَا اسْتَنبطناه مِن تَرْجَمةٍ للأَمِير آقْبَاي السَّيْفِيّ وَرَدَ فِيْهَا أَنَّ أُسْتَاذه[٢٠٨] كَانَ "كَاشِف الْقَبْضِ والْمِسَاحَة بالأَعْمَال المَنْفَلُوطيَّة"[٢٠٩].

وتَرسَّخَ لَدَيْنا قِيَام كَاشِف الْقَبْضِ بِهَذِهِ الْمهمَّة مِن اعْتِبَار ابْن إِيَاس[٢١٠] مِسَاحَة بِلاَد الصَّعِيد واسْتِخْرَاج الْمُغَلّ الَّذِي بِها وَظِيفَة وَاحِدة تُضَاف –فِي الأَغْلَب– إِلَى أَحَدِ الدَّوَادَارية، وقَدْ سَطَّرْنَا مَنْطوقَ كَلَامه فِي هَذَا الْخُصُوصِ سَابِقًا، والَّذِي يَقُول فِيهِ: "خَرَجَ القَاضِي بَرَكَات بْن مُوسَى الْمُحْتَسِبَ إِلَى مِسَاحَة بِلَاد الصَّعِيد واسْتِخْرَاج الْمُغَلّ الَّذِي بِهَا، وكَانَتْ هَذِهِ وَظِيفَة الأَمِير يَشْبُك الدَّوَادَار والأَمِير آقْبَرْدي الدَّوَادَار وغَيْرهما مِن الدَّوَادَارية"[٢١١].

ورُبَّمَا يَقُولُ قَائِلٌ: إِنَّ المَذْكُور فِي كَلَام ابْن إِيَاس هُوَ قِيَام صَاحِب هَذِهِ الوَظِيفَة– أَيْ كَاشِف الْقَبْضِ– بمِسَاحَة بِلَاد الصَّعِيد ولَيسَ الأَعْمَال المَنْفَلُوطيَّة، فلا ضَيْر فِي ذَلِكَ؛ فالأَعْمَال المَنْفَلُوطيَّة قِسْمٌ مُهمّ بالصَّعِيد، بَلْ هِيَ أَهَمّ بِلَاد الخَاصّ السُّلطَاني الَّتِي يُستخرَج مِنْها مُغَلّ السَّلْطَنَة. وقَدْ يَكُون ابْنُ إِيَاس مُعبِّرًا فِي كَلَامه هَذَا بالكُلّ عَنِ الجُزء، فقَالَ: "بِلاد الصَّعِيد" وأَرَادَ بِها "الأَعْمَال المَنْفَلُوطيَّة"، أَوْ رُبَّمَا أَرَادَ بِها عَلَى أَقْصَى تَقْدِير بِلاد الخَاصّ السُّلطَاني، ولَيسَ الصَّعِيد بأَكْمَله –كَمَا يُفهَم مِن ظَاهِر أَلْفَاظِها– لَا سِيَّمَا أَنَّها جَاءَت مَتْبُوعَةً بعِبَارة "واسْتِخْرَاج الْمُغَلّ الَّذِي بِهَا"؛ فمِن المَعلُوم أَنَّ أَكْثَر المُغَلّ يَأْتِي مِن الأَعْمَال المَنْفَلُوطيَّة، الَّتِي كَانَتِ أَخَصَّ بِلاد الخَاصّ السُّلطَاني فِي تِلْكَ الآونَة.

ومَهْما يَكُنْ مِنْ أَمْرٍ، فاسْتِنادًا إِلَى مَا بَسَطَهُ مُعاصِرو السَّلْطَنَة الْمَمْلُوكِيَّة[٢١٢] – ومَن نَقَلَ عَنْهم[٢١٣]– فِي مُؤَلَّفَاتهم عمّا جَرَتِ بِهِ الْعَادَةُ سَنَويًّا مِن مَسْح الْأَرَاضِي الزِّراعيَّة بالْبِلَاد الَّتِي يَخْتَلِفُ الرَّيُّ فِيْهَا بالكَثْرة والقِلَّة حَسَب فَيَضان النِّيْل؛ لرَبْط الخَرَاج عَلَيْهَا، يُمْكِننا القَوْل: إِنَّ مِسَاحَة أَرَاضِي الأَعْمَال المَنْفَلُوطيَّة ومَزْرُوعَاتها، والمَسؤول عَنْها كَاشِف الْقَبْضِ، كَانَتْ تَتِمُّ عَلَى مَرْحَلتيْن: أُولَاهما تَبْدَأُ عَقِبَ هُبُوط مِيَاهِ الفَيَضان مُباشرةً، حَيْثُ يَقُوم خَوَلَةُ كُلِّ بَلَدٍ ومَشَايخُه بتَحْرِير أَوْرَاقٍ تُسمَّى "قَانُون الرَّيّ" يَذكُرُون فِيْهَا جُمْلَةَ الأَفْدنة الَّتِي شَمِلها الرّيُّ وأَرَاضِي الشَّراقِي الَّتِي لَمْ تَصِلْها مِيَاهُ الفَيَضان، ثُمَّ يُفَصِّلُونَ ذَلِكَ بأَسْمَاء القَبَالات، ويَشْرَحُونَ فِي كُلِّ قَبَالةٍ مَا شَمِله الرّيُّ ومَا لَمْ يَشْملْه، ثُمَّ

يَرْفَعُونها إِلَى مُبَاشِرِ خَرَاجِ النَّاحِيَة، فَيَنْظُر الْمُبَاشِرُ إِلَى سَنَةٍ تَكُونُ زِيَادةُ نِيْلِها مُمَاثِلة لتِلْكَ السَّنَة، ويُحضِّر (أَيْ يُسجِّل) البَلَدَ عَلَى الفَلّاحِين نَظِيرَ مَا حَضّرُوه فِي السَّنَة المُمَاثِلة، ويُشْهد عَلَى كُلّ مُزَارِع بِمَا يُسجِّله مِن أَرَاضِي كُلّ قَبَالة وقَطِيعَتها الْمُسْتَقِرَّة (أَيْ خَرَاجها)، ويُكْتَبُ بذَلِكَ أَوْرَاقٌ تُسمَّى "أَوْرَاق المُسجَّل"، مُفصّلة بالأَسْمَاء والقَبَالات، ثُمَّ يُوقِّعُ عَلَيْهَا الشُّهودُ، وتُحْمَلُ نُسخٌ مِنْها إِلَى دِيْوَان الخَاصّ، وتُحْفَظُ فِيهِ، ويَتِمُّ اسْتخدِامها فِي المَرْحَلة الثَّانِية مِن الْمِسَاحَة.

والمَرْحَلة الثَّانِية تَأْتِي عِنْدَمَا يَنْبُتُ الزَّرْعُ ويَستوِي عَلى سُوقِهِ، حَيْثُ يُندَبُ عِنْدَئذٍ مَبَاشِرِو الْمِسَاحَة إِلَى الْبِلَاد لمَسْحِها مَرَّةً أُخْرَى؛ فيَمْسحُون الْأَرَاضِي المَزْرُوعَة فِي كُلّ قَبَالةٍ بأَسْمَاء المُزارِعين وأَصْنَاف المَزْرُوعَات، ويُكْتَبُ أَصْلُ ذَلِكَ فِي أَوْرَاقٍ تُسمَّى "الفُنْدَاق"، ويُقابِلُونها بِمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيهِ "أَوْرَاق المُسجَّل"، لبَيَان الزِّيادَة أَوِ النَّقص بَيْنهما، ويُجْمَعُ ذَلِكَ وتُنظَّمُ بِهِ أَوْرَاقٌ تُسمَّى "المكَلَّفَة"، يُكْتَبُ فِي صَدْرِها جَمْلَةُ فُدُنِها، ثُمَّ تُفَصَّلُ بأَصْنَاف المَزْرُوعَات وأَسْمَاء المُزارِعين، ويُوقِّعُ عَلَيْهَا الشُّهودُ وحَاكِمُ العَمَل (القَاضِي)، ويُعْملُ مِنْها نُسخٌ تُحْمَلُ إِلَى الدِّيوَان، وعَلَى أَسَاسِها يَقْبِضُ كَاشِفُ الْقَبْضِ مُغَلّ السَّلْطَنَة مِن الأَعْمَال المَنْفَلُوطيَّة.

٣- مُحَارَبَةُ الْعُرْبَان والتَّصَدِّي لمَخَاطِرهم

مِن المَهامّ الأُخْرَى الَّتِي يُؤدِّيها كَاشِفُ الْقَبْضِ فِي نِطَاق عَمَلِه: مُحَارَبَة الْعُرْبَان والتَّصَدِّي لمَخَاطِرهم. وتِلْكَ مهمَّةٌ عَسْكَريَّةٌ تسْنِدها إِلَيْهِ السَّلْطَنَةُ بوَصْفِه أَحَد كِبَار القَادَة العَسْكريِّين الَّذِينَ يَشْغَلُون وَظَائِف أَوْ مَنَاصِب عُلْيَا بِالْحَضْرَةِ السُّلْطَانِيَّة بجَانِب كُشُوفِيَّة الْقَبْض، وإِسْنادها إِلَيْهِ أَوْجَبَته الظُّرُوفُ والإِضْطِرَاباتُ السِّياسيَّةُ الَّتِي شَهِدتها مَنْفَلُوط وبُلْدَان الصَّعِيد الأَوْسَط مِن جَرَّاءِ ثَورَات الْعُرْبَان وتَمَرُّداتهم المُتكَرِّرة ضِدّ الحُكُومَة الْمَمْلُوكِيَّة، خَاصَّة فِي أَوْقَات قَبْض الْمُغَلّ؛ ليَحرِمُوا السَّلْطَنَة مِن مَورِد اقْتصَاديّ مُهمّ بِالنِّسْبَة لَهَا، أَوْ بالأَحْرَى ليَقْطَعوا شرْيَان أَصِيل مِن شَرايين أَمْنِها الغِذَائيّ.

وقَدْ ذَكَرْنَا أَمْثِلَةً مِنْ قَبْلُ عَلَى تَمَرُّدات الْعُرْبَان وتَعَرُّضهم لحَاصِل الدَّوْلَة، ورَفْضهم دَفْع الحُقُوق والخَرَاج فِي مَنْفَلُوط وأَسْيُوط مَعَ بِدَايات الحُكْم الْمَمْلُوكِي. وهُنَاكَ أَمْثِلَة أُخْرَى كَثِيرة دَالَّة عَلَى تكْرَار خُرُوجهم عَلَى السُّلْطَة، وإِحْدَاثهم أَزمات اقْتِصَاديَّة وزَعْزَعات أَمْنيَّة للحُكُومَة فِي هَذِهِ المَناطِق طَوَال فَتَرات الحُكْم الْمَمْلُوكِي. والمُتتبِّع لهَذِه الأَمْثِلَة يَلْحَظ ويَسْتَنتج: أَنَّ مَخَاطِر الْعُرْبَان كَانَتْ فِي تَنَامٍ مُسْتَمِرّ، وأَنَّها زَادَتْ عَنِ الحَدّ أَيَّام الجَرَاكِسة، حَتَّى أَوْشَكَ صَعِيدُ مِصْرَ فِي عَصْرهم أَنْ يَكُونَ قِسمًا مُسْتَقِلًّا بِذَاتِهِ يَحكُمه العَرَبُ(٢١٤).

والمَجَالُ غَيْر فَسِيحٍ هُنَا بطَبيعَةِ الحَالِ لسَرْد ثَورَات الْعُرْبَان وتَمَرُّداتهم المُتتاليَة ضِدّ الحُكُومَة الْمَمْلُوكِيَّة؛ فأَخْبَارها مُتَدَاوَلَة فِي المَصَادِر والمَراجِع التَّارِيخيَّة، وهُنَاكَ دِراسات وأَبْحَاث مَعنيَّة بِها وبتَأْثِيراتها خِلالَ ذَلِكَ العَصْر(٢١٥)، ومَا نوَدّ التَّأكِيد عَلَيهِ بخُصُوصها هُنَا: إِنَّ مَخَاطِرها الأَمْنيَّة وتَأْثِيراتها السَّلبيَّة عَلَى قَبْض الْمُغَلّ أَلْزَم السَّلْطَنَة بإِسْنَاد قَبْضه مَعَ مُجابَهة الْعُرْبَان فِي مَنْفَلُوط والصَّعِيد الأَوْسَط –خَاصَّة– إِلَى كَاشِف الْقَبْضِ.

ولَمَّا كَانَ هَذَا مِن الوَاجِبات الَّتِي تُكلِّفه بِها السَّلْطَنَةُ، كَانَتْ تُجَهِّزه وتَدْعَمه بِمَا يَحْتَاج إِلَيْهِ؛ فيَخْرُج عَادَةً إِلَى مَنْفَلُوط ومَعَهُ كَثِيرٌ مِن الأُمَرَاء، وعَدَدٌ كَبِيرٌ مِن الجُنُود والْمَمَالِيك، عَلَى هَيْئَة المُتَّجه إِلَى الحَرْب، وَيُقِيمُونَ هُنَاكَ حَتَّى يَتِمَّ قَبْض الْمُغَلّ(٢١٦).

ومِن المُؤسِف أَنَّ أَغْلَب كُشَّاف الْقَبْض عَمَدُوا فِي سِياسَاتهم تُجَاه الْعُرْبَان هُنَاكَ إِلَى اسْتِخدام القُوَّة والبَطْش، والتَّعذِيب والتَّنكِيل، وغَيْر ذَلِكَ مِن الأَسَالِيب التَّعَسُّفيّة الَّتِي تُمَكِّنهم مِنَ قَبْض الْمُغَلّ مَا اسْتَطَاعوا إِلَيْهَا سَبِيلا.

وهَذِهِ السِّياسَات والأَسَالِيب التَّعَسُّفيّة المَأْسُوف مِنْها يُمْكِن اسْتَقْرَاء نَماذِجها التَّطبيقيَّة مِن سِيَرِ بَعْض كُشَّاف الْقَبْض عَصْرئذٍ، ففِي سِيَرِهم إِشَارَات عَاكِسة لجَوانِب مِن شَخصيَّاتهم ومُمَارَسَاتهم أَثْنَاء تَأْدِيَة مَهامّهم مِن سَطْوَةٍ بَأْسِهم، وشِدَّة بَطْشِهم بالخَارِجين عَلَى السُّلْطَة الَّذِينَ يَمْنَعُونَ حُقُوقها أَوْ يُعطِّلُون جِبَايتها أَوْ يَنْتَقِصُون مِنها.

فَهَا هُوَ شَمْس الدِّينِ سُنْقُر الأَعْسَر، الَّذِي خَرَجَ لمُواجَهة الْعُرْبَان وقَبْض الْمُغَلّ سَنَة ٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م، عُرِف فِي المُجْتمَع المِصْريّ –في زَمَنِهِ– بقُوَّةِ شَخصيَّتِهِ وسَطْوَةِ نُفُوذِه، حَتَّى إنَّه عِنْدَمَا تَوَجَّهَ إِلَى بلاد الصَّعِيد وقَاتَل الْعُرْبَان بِها فِي السَّنَة المَذْكُورة " وَقَعَتْ لَهُ فِي النُّفُوس مَهابةٌ عَظِيمَةٌ". وَكَيْفَ لَا؟! وقَدْ ذاعَ صِيتُ جَسارَته وعَدَم اكْتِرَاثه بغَيْره، حَتَّى بأَصْحَاب النُّفُوذ أَمْثاله، لدَرَجة أَنَّ السُّلطَان حُسَام الدِّين لَاجِين لاحَظَ عَلَيهِ ذَلِكَ لمَّا اسْتَوْزَرَهُ، وصَارَ يتَبَيَّن مِنْهُ قِلَّة الاكْتِرَاث بِهِ هُوَ شَخصيًّا، فأَخَذَ فِي ذَمّه وعَيَّبه بِمَا عِنْدَه مِن الكِبْر، ثُمَّ صَرَفه عَنِ الْوِزَارَة، وسَجَنه، " فَأَرْسَلَ يَسْأَلُ السُّلطَانَ عَنِ الذَّنْبِ الَّذِي أَوْجَبَ هَذِهِ العُقُوبة، فقَالَ: مَا لَهُ عِنْدَي ذَنْبٌ غَيْر كِبْرِهِ، فَإِنِّي كُنْتُ إِذَا دَخَل إليَّ أَحْسَبُ أَنَّه هُوَ السُّلطَان وأنَا الأَعْسَر، فصَدْرُهُ مُنْقَامٌ، وحَدِيثي مَعَهُ كَأَنِّي أُحَدِّثُ أُسْتَاذي"[٢١٧].

وهَا هُوَ الأَمِير دُولات خجَا الَّذِي أُسْنِدَت إِلَيْهِ وِلَايَة مَنْفَلُوط وَكُشُوفِيَّةُ الْقَبْضِ فِي ١٥ جُمَادَى الْأُولَى سَنَة ٨٣٨هـ[٢١٨] / ١٧ دِيسِمبر ١٤٣٤م يُجْمِعُ مُؤَرِّخِو عَصْرِهِ – وغَيْرهم[٢١٩]– عَلَى وَصْفِه بالتَّعَسُّف والجَبَرُوت وشِدَّة الْبَطْشِ؛ فَمِنْهُم مَن يَصِفُهُ بِقَوْلِهِ: "كَانَ عَسُوفًا جَبَّارًا، كَثِير الشَّرّ"[٢٢٠]. وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُول عَنْه: كَانَ ظَالِمًا، غَاشِمًا، "تَعدَّى الحَدَّ فِي العُقُوبة، حَتَّى كَانَ يَأْمُر بأَنْ يُنْفَخَ فِي دُبُرِ مَن يُرِيد عُقُوبتَه حَتَّى تَبْرُزَ عَيْنَاهُ، ويَنْفلِقَ دِمَاغُهُ"[٢٢١]، كَمَا "كَانَ يُعلّقُ الرَّجُلَ مُنَكَّسًا وَلَا يَزَالُ يَرْمِى عَلَيهِ بالنّشّاب إِلَى أَنْ يَمُوتَ، وأَشْياء كَثِيرة مِن ذَلِكَ"[٢٢٢]. وَمِنْهُمْ مَنْ وَصَفَ حَالَه مُجْمَلًا بِقَوْلِهِ: "كَانَ مِن الظَّلَمَةِ الكِبَار"[٢٢٣].

وعَلَى شَاكِلَتِهِ أَيْضًا الأَمِير يَشْبُك الدَّوَادَار الَّذِي خَرَجَ فِي الْمُحَرَّم سَنَة ٨٧٤هـ/ أُغُسطُس١٤٦٩م إِلَى الْوَجْه الْقِبْلِيّ لجَمْع الْمُغَلّ، فهَذَا قِيلَ فِي شَأْنِه: إنَّه فَعَلَ بِبِلَادِ الصَّعِيد مِن المَظَالِم مَا لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهِ، حَتَّى إنَّه شَوَى بالنَّارِ "مَحْمُودًا" شَيْخَ بَنِي عَدِيّ[٢٢٤] بالمَنْفَلُوطيَّة، كَمَا خَوْزَقَ جَمَاعَةً[٢٢٥] مِن الْعُرْبَان، وسَلَخَ جِلْدَ جَمَاعَةٍ، بَلْ دَفَنَ كَثِيرًا مِن الْأَحْيَاءِ فِي التُّرَاب، فدَخَلَ الرُّعبُ فِي قُلُوبِ كَثِيرٍ مِن أَهَالي تِلْكَ الْبِلَاد[٢٢٦] مِن شَنَاعةِ أَفْعالِه.

ومِن هَذَا الْقَبِيل أَيْضًا مَا وَرَدَ عَنِ الْوَزِير خُشْقَدَم الطَّواشيّ الأَحْمديّ الَّذِي خَرَجَ إِلَى مَنْفَلُوط فِي سَنَة ٨٨٧هـ/ ١٤٨٢م؛ لضَمّ الْمُغَلّ[٢٢٧] ومُحَارَبَة عُرْبَانها، فَقَدْ قِيلَ عَنْهُ: إِنَّه كَانَ يُبَاشِر مَهامَّه "بِعُنْفٍ وعَسْفٍ"[٢٢٨].

وهَذَا الَّذِي حَمَلَتهُ سِيرُ هَؤُلَاء الكُشَّاف المَذْكُورِين مِن سِياسَاتٍ قَمْعيَّةٍ تُجَاه الْعُرْبَان أَثْنَاء قَبْض الْمُغَلّ لا يُمْكِن اعْتِبَاره قَاعِدة عَامَّة، أَوْ تَوَجُّه جَمْعيّ، لكُلّ كُشَّاف الْقَبْض فِي ذَلِكَ العَصْر؛ فمِنْهُمْ كُشَّافُ قَبْضٍ –ويَبْدُو أَنَّهم قِلَّة– دَلَّتْنا سِيرُهم الطَّيِّبة عَلَى حُسْن سِياسَاتهم وإِدَاراتِهم لمَهامّهم بكَفَاءة، دُونَما إِحْدَاث تَوَتُّرات سِياسِيَّة أَوِ أَمْنيَّة بالْمنْطقَة، حَيْثُ هَادنُوا الْعُرْبَان، وجَاءَت تَصرُّفاتُهم تجَاههم، وفِي عُمُوم أَحْوَالِهم، مَحْمُودةً. وهَذَا تَأكَّد لَدَيْنا مِمَّا قَرَأْناهُ فِي إِشَارَات مَصْدَرِيَّة مَدَحَ أَصْحَابُها هَؤُلَاء الكُشَّاف، وأَثْنَوْا عَلَى سِياسَاتهم فِي مُبَاشراتِهم الوَظِيفِيَّة.

مِن هَؤُلَاء مَثَلًا جانِبَك النَّاصِريّ المُرتَدّ، الَّذِي بَعَثَهُ الظَّاهِر جَقْمَق فِي سَلْطَنَته كَاشِفًا لْلقَبْض والْمِسَاحَة بمَنْفَلُوط[٢٢٩]، فهَذَا أَثْنَى عَلَيْهِ السَّخَاوِي[٢٣٠] بِقَوْلِهِ: "كَانَ دَيِّنًا، خَيِّرًا، مَكْفُوف الشَّرّ، لَيِّن الْجَانِبِ، مُتَوَاضِعًا، سَلِيم الْبَاطِن". كَمَا وَصَفَهُ عَبْدُ الْبَاسِط بْن خَلِيل[٢٣١] بِقَوْلِهِ: " كَانَ إِنْسانًا حَسَنًا، خيّرًا، دَيِّنًا، سَاكِنًا، وَعِنْدَهُ وَرَعٌ بِالنِّسْبَة إِلَى بَنِي جِنْسِهِ".

ومِن هَؤُلَاء أَيْضًا الأَمِير نَاصِر الدِّيْن مُحَمَّد بْن عُمَر البُتْخَاصّي، الَّذِي جَهَّزَهُ السُّلطَانُ فِي سَنَة ٧٦١هـ/ ١٣٦٠م إِلَى مَنْفَلُوط لقَبْض مُغَلّها، فهَذَا قَالَ عَنْهُ الصَّفَدِيّ[٢٣٢]: كَانَ " عَفِيفًا أَمِينًا فِي مُبَاشراتِه، عارفًا دَرِبًا بِمَا يَتَحَدَّثُ فِيهِ، فِيهِ كَرَم ومُرُوءَة زَائِدة". كَمَا وَصَفَهُ ابْنُ حَجَر[٢٣٣] بِقَوْلِهِ: "كَانَ مَشْكُورًا فِي سِيرَتِهِ".

وعَلَى أَيّ حَالٍ، فقَبْلَ أَنْ نَطْوِي الْحَدِيثَ عَنْ مَهامّ كَاشِف الْقَبْضِ يَجِب تَوضِيح أَنَّ مَهامّه تَطلَّبَت مِنْهُ، هُوَ ومَن مَعَهُ مِن الأُمَرَاء والجُنُود، الْإِقَامَة بالأَعْمَال المَنْفَلُوطيَّة، والتَّنَقُّل بَيْن بُلْدَانها –وبُلْدَان أُخْرَى بالصَّعِيد[٢٣٤] أَحْيَانًا– لِحِين الِانْتِهَاء مِن جَمْع الغِلَال ونَقْلها إِلَى الشُّوَن السُّلْطَانِيَّة بمَدِينَة مَنْفَلُوط، أَوْ بُمصْطلَح ذَلِكَ العَصْر: "حَتَّى يَتِمَّ قَبْض

الْمُغَلّ"[٢٣٥]. والَّذِي لَمْ يَكُنْ يَتِمّ بطَبيعَةِ الحَالِ فِي يُسْرٍ وَسُهُولَةٍ، أَوْ فِي أَيَّامٍ مَعْدُوداتٍ؛ لارْتِبَاطِ إِتْمَام قَبْضه بالاسْتَقَرَّار الأَمْنِي والتَّصَدّي لمَخَاطِر الْعُرْبَان بتِلْكَ الْبِلَاد –كَمَا بَيَّنَاه– الأَمْر الَّذِي جَعَلَ كَاشِفَ الْقَبْضِ يُقِيم هُنَاكَ مُدَّة زَمَنيَّة، قَدْ يَطُوْل مقَدْارُها أَوْ يُقْصر تَبعًا لذَلِكَ.

وعَلَى هَذَا الأَسَاس لَمَسْنَا تَبايُنًا فِي مَقَادِير مُدَدِ إِقَامَة كُشَّاف الْقَبْض بمَنْفَلُوط، فمِنْهُمْ مَنْ أَقَامَ بِهَا شَهْرين[٢٣٦]، ومِنْهُمْ مَنْ أَقَامَ بِهَا أَرْبَعَة أَشْهُرٍ[٢٣٧] أَوْ خَمْسَة أَشْهُرٍ[٢٣٨]، أَوْ سِتَّة أَشْهُرٍ[٢٣٩]، وَمِنْهُمْ مَنْ بَقِيَ بِها وببِلَاد الصَّعِيد سَبْعة أَشْهُرٍ[٢٤٠]، وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَعْرِفْ عَلَى وَجْهِ التَّحْدِيد مُدَد إِقَامتِهم هُنَاكَ، حَيْثُ يَذْكُرها الْمُؤَرّخِون أَحْيَانًا غَيْر مُحَدَّدة بأَرْقَام تَدُلّنا عَلَى مَقَادِيرها، مِثْلَمَا جَاءَ فِي سِيَاقِ الْحَدِيثِ عَنْ خُرُوج الأَمِير بَلَبان السِّنَاني الأسْتادَّار بمَن مَعَهُ مِن الأُمَرَاء والجُنُود إِلَى الصَّعِيد سَنَة ٧٥٣هـ/ ١٣٥٢م أَنَّهم "أُمِرُوا بالْإِقَامَة هُنَاكَ حَتَّى يَتِمَّ قَبْض الْمُغَلّ[٢٤١]. ومِثْلَمَا جَاءَ فِي سِيَاقِ الْحَدِيثِ عَنْ جانِبَك النَّاصِريّ، المَعْرُوف بالمُرتدّ: أَنَّ السُّلطَان الظَّاهِر جَقْمَق بَعَثَهُ مَرَّةً إِلَى مَنْفَلُوط كَاشِفًا لْلقَبْض والْمِسَاحَة "وبَقِيَ بِها مُدَّة"[٢٤٢].

والتَّسَاؤل الَّذِي يَجُولُ فِي الْخَاطِرِ: إِنْ كَانَ كَاشِفُ الْقَبْضِ يُقِيمُ بمَنْفَلُوط مُدَّة زَمَنيَّة لِحِين الانْتِهَاء مِن مَهامّه، فَهَلْ خُصِّصتْ لَهُ دَارٌ يَنْزِل بِها هُنَاكَ؟ وَالْإِجَابَة تَأْتِي –حَسَب ظَنِّي– بعَدَمِ وُجُودِ دَارٍ مَخْصُوصة بِهِ هُنَاكَ، لَا سِيَّمَا أَنَّه كَانَ يَقْضِي مُعْظَم أَوْقَاته فِي تَنَقُّلاتٍ ومُطَارَدَاتٍ للعُرْبَان بتِلْكَ الْبِلَاد، وإِنْ فُرِضَ أَنَّه خُصَّ بمَكانٍ هُنَاكَ، فمِن الضَّرُوريّ أَنْ يَكُونَ بمَدِينَة مَنْفَلُوط بِالْقُرْبِ مِنْ دَارِ وَالِيها، إِنْ لَمْ يَكُنْ فِيها. وقَدْ أُشِيرَ فِي مَصادِرِ العَصْر الْمَمْلُوكِي الْمُتَأَخِّرَة إِلَى دَارٍ بمَنْفَلُوط أُطْلِقَ عَلَيْهَا "دَار الكَشْف"، كَانَتْ تُجَاهَ مَدْرسة شَرَف القُضَاة[٢٤٣] دَاخِل الدَّرْب المَعْرُوف بالمَحْرُوق[٢٤٤]، لَكِن مَعَ غِياب التَّفَاصِيل المَعلُوماتيَّة الخَاصَّة بهَذِه الدَّار مِن المَصادِرِ لَمْ نَعْلَمْ بصُورَةٍ قَاطِعةٍ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ الدَّار لكَاشِف الْقَبْضِ أَمْ لوَالِي مَنْفَلُوط الَّذِي لُقِّبَ بـ "كَاشِف مَنْفَلُوط"[٢٤٥] فِي أَوَاخِر العَصْر الْمَمْلُوكِي؟ وإِنْ كَانَ المُرجَّح لَدَيْنا أَنَّها تَخُصّ الأَخِير؛

فَلَوْ كَانَتْ تِلْكَ الدَّار لكَاشِف الْقَبْضِ مَا نَزَلَ الأَمِيرُ يَشْبُك مِن مَهْدِي الدَّوَادَار سَنَة ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م فِي مَنْفَلُوط عَلَى كَوْمٍ مَهَّدَهُ هُنَاكَ، عِنْدَمَا قَامَ بكُشُوفِيَّة الْقَبْض فِي تِلْكَ السَّنَة. وهَذَا قَرَأْناهُ عَلَى لِسَان عَبْد الْبَاسِط بْن خَلِيل فِي رَوْضِه البَاسِم[٢٤٦] حَيْثُ يَقُول: "أَقَامَ –أَي الأَمِير يَشْبُك– عَلَى مَنْفَلُوط نَازِلًا بِها بِبَابِ المَحْرُوق، عَلَى كَوْمٍ أَمَرَ بتَمْهيدِه بالجَرَارِيف، حَتَّى تَوَطَّأ لَهُ، وكَانَ فِي أَيَّام النِّيْل، فَدَام بِها مُدَّة".

وخُلاصةُ مَا سَبَق؛ أنَّ مَهامّ كَاشِف الْقَبْضِ الرَّئِيسة تَبَلْوَرَت فِي قَبْض غِلَال السَّلْطَنَة مِن الأَعْمَال المَنْفَلُوطيَّة، ومِسَاحَة أَرَاضِيها، ومُحَارَبَة الْعُرْبَان والتَّصَدِّي لمَخَاطِرهم بتِلْكَ الْبِلَاد، مَعَ الْأَخْذِ فِي الِاعْتِبَار أنَّ الْمهمَّة الْأَخِيرة كَانَ يَضْطَلِعُ بِها بوَصْفِه أَحَد كِبَار القَادَة العَسْكريّين الَّذِينَ يَشْغَلُون وَظَائِف أَوْ مَنَاصِب عُلْيَا بِالْحَضْرَةِ السُّلْطَانِيَّة بجَانِب كُشُوفِيَّة الْقَبْض، واضْطِلاعُه بِها مَرْهُونٌ بظَرْفِيَّة التَّمَرُّدات الْعُرْبَانية فِي مَنْفَلُوط والصَّعِيد الأَوْسَط، وعَلَى أَسَاسِها تَطُولُ مُدَّةُ إقَامَتِه هُنَاكَ أَوْ تَقْصُر لِحِين الِانْتِهَاء مِن مَهامّه، وبَعْدَها يَعُود إِلَى الْقَاهِرَة.

خَامِسًا: عَوْدَةُ كَاشِفِ الْقَبْضِ إِلَى الْقَاهِرَة والْخَلْعُ عَلَيهِ ومَصِيرُه الوَظِيْفِيّ

بَعْدَ أَنْ يُنْجِزَ كَاشِفُ الْقَبْضِ مَهامّه ويَنْتَهِي مِن قَبْض الْمُغَلّ يَعُود إِلَى الْقَاهِرَة، وبمُجرّد وُصُوله إِلَيْهَا يَذْهَب لمُقابَلَة السُّلطَان بالقَلْعَة ويُسلِّم عَلَيهِ[٢٤٧]، فيَخْلَع عَلَيهِ السُّلطَانُ[٢٤٨] "خِلْعَةَ القُدُوم"، الَّتِي جَرَتِ الْعَادَةُ بخَلْعِها عِنْدَ وُصُول مُوظَّف كَبِير مِن أَحَدِ الأَقَالِيم لِتَهْنِئَتِهِ بسَلامَةِ الوُصُول[٢٤٩]. وهَذِهِ الْخِلْعَة –شَأْنهَا شَأْن الْخِلَع الأُخْرَى– كَانَتْ تَخْتَلِف فِي مَضَامِين هَيئتِها بِالنِّسْبَة لمِن تُخْلَع عَلَيه، حَسَب رُتْبَته.

والمُؤسِفُ أنَّ المَصَادِر المُتَاحَة لَمْ تَجُدْ بتَفاصِيل مَعلُوماتية شَارِحَة للْخِلَع الَّتِي كَانَتْ تُخْلَع عَلَى كُشَّاف الْقَبْض عِنْدَ عَوْدَتهم إِلَى الْقَاهِرَة، ولَمْ نَحظَ فِي هَذَا الْخُصُوصِ سِوَى بمِثَالَيْن: أَوَّلهما وَرَدَ فِيهِ أنَّ الأَمِير يَشْبُك الدَّوَادَار لمَّا عَادَ مِن قَبْض الْمُغَلّ بالصَّعِيد فِي شَهْر شَعْبَان سَنَة ٨٧٤هـ/ فبْرَاير ١٤٧٠م صَعَدَ إِلَى القَلْعَة، فخَلَعَ عَلَيهِ

السُّلطَانُ الْأَشْرَف قَايِتْبَاي "خِلْعَةً عَظِيمَةً تَلِيقُ بمَقَامِه، وقُيِّدَ لَهُ فَرَسٌ بسَرْجٍ ذَهْبٍ وكَنْبُوشٍ زَرْكَشٍ"(٢٥٠).

والمِثَالُ الثَّانِي جَاءَ فِيهِ أنَّ الأَمِير "طُومان بَاي" عِنْدَمَا عَادَ مِن ضَمّ الْمُغَلّ وصَعَدَ إِلَى القَلْعَة، يَوْمَ الِاثْنَيْنِ المُوافِق للثَّانِي والعِشْرِين مِن شَهْر جُمَادَى الْآخِرَة سَنَة ٩٢٠هـ/ ١٤ أُغُسطُس ١٥١٤م، خَلَعَ عَلَيهِ السُّلطَانُ قَانْصُوه الغُوريّ خِلْعَةً حَافِلَةً؛ "فَوْقَاني(٢٥١) أخْضَر بطِرَازٍ يَلْبُغَاويّ(٢٥٢) عَرِيض"(٢٥٣).

ومَهْمَا تَكُن الْخِلْعَةُ الَّتِي تُمنَح لكَاشِف الْقَبْضِ فِي هَذِهِ المُناسَبة، فبَعْدَ أنْ تُخْلَع عَلَيهِ يَنْزِل بِها مِن القَلْعَة، ويتَّجِه إِلَى دَاره فِي مَوْكِبٍ حَافِلٍ، وصُحْبَته كِبَار الأُمَرَاء والْمُبَاشِرين والأَعْيَانِ(٢٥٤)، وعَدَدٌ كَبِيرٌ مِن الْجُنْد(٢٥٥). وأَحْيَانًا يَضُمّ المَوْكِب أَفْيالًا مُزيَّنةً بأَبْهَى زِينَة، تَسِيرُ أَمَام المُحْتَفَى بِهِ فِي هَذِهِ المُناسَبة(٢٥٦).

وبَعْدَ أَنْ يَصِلَ كَاشِفُ الْقَبْضِ إِلَى دَارِه يَبْعَث -خِلال بِضْعَة أَيَّام- إِلَى السُّلطَان بتَقدِمَةٍ (هَدِيَّةٍ) مِمَّا حَصَّلَهُ مِن النَّواحِي والْبِلَاد الَّتِي كَانَ بِها، ويَتجلَّى ذَلِكَ مِن وَصْف عَبْدِ الْبَاسِط بْن خَلِيل(٢٥٧) للتَّقدِمَة الَّتِي بَعَثَ بِها الأَمِيرُ يَشْبُك الدَّوَادَار إِلَى السُّلطَان الْأَشْرَف قَايِتْبَاي فِي شَهْر شَعْبَان سَنَة ٨٧٤هـ/ فبْرَاير ١٤٧٠م، عَقِبَ عَوْدَته مِن جَمْع الْمُغَلّ بالْوَجْه الْقِبْلِيّ، إِذْ يَقُول فِي شَأْنِهَا: "ولَمَّا تمثَّل يَشْبُك هَذَا بَيْن يَدَي السُّلطَان خَلَعَ عَلَيهِ خِلْعَةً هَائِلَةً، ونَزَلَ إِلَى دَارِه فِي مَوْكِبٍ حَافِلٍ. ثُمَّ بَعْدَ أَيَّام بَعَثَ إِلَى السُّلطَان بتَقدِمَةٍ هَائِلَةٍ مَا بَيْن خُيُول وجِمَال ورَقِيق(٢٥٨)، وأَعْسَال وسَكَاكر وغِلَال، ومِن الذَّهَب النَّقْد الْعَيْن عَلَى مَا أَخْبرَني بِهِ سَيْباي العَلائيّ(٢٥٩) مِائَة أَلْف دِينَار وثَلَاثَة عَشَر أَلْف دِينَار، ومِن الشَّعِير عِشْرين أَلْف إِرْدَبّ، كُلّ إِرْدَبّ بدِينَارين. وبَعَثَ إِلَيْهِ بمَخَازِيم(٢٦٠) ببَوَاقِي بِلَاد تُحرَّر بنَحْو الخَمْسِين أَلْف دِينَار ونَحْوَها، فكَانَ مَجْمُوع ذَلِكَ بالبَوَاقِي نَحْو المِائَتَيْ أَلْف دِينَار"(٢٦١).

والمُدَقِّقُ فِي وَصْفِ تَقدِمَة الأَمِير يَشْبُك المَذْكُورة يَلْحَظ مَقَادِير مُحْتَوياتِها الْعَيْنِيَّة والنَّقْدِيَّة الكَبِيرَة، وهَذَا يَعْكِسُ مَدَى مَا كَانَتْ تَحصُل عَلَيهِ الفِئَةُ الحَاكِمَة

الْمَمْاليكيَّة مِن النِّظَام الإقْطاعيّ عَلَى حِسَابِ المُجْتمَع المِصْريّ الَّذِي قَاسَى كَثِيرًا مِن وَيْلَات الفَقْر والقَهْر، وبالذَّات فِي الدَّوْلَة الْمَمْلُوكِيَّة الجَركَسيَّة. هَذَا مِن جِهَةٍ، ومِن جِهَةٍ أُخْرَى يَلْحَظ أنَّ تِلْكَ التَّقدِمَة احْتوَتْ أَيْضًا عَلَى أَوْرَاقٍ حِسَابيَّةٍ ببَواقِي ومُتَأخّرات مُستحقَّة للسَّلْطَنَة بـبَعْض الْبِلَاد، وهَذَا يَحْمِلُ دَلائِلَ عَلَى أنَّ كَاشِف الْقَبْضِ كَانَ يَلْزَمُهُ تَقْدِيم تَقارِير وكُشُوف حِسَابيَّة للسَّلْطَنَة عَقِبَ عَوْدَته إِلَى الْقَاهِرَة. ولحُسْن الحَظّ تَأكَّد لَدَيْنا ذَلِكَ مِن قِرَاءة مَا حَدَثَ بَعْدَ ذَلِكَ مَعَ الْوَزِير خُشْقَدَم عِنْدَ عَوْدَته مِن ضَمّ الْمُغَلّ بالْوَجْه الْقِبْلِيّ فِي شَهْر شَوَّالٍ سَنَة ٨٨٧هـ/ نُوفمبر ١٤٨٢م، إذْ لمَّا حَضَرَ مِن السَّفَر، يَقُولُ ابْنُ إيَاس[٢٦٢]: "رَسَّم السُّلطَانُ عَلَيهِ لعَمَل الحِسَاب".

ويُستنبَط مِن هَذَا: أنَّ كُشَّاف الْقَبْض كَانُوا يَخْضَعُون لعَمَليَّات مُحَاسَبيَّة مِن جِهَة السَّلْطَنَة عِنْدَ عَوْدَتهم إِلَى الْقَاهِرَة، وإزَاء ذَلِكَ كَانُوا يُقَدِّمُونَ إِلَيْهَا مُسْتَنَداتٍ ثُبُوتيَّة تُؤيِّد عَدَم ادِّخَارهم وُسْعًا فِي تَحْصِيل أَكْبَر قَدْرٍ مُمكِن مِن مُغَلّها، ومِن البَواقِي المُستحقَّة لَها مِن سَنواتٍ سَابِقةٍ. ومِمَّا أَثَار دَهْشَتَنا فِي هَذَا الْخُصُوصِ؛ أنَّ أَحَد كُشَّاف الْقَبْض، وَهُوَ الأَمِير "طُومان بَاي" الدَّوَادَار الْكَبِير، لَمْ يَكْتَفِ عَلَى مَا يَبْدُو بتَقْدِيم تَقارِير حِسَابيَّة للسَّلْطَنَة عَنْ ضَمّ مُغَلّها سَنَة ٩١٩هـ/ ١٥١٣م، بَلْ لاحَقَ الَّذِينَ عَلَيْهِم مُستحقَّات مُتَأخّرة من مُغَلّ السَّنَوات المَاضِيَة، وألْقَى الْقَبْضَ عَلَيهم، وكَبَّلهم بالحَدِيدِ، واقْتَادَهم مَعَه إِلَى الْقَاهِرَة؛ لعَرْضهم عَلَى السُّلْطَان، ووَصَلَ بِهم إِلَى القَلْعَة، فِي شَهْر جُمَادَى الْآخِرَة/ سِبْتَمْبِر مِن السَّنَة المَذْكُورة، وقِيلَ إنَّ هَؤُلَاء كَانَ عَلَيْهِم بَواقِي مُغَلّ مِن أَيَّام ابْن ثَعْلَب وغَيْره مِن الْمُبَاشِرين، تُقَدَّر بِنَحْوِ سَبْعِين أَلْف إرْدَبّ مِن القَمْح، فلمَّا أُعْرضوا عَلَى السُّلطَان "وَهُم فِي الحَدِيدِ، قَالَ: مَا بَالُ هَؤلاء، فقَالُوا لَهُ: إنَّ عَلَيْهِم مُغَلّ مُنْكَسِر (أَيْ بَوَاقِي) مِن السِّنِين الخَالِيَة مِن أَيَّام ابْن ثَعْلَب وغَيْره، نَحْوًا مِنْ سَبْعِين أَلْف إرْدَبّ، فسَكَتَ سَاعَةً وقَالَ: أَطْلِقُوهُمْ أَجْمَعِين، فقَدْ تَرَكْتُ مَا عَلَيْهِم لوجهِ اللهِ تَعَالَى، فَارْتَفَعَتْ لَهُ الأَصْوَاتُ بالدُّعَاء، وكَانَ فِيهم الشُّيُوخ والضُّعَفَاء والعَواجِز والصِّبْيَان والصِّغَار، فأَطْلَقُوهُمْ مِن الحَدِيدِ أَجْمَعِين، وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، حَتَّى عُدَّ ذَلِكَ مِن النَّوادِر الغَرِيبَة"[٢٦٣].

وبَعِيدًا عَنْ مُنَاقَشة الْعَفْو السُّلطَاني عَنْ هَؤُلَاء وإِسْقَاط مَا عَلَيْهِم مِن مُتَأخّرات فِي هَذَا المَوْقِف النَّادِر والغَرِيب، ومَا تُؤكِّده مَظَاهرُه مِن طُغْيَان مَرْكَزيَّة الحُكْم الْمَمَالِيكي تجَاه شَعْب مصْرَ، وأنَّ سَائِر عَنَاصِر المُجْتَمَع كَانَتْ تَعْمَل طَواعِيةً واجْبَارًا فِي طَاعَة إِقْهَار السُّلطَان ومَن يَعْملُ فِي خِدْمتِه، فإنَّ التَّصرُّف الْمهِين الَّذِي قَامَ بِه الأَمِيرُ "طُومان بَاي" مَعَ هَؤُلَاء، والطَّرِيقة الَّتِي أَحْضَرَهُمْ بِها إِلَى القَاهِرَة، ومَا انْتَهَجَهُ مُعْظَم كُشَّاف الْقَبْض عُمُومًا فِي ذَلِكَ العَصْر مِن أَسَالِيب وسِياسَات شَائِنَة مُمَاثِلة –ذَكَرْنَا أَمْثِلَةً عَلَيْهَا سَابِقًا– مِنْ أَجْلِ تَحْصِيل أَكْبَر قَدْرٍ مُمكِن مِن مُغَلّ السَّلْطَنَة، وتَقْدِيم شَواهِد مُؤَيِّدة لذلِكَ، عِنْدَ عَوْدَتهم إِلَى الْقَاهِرَة، ليَأْتِي كُلّه فِي سِيَاقٍ وَاحِدٍ يُؤشِّر عَلَى أنَّه بقَدْر مَا كَانَ يَنْجَح كَاشِفُ الْقَبْضِ فِي مَهامّه، ويَجْلِب للسَّلْطَنةِ أَوْفَرَ نَصِيبٍ مِن مُغَلّها، بقَدْر مَا يَرْضَى عَنْهُ السُّلْطَان، ومِن ثمَّ يَتَحدَّد مُسْتَقْبَله ومَصِيره الوَظِيفيّ التَّالِي بَعْدَ عَوْدَته إِلَى الْقَاهِرَة.

وتَأْسِيسًا عَلَى هَذَا، لَمَسْنَا تَحَوُّلًا وَظِيفيًّا؛ صُعُودًا أَوْ هُبُوطًا، أَوْ حَتَّى ثَبَاتًا، فِي وَظَائِف ورُتَب كُشَّاف الْقَبْض –بقَدْر مَا أُتيحَ لَنَا مِنْها– عَقِبَ انْتِهَاء مَهامّهم وعَوْدَتهم إِلَى الْقَاهِرَة؛ فمِنْهُمْ مَنْ عَادَ إِلَى الْقَاهِرَة عَلَى وَظِيفَته الْأُولَى الَّتِي كَانَ يَشْغَلها قَبْلَ تَكْلِيفه بِكُشُوفِيَّة الْقَبْض، مِثْل نَاصِر الدِّيْن مُحَمَّد بْن عُمَر البُتْخَاصّي الَّذِي مَنَحَهُ السُّلطَانُ إِمْرَة طَبْلَخاناه، وَوَلَّاه شَدَّ العَمَائِر السُّلْطَانِيَّة بالْقَاهِرَة، ثُمَّ جَهَّزَه سَنَة ٧٦١هـ/ ١٣٦٠م إِلَى مَنْفَلُوط لقَبْض مُغَلّها، فقَبَضَهُ وَعَادَ إِلَى الْقَاهِرَة عَلَى وَظِيفَتِه الْأُولَى ذَاتها(٢٦٤).

وَمِنْهُمْ مَنْ رُقِّيَ بَعْدَ عَوْدَته إِلَى الْقَاهِرَة إِلَى وَظِيفَةٍ أَوْ رُتْبةٍ أَعْلى، مِثْل جانِبَك النَّاصِريّ الَّذِي كَانَ مِن أُمَرَاء الْعَشَرَاتِ، ثُمَّ مِن رُؤوس النُّوَب، وبَعْدَ عَوْدَته مِن كُشُوفِيَّة الْقَبْض والْمِسَاحَة بمَنْفَلُوط صَيَّره السُّلطَانُ الظَّاهِرُ جَقْمَق مِن أُمَرَاء الطَّبْلَخاناه(٢٦٥).

وَمِنْهُمْ مَنْ عُزِلَ بَعْدَ عَوْدَته إِلَى الْقَاهِرَة عَنْ وَظِيفَته الَّتِي كَانَ يَشْغَلها قَبْلَ سَفَره إِلَى مَنْفَلُوط، مِثْل الأَمِير بَلَبان السِّنَاني الأسْتادَّار، أَحَد مُقَدَّمي الْأُلُوف، الَّذِي عُزِلَ عَنِ

الأسْتاذَّارية بَعْدَ قَبْضِهِ مُغَلّ مَنْفَلُوط سَنَة ٧٥٤هـ/ ١٣٥٣م، وَعَادَ إِلَى الْقَاهِرَة عَلَى إِمْرةٍ ضَعِيفَةٍ(٢٦٦).

وَلَعَلَّ هَذِهِ التَّحَوُّلات الوَظِيفِيَّة المَذْكُورة والمُصَاحِبة لحَرَكَةِ كُشَّاف الْقَبْض عَقِبَ انْتِهَاء مَهامّهم تُبَيّن لَنَا بجَلاء أَنَّ مُسْتَقبَل كَاشِف الْقَبْضِ الوَظِيفيّ وتَحْدِيد مَسَاره بَعْدَ عَوْدَته إِلَى الْقَاهِرَة كَانَ مَرْهُونًا بمِعْيار إنْجَازاته أَوِ اخْفَاقاته فِي كُشُوفِيَّة الْقَبْض، الَّتِي انْتُدِبَ لأَدَاء مَهامّها بمَنْفَلُوط، فعَلَى أَسَاسِها يَكْسَب رِضَا السُّلطَان وثِقَته بشَكلٍ يُعَزّزُ مِن نَجَاحَاتِه واسْتِمراره بوَظَائفه وتَرْقِيته، أَوِ العَكْس.

وَخِتامًا، فإنَّ هَذَا البَحْث يُسْفِرُ فِي جُمْلَتِهِ عَنْ وَظِيفَةٍ اسْتِثْنائِيَّةٍ فِي جِهَاز الإِدَارَة الْمَمْلُوكِيَّة، أُطْلِقَ عَلَى مُتَوَلّيها "كَاشِف الْقَبْضِ"، وهِيَ وَاحِدة مِن الْوَظَائِف الحُكُومِيَّة العَسْكَرِيَّة المُتخَصّصَة، وظَهَرتْ فِي مَنْفَلُوط أَوِ الأَعْمَال المَنْفَلُوطيَّة بالذَّات، فِي إِطَار مَا عَرفَته السَّلْطَنَةُ الْمَمْلُوكِيَّةُ مِن تَنْظيمات إِدَارِيَّة مُحْكَمَة ومُتَنوّعة فِي تَصْريف شُؤونها الإِقْلِيميَّة والمَحَليَّة، وتَلْبِيَةً لتَغْطِيَة احْتياجَاتِها مِن الغِلَال، واسْتِجَابَةً للظُرُوف والتَّوَتُّرات السِّياسيَّة الَّتِي عَاشَتها مَنْفَلُوط، وبُلْدَان الصَّعِيد الأَوْسَط، بِسَببِ ثَورَات الْعُرْبَان وتَمَرُّداتهم المُتكَرّرة، خَاصَّة فِي أَوْقَات الحَصَاد وقَبْض مُغَلّ السَّلْطَنَة.

وفِي إِطَار التَّفَاصِيل المَعلُوماتيَّة ذَات الصِّلَة بِهَذِهِ الوَظِيفَة كَشَفَ البَحْثُ عَنِ أَسْمَاء شَاغِلِيها، ومَكَانتِهم، ودَوْرِهم الوَظِيفيّ الفَاعِل والمُؤثِّر فِي حَرَكَةِ اقْتِصَاد السَّلْطَنَة الْمَمْلُوكِيَّة، وحِفْظ أَمْنِها الغِذَائيّ، مِمَّا جَعَلَ السُّلطَان يَخْتَار صَاحِبَها مِن الأُمَرَاء الأَكْفَاء ذَوِي الرُّتَب والمَنَاصِب الْعُلْيَا الْمُقَرَّبِينَ إِلَيهِ، ويَخْلَع عَلَيهِ خِلْعَةً سَنِيَّةً قَبْلَ أَنْ يُرْسِلَهُ –هُوَ والعَسْكريّين الَّذِينَ تَحْت قِيادَته– لأَدَاء مَهامّه، الَّتِي بَلْوَرَها البَحْثُ فِي: قَبْض غِلَال السَّلْطَنَة مِن الأَعْمَال المَنْفَلُوطيَّة، ومِسَاحَة أَرَاضِيها ومَزْرُوعَاتها، ومُحَارَبَة الْعُرْبَان والتَّصَدِّي لمَخَاطِرهم، ومَا كَانُوا يُحْدثُونه مِن قَلاقِل بتِلْكَ الْبِلَاد، والَّتِي عَلَى أَسَاسِها كَانَتْ تَطُولُ مُدَّةُ إِقَامَة كَاشِفِ الْقَبْضِ هُنَاكَ أَوْ تَقْصُر.

وفي سِيَاقٍ مُتَّصِلٍ بتَفاصِيل ذَلِك الطَّرْح، لَمَسَ البَحْثُ أنَّ "كَاشِف الْقَبْضِ" كَانَ يَعُود إِلَى الْقَاهِرَة عَقِبَ الِانْتِهَاء مِن مَهامّه، وَهُنَالِكَ يَسْتَقبِله السُّلطَانُ بالقَلْعَة، ويَخْلَع عَلَيهِ خِلْعَةَ سَنِيَّةً بمُناسَبة وُصُولِه، وبَعْدَ بِضْعَة أَيَّام يَبْعَث هُوَ بدَوْرِه هَدَايا نَقْدِيَّة وَعَيْنِيَّة إِلَى السُّلطَان، ومَعَها مُتَعلّقات حِسَابيَّة، تُراجِعُها السَّلْطَنَةُ؛ لتُقَيّم أَدَاءَه فِي قَبْض غِلَالها مِن مَنْفَلُوط، والَّذِي عَلَى قَدْرِ انْجَازِه أَوِ اخْفَاقه فِيهِ يَكْسَب رِضَا السُّلطَان مِن عَدَمِهِ، وعَلَيه يَتَحدَّد مَصِيرُه الوَظِيفيّ مُسْتَقبَلًا.

وفِي النِّهَايَة، يُوصِى البَحْثُ أَهْلَ الِاخْتِصَاص فِي التَّارِيخ والْحَضَارَة الإِسْلاميَّة بصِفَةٍ عَامَّة، وتاريخ العَصْر الْمَمْلُوكِي وحَضَارَته بصِفَةٍ خَاصَّةٍ، بضَرُورة إِجْرَاء أَبْحَاث ودِرَاسَات عِلْميَّة حَوْلَ الْوَظَائِف المُسْتَحدَثة والاسْتِثْنائِيَّة الَّتِي أَفْرَزَتها نُظُم الإِدَارَة الإِسْلاميَّة؛ للتَّواكُب مَعَ المُتغيّرات السِّياسيَّة والاقْتصَاديّة زَمَانيًّا ومَكَانيًّا، كوَظِيفَة "كَاشِف الْقَبْضِ"، الَّتِي طَرَقْنَا بَابَ بَحْثِها هُنَا، والَّذِي يُمْكِن أَنْ يَكُونَ نوَاة لدِرَاسةٍ أَكْثَر شُمولًا فِي المُسْتَقبَل – بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى– عَنْها، وعَنْ غَيْرها مِن وَظَائِف الكَشْفِ الأُخْرَى، الَّتِي لَمْ تَنَلْ حَظَّها مِن الدِّراسَة حَتَّى الآنَ، كوَظِيفَة "كَاشِف الْطَّيْر" مَثَلًا. فَمِثْل هَذِهِ المُسْتَحدَثات الْوَظَائِفيَّة والمُسْتَجدّات الإِدَارَيَّة تَتَلَاقى كُلّها فِي نُقْطةٍ مُضِيئةٍ تَسْطَعُ بالتَّنَوُّع الْوَظَائِفيّ، والتَّنْظِيم المُحْكَم لنُظُم الإِدَارَة الإِسْلاميَّة، ومِنْ ضِمْنها الإِدَارَة الْمَمْاليكيَّة بطَبيعَةِ الحَالِ، وتَعْكِسُ مُرُونةَ أَجْهزتها الإِدَارِيَّة، ودَيْمُومَةَ تَطْوِيرها، بِمَا يُنَاسِب الظُّرُوف والمُتغيّرات العَصْريَّة الَّتِي عَايَشَها القَائِمُونَ عَلَى أَمْرِها، ومُتَّخِذو القَرَار بشَأْنهَا فِي أَزْمَانِهم.

الهَوَامِش

(١) عَليّ بَاشَا مُبَارَك بْن سُليمان الرَّوْحي (ت١٣١١هـ/ ١٨٩٣م): الخِطَط التَّوْفِيقيَّة الْجَدِيدة لمِصْر والْقَاهِرَة ومُدُنِها وبلادِها القَدِيمَة والشَّهِيرَة، المَطْبَعة الكُبْرَى الأَمِيريَّة، بُوْلَاق، الْقَاهِرَة، ط١، ١٣٠٥هـ/ ١٨٨٧م، ج١٥ ص٩٤؛ مُحَمَّد رَمْزي: القَامُوْسُ الجُغْرَافِي للبِلَادِ المِصْريَّة مِن عَهْد قُدَمَاء المِصْريين إِلَى سَنَة ١٩٤٥م، القِسْم الثَّانِي (لِبلاد الحَاليّة)، الهَيْئَة المِصْريَّة العَامّة للكِتاب، الْقَاهِرَة ١٩٩٤م، ج٤ ص٧٨.

(٢) مُحَمَّد سَالم عبَّاس الصَّعِيدي: مَجَلّة كُلّيّة اللُّغَة العَرَبيَّة بالمَنصُورة، جَامِعَة الأَزْهَر، المجلد ٤١، العَدَد ٢، ٢٠٢٢م، ص٥٥٩- ٦٥٢.

(٣) رِسَالة مَاجِستير غَيْر مَنْشُورة، كُليّة الآدَاب بسُوهَاج، جَامِعَة أسْيُوط، ١٩٨٤م.

(٤) مِن ذَلِكَ قَوْله: إنَّ كَاشِف الْقَبْضِ هو المَسؤول عن قَبْضِ الْأَمْوَال وصَرْفِها بالمَنْفَلُوطية، وأنَّه يُشْبِه الصَّيْرفيّ (انْظُر الرِّسَالة نَفْسها، ص٩٦). وهَذَا اجْتِهاد مِنه، يُحْمَدُ له، لَكِن كَاشِف الْقَبْضِ فِي الوَاقِع لَيْسَ هَكَذَا بَلْ لَهُ أدْوَارٌ واخْتِصَاصات أُخْرَى، وسَيتَّضِح ذَلِكَ فِي مَوَاضِعه مِن هَذَا البَحْث.

(٥) الْخَلِيلُ بْن أَحْمَد، أَبُو عَبْد الرَّحْمَن الْبَصْرِيُّ الفرَاهِيْدِيّ (ويقال الْفرْهُودِيّ) النَّحْوِيّ (ت١٧٥هـ/٧٩١م): العَيْن، تَحْقِيق مَهْدِي المَخزُومي وإِبْرَاهيم السَامرائي، دَار ومَكْتَبة الهِلال (د. ت)، ج٥ ص٢٩٧؛ ابْن مَنْظُور، أَبُو الفَضْل مُحَمَّد بْن مَكْرَم بْن عَلِيّ (ت٧١١هـ/١٣١١م): لِسَان العَرب، دَار صَادِر، بَيْرُوت، ط٣، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ج٩ ص٣٠٠.

(٦) أَحْمَد مُخْتار عُمَر: مُعْجَم اللُّغَة العَرَبيَّة المُعَاصرة، عَالَم الكُتب، الْقَاهِرَة، ط١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، ج٣ ص١٩٣٦.

(٧) تَكْمِلَة المَعَاجِم العَرَبيَّة، نقَلَه إِلَى العَرَبيَّة وعَلّق عَليه: جَمَال الخَيّاط، وزَارَة الثَّقافة والإِعْلَام، دَار الشُّؤون الثَّقافيّة العَامّة، بَغْدَاد ١٩٨٠، ١٩٨١م، ج٩ ص٩٤- ٩٨.

(٨) عُمَر عَبْد السَّلام تَدمُري فِي تَحْقِيقه للرَّوْضِ البَاسِمِ فِي حَوَادث العُمُر والتَّراجِم، المَكتَبة العَصْريّة، صَيْدا- بَيْرُوت، ط١، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م، ج٤ ص٢٦٨ (فِهْرِس المُصطلَحات والْأَلْقَاب).

(٩) عَبْد الْبَاسِط بْن خَلِيل، زَيْن الدِّيْن بْن خَلِيل بْن شَاهِين الظَّاهِرِيّ (ت٩٢٠هـ/ ١٥١٤م): الرَّوْضُ البَاسِمُ فِي حَوَادث العُمُر والتَّراجِم، ج٣ ص٣٦٦؛ ابْنُ إِيَاس: أَبُو البَرَكات مُحَمَّد بْن أَحْمَد (ت ٩٣٠هـ/١٥٢٣م): بَدَائعُ الزُّهُور فِي وَقائِع الدُّهُور، تَحْقِيق مُحَمَّد مُصْطَفى، الهَيْئَة المِصْريَّة العَامّة للكِتاب، الْقَاهِرَة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ج٥ ص٦٥.

(10) Takenori Yoshimura: "The Role of Middle and Lower Rank Military Officers in Fourteenth-Century Mamluk Egypt: Establishment and Development of the Regional Administration Offices of w¯al¯I and ka¯shif", In: Studies on the History and Culture of the Mamluk Sultanate (1250–1517), V&R Unipress, Bonn University Press, 2021, p. 300.

(١١) حَسَن البَاشَا: الفُنُون الإِسْلاميَّة والوَظائِف على الآثَار العَرَبيَّة، دَار النَّهضَة العَرَبيَّة، الْقَاهِرَة، ١٩٦٦م، ج٢ ص٩٢٧.

(١٢) ابْنُ نَاظِر الْجَيش، تَقِيّ الدِّيْن عَبْد الرَّحْمَن بْن مُحِبّ الدِّيْن مُحَمَّد (٧٨٦هـ/ ١٣٨٤م): تَثْقِيف التَّعْرِيف بالمُصطلَح الشَّرِيف، تَحْقِيق رودلف فَسَلِي، المَعَهْد العِلمي الفرنْسِي للآثار الشَّرقيَّة، القَاهِرة، ١٩٨٧م، ص٩٦، ١١١؛ القَلْقَشَنْديّ، شِهَاب الدِّيْن أَبُو العبّاس أَحْمَد بْن عَليّ (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م): صُبح الأَعْشَى، طَبْعَة مُصَوَّرة عَن طَبْعِة دَار الْكُتُب الخِدِيوِيَة، الهَيْئَة العَامّة لقُصُور الثَّقافة، القَاهِرة ٢٠٠٤– ٢٠٠٦م، ج٧ ص١٥٦؛ وضَوْء الصُّبح المُسفِر وجَني الدَّوْح المُثمِر، تَصحِيح وتَنقِيح مَحْمُود سَلامَة، مَطبَعة الوَاعِظ، مِصْر، ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م، ص٢٧٤.

Quatremère, E. M: Histoire des sultans mamlouks, de l'Égypte, (Paris 1837), T.1, par.2 p. 96.

(١٣) المقْرِيزي، تَقِيّ الدِّيْن أَحْمَد بْن عليّ (ت ٨٤٥هـ/١٤٤٢م): السُّلُوك لمَعْرِفَة دُوَلِ الْمُلُوك، تَحْقِيق مُحَمَّد عَبْد الْقَادِر عَطا، دَار الْكُتُب العِلميّة، بَيْرُوت، لبْنَان، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ج٥ ص٣٨١؛ عَبْد الْبَاسِط بْن خَلِيل، زَيْن الدِّيْن ابْن خَلِيل بْن شَاهِين الظَّاهِريّ (ت٩٢٠هـ/ ١٥١٤م): نَيْلُ الْأَمَلِ فِي ذَيْلِ الدُّوَلِ، تَحْقِيق عُمَر عَبْد السَّلام تَدْمُري، المَكتَبة العَصْريّة للطِّباعة والنَّشر، بَيْرُوت – لبْنَان، ط١، ١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠٢م، ج١ ق٢ ص٣٦٣؛

Quatremère, E. M: Op. Cit, T.1, par.2 p. 97.

(١٤) صُبْح الأَعْشَى، ج٤ ص٢٤، ٢٥، ٦٤، ٦٥؛ وضَوْء الصُّبح المُسفِر، ص٢٦٥، ٢٦٦؛

Takenori Yoshimura: Op. Cit., p. 306.

(١٥) ذَكَر القَلْقَشَنْديّ الكُشوفيّات الثَّلَاث وبَيَّن أَمَاكِنها بِقَوْلِهِ: "جُعل لْلوَجْه البَحريّ كَاشِفٌ مِن أُمَرَاء الطَّبْلَخاناه على العَادَةِ المُتقدّمة، وهو فِي الحَقِيقة تَحْت أَمْر نَائِب الْوَجْه البحريّ، ومَقرّته مُنْية غَمْر مِن الشَّرقيةّ، وجُعل كَاشِفٌ آخَر للبَهْنَساويّة والفَيّوم، وعُطِّل الفَيّوم مِن الوَالِي، وبَاقِي الْوَجْه الْقِبْلِيّ أَمْره رَاجِعٌ إلى نَائِبه، وللجِيزيّة كَاشِفٌ يَتَحَدَّثُ فِي جُسُورها وسَائر مُتعلّقاتها، ولا يَتعدّى أَمْره إلى غَيْرها مِن النَّواحِي" (صُبْح الأَعْشَى، ج٤ ص٦٥؛ وضَوْء الصُّبح المُسفِر، ص٢٦٦).

(١٦) ابْـن شَـاهِين الظَّـاهِرِي، غَـرْسُ الـدِّيْن خَلِيـل بْـن شـاهين (ت٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م): زُبْـدَة كَشْـف المَمَالِك وبَيان الطُّرُق والمَسَالِك، اعْتَنـى بتَصـحِيحه بولس راويس، المَطبعـة الجُمهوريَّـة، بَارِيس، ١٨٩٣م، ص١٢٩؛ عَبْد الْبَاسِط بْن خَلِيل: الرَّوْضُ البَاسِمُ، ج٣ ص٣١ وج٤ ص٥٠.

(١٧) ابْن شَاهِين الظَّاهِري: المَصْدَر نَفْسه، والصَّفْحَة. والْجُسُور الْمَقْصُودة هُنَا هِيَ الْجُسُور السُّلْطَانيَّة التـي يُمْكِن أن نُسمِّيها الْجُسُور العَامَّـة. حَيْثُ كَانَـتْ الْجُسُور علـى قِسْمين: سُـلْطَانيَّة، وبَلَديَّـة؛ فالْأُولَى مِنْهما هِيَ العَامَّة النَّفْع فِي حِفْظ النِّيْل على جَميعِ الْبِلَاد، والدَّوْلَة تَتولَّى عمَارتَها والإِنْفَاق عليها. أمَّا الثَّانِية فيَخُصّ نَفْعُها نَاحِية دُونَ نَاحِية، ويَتولَّى إِقَامَتَها وصِيانَتَها المُقْطَعُون والفَلَّاحُون مِن أَمْوَالهم (ابْن مَمّاتي، شَرَف الدِّيْن أَبُو المكارِم الأَسْعَد بْن مُهَذَّب ت ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م: قَوانِين الـدَّواوِين، تَحْقِيـق عَزيـز سُـوريَا ل عَطيّـة، مَكتَبـة مَـدبُولي، القَـاهِرة، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص٢٣٢؛ المقْرِيزي، تَقِيّ الدِّيْن أَحْمَد بْن عليّ (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤٢م): المَواعِظ والإِعْتِبَار فِي ذِكْر الخِطط والآثَار، تَحْقِيق أيْمَن فُؤاد سيّد، مُؤسَّسة الفُرْقَان للتُّراث الْإِسْلَامي، لندن، ٢٠٠٢-٢٠٠٤م، ج١ ص٢٧٢).

(١٨) القَلْقَشَنْديّ: صُبْح الأَعْشَى، ج٣ ص٤٤٨، ٤٤٩.

(١٩) سَيِّد خَلِيل مُحَمَّد عَليّ: مَجَلّة كُلّيّة الآدَاب بِقِنَا، جَامِعَة جَنُوب الوَادِي، العَدَد ٥٦، يُوليو ٢٠٢٢م، ص٦١٥- ٦٤٤.

(٢٠) السّحمَاوِيّ، شَمْس الـدِّيْن مُحَمَّد بْـن بَـدْر الـدِّيْن مُحَمَّد (ت٨٦٨هـ/ ١٤٦٤م): الثَّغْرُ البَاسِمُ فِـي صِنَاعة الكَاتِب والكَاتِم، الْمَعْرُوف باسْم (المَقْصد الرَّفيع المُنْشا الهَادي لدِيوَان الإنْشَا للخَالِديّ)، تَحْقِيق أَشْرف مُحَمَّد أَنَس، دَار الْكُتُب والوثائِق القَوميّة، القَاهِرة،١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ج١ ص٣٩٩.

(٢١) ابْن مَنْظُور: لِسَان العَرب، ج٧ ص٢١٤.

(٢٢) المُنَاوي، زَيْن الدِّيْن مُحَمَّد عبدُ الرُّؤوفِ بْن تاجِ العَارِفينَ بْن عَليَ (ت ١٠٣١هـ/ ١٦٢٢م): التَّوقِيف عَلَى مهمَّات التَّعارِيف، عالَم الكُتُب، القَاهِرة، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ص ٢٦٧؛ الزَّبيدي: أَبُـو الفَـيْض مُحَمَّد بْـن مُحَمَّـد بْـن عَبْـد الـرّزّاق الملقّب بمُرْتَضَـى (ت١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م): تَـاجُ العَرُوس مِنْ جَواهِر القَامُوس، تَحْقِيق عَبْد العَلِيم الطّحَاويّ، مَطبَعة حُكُومَة ٱلْكُوَيْت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ج١٩ ص١٢.

(٢٣) ابْن نَـاظِر الْجَـيش: تَثْقِيف التَّعْرِيف، ص١١٣؛ القَلْقَشَنْديّ: صُـبْح الأَعْشَـى، ج٧ ص١٥٨ وج٨ ص٢٣٠؛ وضَوْء الصُبح المُسفِر، ص٢٧٥؛ السّحمَاوِيّ: الثَّغْرُ البَاسِمُ، ج١ ص٣٨٥.

(٢٤) الصَّـفَدِيّ: صَـلاحُ الـدِّيْن خَلِيل بْن أَيْبَك (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م): أَعْيَانُ العَصْـر وأَعْوَانُ النَّصْـر،

حَقَّقَهُ عَلِيّ أَبُو زَيد، وآخَرُون، دَار الفِكْر المُعَاصِر– بَيْرُوت، ودَار الفِكْر – دِمَشْق، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، ج٢ ص٤٦ وج٥ ص٣٩؛ المقْرِيزِي: السُّلُوك، ج٤ ص١٥٣ وج٦ ص٣٩٥؛ ابْن حَجَر العَسْقَلانِيّ، شِهَاب الدِّيْن أَبُو الفَضْل أَحْمَد بْن عليّ (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٩م): الدُّرَر الكَامِنة فِي أَعْيَان الْمِائَة الثَّامِنَة، دَار الجِيْل، بَيْرُوت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ج١ ص٤٩٣، وج٤ ص١٢٦؛ عَبْد الْبَاسِط بْن خَلِيل: نَيْلُ الْأَمَلِ، ج١ ق١ ص٢٢٧.

(٢٥) ابْنُ إِيَاس: بَدَائِعُ الزُّهُور، ج٣ ص٢٠١، وج٤ ص١٨٠، ٢٦١، ٣٧١، ٣٨٨.

(٢٦) ابْنُ إِيَاس: المَصْدَر نَفْسه، ج٣ ص٣٧، وج٤ ص٢٦.

(٢٧) المقْرِيزِي: السُّلُوك، ج٤ ص١٥٣؛ ابْنُ الصَّيْرَفِيّ، عَلِيّ بْن دَاوُد، الخَطِيب الْجَوْهَرِيّ (ت٩٠٠هـ/ ١٤٩٥م): إِنْبَاء الهَصْر بأَنْبَاء العَصْر، تَحْقِيق حَسَن حَبشِي، الهَيْئَة المِصْرِيَّة العَامّة للكِتَاب، القَاهِرة، ٢٠٠٢م، ص١٢٣، ١٢٦؛ عَبْد الْبَاسِط بْن خَلِيل: نَيْلُ الْأَمَلِ، ج١ ق١ ص٢٢٧.

(٢٨) المقْرِيزِي: المَصْدَر نَفْسه، ج٧ ص٢٨٢.

(٢٩) السّحمَاوِيّ: الثَّغْرُ البَاسِمُ، ج٢ ص٦٨٠.

(٣٠) عَبْد الْبَاسِط بْن خَلِيل: الرَّوْضُ البَاسِمُ، ج٣ ص٢٢٨؛ والمَجْمَعُ المُفَنَّنُ بِالمُعْجَمِ المُعَنْوِنِ، تَحْقِيق عَبْد الله مُحَمَّد الكندري، دَار البَشائِر الإِسْلامِيَّة، بَيْرُوت، ط١، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م، ص٥٦٦.

(٣١) يَبْدُو أَنَّ العَادَة قد جَرَت زمن الْمَمَالِيك، خَاصَّة فِي دَوْلَتِهم الْأُولَى، بعَدَم ذِكر بَعْض وَظَائِف الأُمَرَاء –ومِن بَيْنها تلك الوَظِيفَة– فِي الْمُكَاتَبَات السُّلْطَانية الصَّادِرة مِن دِيْوَان الْإِنْشَاء إلى القَائِمِين على أَمْرها، وانْعَكسَ ذَلِكَ بطَبيعَةِ الحَالِ فِي الكِتَابات المَصْدَرِيَّة المُتعلِّقة بِهَذِهِ الوَظَائِف. وكَلَام ابْن نَاظِر الْجَيْش يُثبت صِحَة ما ذَهَبنا إليه، إذ يَقُول: "وأَمَّا مَن يَتَوجَّه مِن الأُمَرَاء لبَعْض الأَعْمَال (أي الأَقَالِيم) المَذْكُورة بِسَبَبِ كَشْف الْجُسُور، أَوِ التَّخْضِير، أَوْ لقَبْض الغِلَال، فإِنَّ المُكَاتَبة إليه .... تَعْرِيفه اِسْمه لا غَيْر، ولا تُذكر الوَظِيفَةُ التي تَوَجَّهَ بِسَبَبِها، ولا الإِقْلِيم الَّذِي هو به" (تَثْقِيف التَّعْرِيف، ص١١٣؛ انْظُر أَيْضًا؛ القَلْقَشَنْدِيّ: صُبْح الأَعْشَى، ج٧ ص١٥٨؛ وضَوْء الصُّبح المُسفِر، ص٢٧٥).

(٣٢) الصَّفَدِيّ: أَعْيَانُ العَصْر، ج٢ ص٤٦.

(٣٣) الصَّفَدِيّ: المَصْدَر نَفْسه، ج٥ ص٣٩.

(٣٤) ابْن حَجَر العَسْقَلانِيّ: الدُّرَر الكَامِنة، ج٢ ص٣٠.

(٣٥) ابْن حَجَر العَسْقَلانِيّ: المَصْدَر نَفْسه، ج٤ ص١٢٦.

(٣٦) ابْنُ الصَّيْرَفِيّ، عَليّ بْن دَاوُد، الخَطِيب الْجَوْهَرِيّ (ت٩٠٠هـ/ ١٤٩٥م): نُزْهَةُ النُّفُوسِ والأَبْدانِ فِي تَوَارِيخِ الزَّمَان، تَحْقِيق حَسَن حَبشِي، دَار الكُتُب، القَاهِرة، ١٩٧٠- ١٩٩٤م، ج٢ ص٥٢٥.

(٣٧) ابْنُ الصَّيْرَفِيّ: المَصْدَر نَفْسه، ج٣ ص٣٠٩.

(٣٨) مُحَمَّد السَّيد مُحَمَّد فَيَاض: دَوْر المِهْمَنْدَار فِي مِصْر والشَّام فِي العَصْر الْمَمْلُوكِيّ (٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)، مَجَلّة كُلّيّة الآدَاب، جَامِعَة أُسْوَان، المجلد ١٤، العَدَد ٢، أُكتُوبر ٢٠٢٣م، ص٢٣٤.

(٣٩) صُبْح الأَعْشَى، ج٣ ص٤٥٥، ٤٥٦.

(٤٠) ابْنُ جُبَيْر: أَبُو الحُسَين مُحَمَّد بْن أَحْمَد الكنَانيّ (ت٦١٤هـ/ ١٢١٧م): رِحْلَةُ ابْن جُبَيْر، دَار صَادِر، بَيْرُوت، ١٩٦٧م؛ عَليّ بَاشَا مُبَارَك: الخِطَط التَّوْفِيقيَّة ج١٥ ص٩٤.

(٤١) اخْتصَّ السَّلاطِين الأَيُّوبيّون بمَنْفَلُوط مُنْذُ عَهْد صَلاح الدِّيْن يُوسُف مُؤسِّس دَوْلتهم؛ فلم تُدرَج على أَيَّامه –هي ومَنْقَباط (مَنْقَباد) الوَاقِعَة شَمَال مَدِينَة أَسْيُوط– فِي الْبِلَاد الجَارِيَة فِي الإِقْطَاعات التي لها عِبْرة بالدِّيوَان، وكَانَت خَارِجة عَنْها. وهَذَا نَصَّ عَلَيهِ المقْرِيزِي فِيمَا نَقَلهُ عن القَاضِي الفَاضِل فِي مُتَجَدِّدات سَنَة ٥٨٥هـ/ فبْرَاير ١١٨٩م. حَتَّى إنَّه عِنْدَمَا فَصَلَ عِبْر الْوَجْه الْقِبْلِيّ أَوْرَدَ مِن بينها عِبْرة السُّيوطيَّة "خَارجًا عن مَنْفَلُوط ومَنْقَباط" (انْظُر؛ المَواعِظ والاِعْتِبَار ج١ ص٢٣٣، ٢٣٥). وهَذَا مَعْناه أنَّ مَنْفَلُوط كَانَتْ فِي خَاصّ السُّلْطَان.

(٤٢) مُحَمَّد أَحْمَد مُحَمَّد بديوِي: مَظاهِر الحَضَارة فِي مِصْر العُليَا فِي عَصْر سَلاطِين الدَّوْلَتين الأَيُوبِيّة والْمَمْلُوكِيَّة، مَطْبَعة الأَمَانة، الْقَاهِرَة ١٩٨٧م، ص٤٠.

(٤٣) قَاسِم عَبْده قَاسِم: عَصْرِ سَلاطِين الْمَمَالِيك، التَّارِيخ السِّياسِي والاِجتِمَاعي، عَيْن للدِّرَاسَات والبُحُوث الإِنْسَانيَّة والاجْتِمَاعيَّة، القَاهِرة، ط١، ١٩٩٨م، ص١٦٣. كَانَ نِظَامُ الإِقْطَاع الحَرْبِيّ هو السَّائِد فِي مِصْر الأَيُّوبيّة، وأَخَذَه الأَيُّوبيّون عن السَّلاجِقة والزَّنْكِيين، وكَانَتِ الإِقْطاعات تُوزَّع بمُقتضاه على المُقْطَعين مُقَابل خِدْمات مَدَنيَّة يُؤدِّيها المُقطَع فِي إِقْطَاعه، فَضْلًا عَن الخِدْمات الحَرْبيَّة التي يَلْتَزم بِها (مُحَمَّد أَحْمَد مُحَمَّد بديوِي: مَظاهِر الحَضَارة فِي مِصْر العُليَا، ص٥١).

(٤٤) الرَّوْك: كَلِمَةٌ قِبْطِيَّةٌ أَصْلُها (رَوش) ومَعْنَاها الْحَبْل، ثُمَّ اسْتُعْمِلَت للدّلالة على قِياس الأَرْض بالْحَبْل. وقَدْ اصْطُلح على اسْتِعْمَالِها فِي مُصْطَلَحِ الإِدَارَة المَالِيَّة فِي مِصْر والشَّام فِي العُصُور الوُسْطَى للدّلالَة على عَمَليَّة قِياس الْأَرَاضِي وحَصْرِها فِي سِجلّات وتَثْمِينها – أَي تَقْدِير دَرَجَة خُصُوبتها لرَبْط خَرَاجٍ مُناسِب عليها– وتَقْويم العقَارات وغَيْرِها مِن الأَمْلاك الثَّابتة ومُتعلّقاتها، وذَلِكَ مَرَّة كُلّ ثَلاثِين سَنَة (إبْراهِيم عَليَ طرخَان: النُّظُمُ الإِقْطاعيَّة فِي الشَّرْق الأَوْسَط فِي العُصُور

الوُسْطَى، دَار الْكَاتِب الْعَرَبِيّ للطِّبَاعَة والنَّشْر، القَاهِرة، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م، ص٩٥، ٩٦). ويُقَابِل الرَّوْك فِي وَقْتنا الحَاضِر عَمَلِيَّتي فَكّ الزِّمَام وتَقْدِير الضَّرائِب (أَمِيْن مَحْمُود عَبْد الله: تَطَوُّر التَّقْسِيم الإِدَاري فِي مِصْر العُلْيَا مُنْذُ فَجْر التَّارِيخ إلى نِهايَة القَرْن العِشرِيْن، مَطابِع جَامِعَة أَسْيُوط، أَسْيُوط، ١٩٩٦م، ص٢٢٤).

(٤٥) ابْن خَلْدُون: عَبْد الرَّحْمَن بْن مُحَمَّد بْن مُحَمَّد الحَضْرَمِيَ الإِشْبيليّ (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٦م): تَارِيخ ابْن خَلْدُون المُسَمَّى "العِبَر ودِيْوان المُبْتدأ والخَبَر فِي تَارِيخ الْعَرَب والبَرْبَر ومَن عَاصَرَهم مِن ذَوِي الشَّأَن الأَكْبَر"، تَحْقِيق خَلِيل شحَادة، دَار الفِكْر، بَيْرُوت، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ج٥ ص٤٧٠.

(٤٦) المقْرِيزي: السُّلُوك، ج٢ ص٢٩٠، ٥٠٨؛ والمَواعِظ والإِعْتِبَار، ج١ ص٢٤١؛ أَبُو المَحاسِن، جَمَال الدِّيْن يُوسُف بْن تَغْري بِردْي (ت٨٧٤ هـ/١٤٧٠م): النُّجُوم الزَّاهِرة فِي مُلُوكِ مِصْر والقَاهِرة، مَطْبَعة دَار الكُتُب المِصْريَّة، القَاهِرة، ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م، ج٨ ص٩٣.

(٤٧) النُّوَيْري، شِهَاب الدّين أَحْمَد بْن عَبْد الْوَهَّاب (ت ٧٣٣هـ/١٣٣٢م): نِهاية الأَرَب فِي فُنُون الأَدَب، ج٣١ تَحْقِيق نَجِيب مُصْطَفى فَوَّاز وحِكْمَت كشلِيْ فَوَّاز، دَار الْكُتُب العِلميّة، بَيْرُوت، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م، ص٢١٨؛ المقْرِيزي: السُّلُوك، ج٢ ص٥٠٦.

(٤٨) العَيْني، بَدْر الدّيْن أَبُو مُحَمَّد مَحْمُود بْن أَحْمَد بْن مُوسَى بْن أَحْمَد (ت٨٥٥هـ/ ١٤٥١م): عِقْدُ الجُمَانِ فِي تَارِيخِ أَهْلِ الزَّمَان- عَصْر سَلاطِين الْمَمَالِيك، حَقَّقَهُ ووَضَعَ حَواشِيه مُحَمَّد مُحَمَّد أَمِين، مَطبعة دَار الْكُتُب والوثائِق القَوميّة، القَاهِرة، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، ج٣ ص٣٩٧.

(٤٩) ابْن دُقْمَاق، صَارِم الدِّين إِبْرَاهِيم بْن مُحَمَّد بْن أيدَمُر العَلائي (ت ٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م): الانْتصَارُ لوَاسِطَةِ عِقْدِ الأَمْصَار، قَابَلَهُ بأُصُولِه وأَعَدُّهُ لِلنَشْر أيْمَن فُؤَاد سَيِّد، مَكتَبَة الْإِسْكَنْدَرِيَّة، مَرْكَز دِراسَات الحَضَارَة الإِسْلاميَّة، الْإِسْكَنْدَرِيَّة، ٢٠٢١م، ج٢ ص٥٩.

(٥٠) الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ حُسَامُ الدِّين لَاجِين بْن عَبْد الله الْمَنْصُوريّ: أَحَد سَلاطِين دَوْلَة الْمَمَالِيك الْبَحريَّة، كَانَ مَمْلُوكًا لِلْمَنْصُور قَلَاوُون، تَقدَّم فِي الوَظائِف حَتَّى وُلّي نِيَابَة السَّلْطَنَة فِي أَيَّام العَادِل "كتبُغا"، ثم قَامَ بخَلْع كتبُغا، وتَولَّي السَّلْطَنَة فِي صَفَرٍ سَنَة ٦٩٦هـ/ نُوفمبر ١٢٩٦م، إلى أن قُتِلَ يَوْم الْخَمِيس عَاشِر شَهْر رَبِيعٍ الْآخِر سَنَة ٦٩٨هـ/ يناير ١٢٩٩م (الصَّفَدِيّ: صَلاحُ الدِّيْن خَلِيل بْن أَيْبَك (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م): الوَافِي بالْوَفَيَات، تَحْقِيق أَحْمَد الأرنَاؤوط وتركي مُصْطفى، دَار إحيَاء التُّراث، بَيْرُوت، لبْنَان، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ج٢٤ ص٢٩٠، ٢٩١؛ خَيرُ الدّين الزِّرِكْلي: الأَعْلَام، "قَامُوس تَراجم لأَشْهَر الرِّجال والنِّسَاء مِنَ العَرَب والمُستعرِبين والمُستشرِقين"، دَار العِلم للمَلايين، بَيْرُوت، لبْنَان، ط١٥، ٢٠٠٢م، ج٥ ص٢٣٨).

(٥١) عَملَ السُّلطَان حُسَام الدِّيْن لَاجِين هَذَا الرَّوْك وأَعَادَ تَوزيع الْأَرَاضِي؛ لِيَرُدَّ الإقْطاعَات إلى أَرْبَابها، حَيْثُ وَجَدَ الأُمَرَاء يَسْتَحوِذون عَلَى كَثِيرٍ مِن إقْطَاعات الجُنُود فلا يَصلُ إلى الجُنُود مِنها شَيءٌ (المقْرِيزي: السُّلُوك، ج٢ ص٢٨٩، ٢٩٠؛ والمَواعِظ والإعْتِبَار، ج١ ص٢٣٦).

(٥٢) النُّوَيْري: نِهاية الأَرَب، ج٣١ ص٢١٨؛ ابْن خَلْدُون: العِبَر، ج٥ ص٤٧٠؛ المقْرِيزي: السُّلُوك، ج٢ ص٢٩٠؛ العَيْني: عِقْدُ الجُمَان، ج٣ ص٣٩٧؛ أَبُو المَحاسِن: النُّجُوم الزَّاهِرة، ج٨ ص ٩٣.

(٥٣) النَّاصِرُ مُحَمَّد بْن قَلَاوُون بْن عَبْد الله الصَّالِحِيّ؛ تَاسِع سَلاطِين دَوْلَة الْمَمَالِيك الْبَحريَّة. اعْتَلَى عَرْش السَّلْطَنَة ثَلاث مَرَّات: الْأُولَى وهو صَبِيّ، عَقِبَ قَتْل أَخِيه الْأَشْرَف، فِي نِصْف الْمُحَرَّم سَنَة ٦٩٣هـ/ ١٢٩٣م، وخُلِع مِنْها لحَدَاثته سَنَة ٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م. والثَّانِية مِن سَنَة ٦٩٨هـ/ ١٢٩٩م إلى سَنَة ٧٠٨هـ/ ١٣٠٩م. والثَّالِثة من سَنَة ٧٠٩هـ/ ١٣١٠م إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ سَنَة ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م). وشَهِدتْ مِصْرُ فِي سَلْطَنتِهِ الثَّالِثة نَهْضةً حَضَاريَّةً وعُمْرَانيَّةً لَمْ تَشْهَدْهَا فِي عَهْد غَيْره مِن السَّلاطِين الْمَمَالِيك (ابْن حَجَر العَسْقَلانيّ: الدُّرَر الكَامِنة، ج٤ ص١٤٤– ١٤٨؛ خَيرُ الدّين الزِّرِكْلي: الأَعْلَام، ج٧ ص١١).

(٥٤) عَملَ السُّلطَان النَّاصِرُ مُحَمَّد بْن قَلَاوُون هَذَا الرَّوْك لِيَتِمَّ تَوْزِيع الْأَرَاضِي على المُقْطَعِين والزُّرَّاع تَوْزِيعًا عَادِلاً، وأَفْرَدَ لنَفْسِهِ فِي هَذَا الرَّوْك عَشرَةَ قَرَارِيط، وللأُمَرَاء والجُنُود وغَيْرهم أَرْبَعَةَ عَشَرَ قِيراطًا، واسْتَمَرَّ العَمَل بهذا الرَّوْك حَتَّى سَنَة ٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م (المقْرِيزي: المَواعِظ والإعْتِبَار، ج١ ص٢٣٧، ٢٤١، ٢٤٤).

(٥٥) أَبُو المَحاسِن: النُّجُوم الزَّاهِرة، ج٩ ص ٤٢، ٤٣؛ السُّيُوطِيّ: جَلَال الدِّين عَبْد الرَّحْمَن بْن أَبِي بَكْر جَمَال الدّين (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م): حُسْنُ المُحَاضَرَة فِي تَارِيخ مِصْر والقَاهِرة، تَحْقِيق مُحَمَّد أَبُو الفَضْل إِبْرَاهِيم، دَار إِحْيَاء الكُتُب العَرَبيَّة، عِيْسَى البَابي الحَلبي وَشُرَكَاهُ، مِصْر، ط١، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م، ج٢ ص٢٦٤.

(٥٦) المقْرِيزي: السُّلُوك، ج٢ ص٥٠٨؛ والمَواعِظ والإعْتِبَار، ج١ ص٢٤١.

(٥٧) شِهَاب الدِّيْن أَحْمَد بْن يَحْيى : التَّعْرِيف بالمُصطلَح الشَّرِيف، تَحْقِيق مُحَمَّد حُسَيْن شَمْس الدِّين، دَار الْكُتُب العِلميّة، بَيْرُوت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص٢٤٤؛ وانْظُر أَيْضًا القَلْقَشَنْديّ: صُبْح الأَعْشَى، ج١٤ ص٣٧٤.

(٥٨) امْتَدَّ هَذَا العَمَلُ مِن نَاحِية بَلْدةَ القُوصِيَّة شمَالًا إلى نَاحِية مَنْقَباد جَنُوبًا. وبذلك كَانَ يَحتلّ الْمنْطقَة التي يَحْتلّها فِي الْوَقْت الحَاضِر مَرْكَزا القُوصِيَّة ومَنْفَلُوط بمُحافَظة أسْيُوط (أَمِيْن مَحْمُود عَبْد الله: تَطَوُّر التَّقْسِيم الإدَاري فِي مِصْر العُليَا، ص٢٨١).

(٥٩) القَلْقَشَنْديّ: صُبْح الأَعْشَى، ج٣ ص٣٩٩ وج١٤ ص٣٧٤.

(٦٠) عُمَر طوسُون: مَالِيَّة مِصْر مِن عَهْد الفَرَاعِنة إلى الآن، مَطْبَعة صَلَاح الدِّيْن الكُبْرَى، الْإِسْكَنْدَرِيَّة، ١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م، ص٦٦؛ أَمِيْن مَحْمُود عَبْد الله: تَطَوُّر التَّقْسِيم الإِدَارِي فِي مِصْر العُلْيَا، ص٢٨١.

(٦١) وضَّحَ المقْرِيزي ذَلِكَ فِي تعقيبه على الرَّوْك النَّاصِريّ بِقَوْلِهِ: "وما زَالَ الأَمْرُ بمِصْرَ على مَا رَسَمَه الْمَلِكُ النَّاصِرُ فِي هَذَا الرَّوْك إلى أَنْ زَالَت دَوْلَةُ بَني قَلَاوُون بالْمَلِك الظَّاهِر بَرْقُوق فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَة أَرْبَع وثَمانِين وسَبْعمِائَة، فأَبْقَي الأَمْر على ذلك، إِلَّا أنّ أَشْياء مِنْه أَخَذَتْ تَتَلاشى قَليلًا قَليلًا، إِلَى أَنْ كَانَتْ الحَوادِثُ والمِحَنُ فِي سَنَة ست وثَمَانمِائَة، حَيْثُ حَدَث مِن أَنْواع التَّغَيُّرات وتَنوُّع الظُّلم مَا لم يَخْطُر بِبالِ أَحدٍ" (المَواعِظ والاِعْتِبَار، ج١ ص٢٤٤).

(٦٢) هَذَا يُمْكِن فَهْمه مَثَلًا مِن كَلَام القَلْقَشَنْديّ (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م) عن الْبِلَاد الجَارِيَة فِي دِيْوَان الْوِزَارَة، إذ يَقُول: "ومَا عَدَا هَاتين الجِهَتين – أَي الجِيْزِيَّة ومَنْفَلُوط– من الْبِلَاد الجَارِيَة فِي دِيْوَان الْوِزَارَة مُفرَّقة فِي الأَعْمَال بالْوَجْهين: الْقِبْلِيّ والبَحريّ، وهي فِي الْوَجْه الْقِبْلِيّ أَكْثَر، وَلَكِنَّهَا تَتَاقَصتْ فِي هَذَا الزَّمَن حَتَّى لَمْ يَبْقَ فِيْهَا إِلَّا بَعْض بِلاد بالْوَجْه الْقِبْلِيّ (صُبْح الأَعْشَى، ج٣ ص٤٥٦).

(٦٣) الانْتصَارُ لوَاسِطَةِ عِقْدِ الأَمْصَار، ج٢ ص٥٩.

(٦٤) ذَكَر ابْنُ دُقْماق كُفُور مَنْفَلُوط، أَرْبَعَةَ عَشَرَ كَفْرًا: أُمّ القُصُور، بليس، وعمريس (جَمْريس)، وعبرة (تمرة) والرمال، وبَلّوط، والبقلة (البقليّة)، والتِّمِسَاحَيَّة، ومهياط، ومنديس، وسَلَامة (سَلَّام)، وكُوم بَني حُسَيْن، وكُوم الحمتية، ومُنْية النَّصَارى، ومَنْقَباض (مَنْقَباط) (الانْتصَارُ لوَاسِطَةِ عِقْدِ الأَمْصَار، ج٢ ص٥٩).

(٦٥) صُبْح الأَعْشَى، ج٣ ص٣٩٩، وضَوْء الصُّبح المُسفِر، ص٢٣٥.

(٦٦) شَرَف الدِّيْن أَبُو زَكريّا يَحْيى بْن شَاكِر بْن عَبْد الغَنِي: التُّحْفَةُ السَّنِيَّةُ بأَسْمَاءِ الْبِلَاد المِصْريَّة، مَكتَبة الكُلِّيَّات الأَزْهَريَّة، القَاهِرة، ١٩٧٤م، ص١٨٤.

(٦٧) ذَكَرَ ابْنُ الجِيْعَان كُفُور مَنْفَلُوط، تِسْعَةَ كُفُور: بليس، وجَمْريس، وتمرة والرمال، وبَلّوط، والبقليّة، والتِّمِسَاحَيَّة، ومَنْقَباط، ومقداس، سَلَّام (المَصْدَر نَفْسه، ص١٨٤).

(٦٨) الأَهْرَاء السُّلْطَانية: هِيَ أَمَاكِن أَوْ حَواصل لخَزْن الغِلَال السُّلْطَانية، ولا تُفْتَح إِلَّا عِنْدَ الضَّرُورَة (ابْن مَمّاتي، قَوانِين الدَّواوِين، ص٣٥٠؛ إبْراهِيم عَليَ طرخَان: النُّظُمُ الإقْطاعيَّة فِي الشَّرْق

الأَوْسَط، ص٢٥١؛ عَبْد الْمُنْعِم مَاجِد: نُظُمُ دَوْلَة سَلاطِين الْمَمَالِيك ورُسُومُهم فِي مِصْر، مَكتَبة الأَنجلُو المِصْريَّة، القَاهِرة، ط٢، ١٩٧٩م، ج٢ ص٤٠).

(٦٩) القَلْقَشَنْديّ: صُبْح الأَعْشَى، ج٣ ص٣٩٩، ٤٥٦.

(٧٠) المَصْدَر نَفْسه، ج٣ ص٤٥٥، ٤٥٦.

(٧١) ابْنُ الصَّيْرَفِيّ: إنْبَاء الهَصْر بأَنْبَاء العَصْر، ص١٢٢، ١٢٣، ١٢٦، ١٣٠؛ ابْنُ إيَاس: بَدَائعُ الزُّهُور، ج٤ ص٢٩٨.

(٧٢) مَجْدي عَبْد الرَّشِيد: القَرْيَة المِصْريَّة فِي عَصْر سَلاطِين الْمَمَالِيك (٦٤٨- ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م)، الهَيْئَة المِصْريَّة العَامّة للكِتاب، الْقَاهِرَة، ١٩٩٩م، ص١٤٦.

(73) Rapoport, Yossif: The Rise of Provincial Arab Ruling Families in Mamluk Egypt, 1350–1517, In: Mamluk studies review VOL. 25, (2022), Middle East Documentation Center, The University of Chicago, p. 128.

(٧٤) انْظُر فِي ذَلِكَ مَثَلًا: ابْنُ الصَّيْرَفِيّ: نُزْهَةُ النُّفُوسِ، ج١ ص٤٢٩، وج٢ ص١٤٧؛ المقْرِيزي: السُّلُوك، ج٤ ص٧٩، ١٥٥، وج٥ ص٣٨٦؛ السَّخَاوِي، شَمْس الدِّين مُحَمَّد بْن عَبْد الرَّحْمَن (ت ٩٠٢هـ/ ١٤٩٧م): الضَّوْءُ اللَّامِع لأَهْل القَرن التَّاسِع، دَار الجِيْل، بَيْرُوت، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ج٣ ص٢٨٨؛ ووَجِيز الكَلَام فِي الذَّيْل عَلَى دُوَل الْإِسْلَام، تَحْقِيق بَشَّار عَوَّاد مَعْرُوف وآخرَيْن، مُؤسَّسة الرِّسَالة، بَيْرُوت، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ج٣ ص٩١٥؛ ابْنُ إيَاس: بَدَائعُ الزُّهُور، ج٣ ص١٦٩.

(٧٥) المقْرِيزي، تَقِيّ الدِّيْن أَحْمَد بْن عليّ (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤٢م): البَيَانُ والإِعْرَابُ عَمَّا بأَرْضِ مِصْر مِن الأَعْرَابِ، تَحْقِيق عَبْد النَّعِيم ضيْفي عُثْمَان، المَكتَبة الأَزْهَريّة للتُّرَاث، القَاهِرة، ٢٠٠٦م، ص٩٣، ٩٤؛ حَمْزة عَبْد العَزِيز بَدْر: الآثَار الإِسْلاميَّةُ بمَنْفَلُوط، ص٦٦.

(٧٦) بَلدَةٌ قَدِيمَةٌ؛ اسْمُها الْقِبْطِيّ Terot saraban، وَرَدَت فِي المَصَادِر والمَراجِع بأسماء مُخْتَلفَة، فسُمِّيت: دَرْوَت سَرَبام، ودَرُوط سَرَبان، ودَرُوط سَرَبام، ودَرْوَة سَرَبام، ودَرُوط سَرَمام، ودَرْوَة سَرَبام، ودَروة سَرَابايون، ودَرُوط الصَرَيام. وأسْمَاءُ هَذِهِ البَلدَة كُلُّها مُحرَّفة عَن اسْمِها الأَصْلِي" Terot" تروت، وأَمَّا المُضَاف إليه، فهو مُحرَّف عن اسْم Sarabamon وهو كَبِير مِن رُهْبَان القِبْط فِي العَصْر المَسِيحيّ الأَوَّل، ثُمَّ حُرِّف إلى سَرَبان وسَرَبام، وكُلّ مَا خَالَفَ ذَلِكَ فهو خَطَأ فِي النَقْل (مُحَمَّد رَمْزي: القَامُوْسُ الجُغْرَافِي للبِلَادِ المِصْريَّة، ق٢ ج٤ ص٤٧). وقَدْ عُرِفَتْ هَذِهِ البَلدَة بدَرْوَت – أَوْ دَروة أَوْ دَرُوط – الشَّرِيف مُنْذُ أن اسْتولَى عَلَيْهَا الشَّرِيف حِصْن الدِّيْن بْن

ثَعْلَب فِي نِهَايَةِ العَصْر الأَيُّوبِيّ (القلقشندى: صُبْح الأَعْشَى، ج١ ص٤١٣ وج٤ ص ٦٩). واسْمُها الحَالِي دَيْرُوط، وهي مَدِينَة ومَرْكَز بمُحافَظة أسْيُوط.

(٧٧) المقْرِيزي: السُّلُوك، ج١ ص٤٧٩، ٤٨٠؛ مُحَمَّد أَحْمَد مُحَمَّد بِدِيوِي: مَظاهِر الحَضَارة فِي مِصْر العُلِيَا ص١٤٠، ١٤١؛

Rapoport, Yossif: The Rise of Provincial Arab Ruling Families in Mamluk Egypt, p. 128.

(٧٨) حَمْزة عَبْد العَزِيز بَدْر: الآثَار الإِسْلامِيَّةُ بمَنْفَلُوط، ص٦٨.

(٧٩) المقْرِيزي: البَيَانُ والإِعْرَابُ، ص٩٣، ٩٤؛ سَعيد عَبْد الفَتَّاح عَاشُور: العَصْر الْمَمَالِيكي فِي مِصْر والشَّام، دَار النَّهضَة العَرَبِيَّة، الْقَاهِرَة، ط٢، ١٩٧٦، ص٢٢٨، ٢٢٩؛ حَمْزة عَبْد العَزِيز بَدْر: الآثَار الإِسْلامِيَّةُ بمَنْفَلُوط، ص٦٨.

(٨٠) مُحَمَّد أَحْمَد مُحَمَّد بِدِيوِي: مَظاهِر الحَضَارة فِي مِصْر العُلِيَا، ص١٤٢.

(٨١) المقْرِيزي: السُّلُوك، ج٢ ص٣٤٠؛ والمَواعِظ والِاعْتِبَار، ج٣ ص٢٧٩؛ العَيْني: عِقْدُ الجُمَان، ج٤ ص١٣٩. وغَازان المَذْكُور: هو غَازان بْن أَرْغُون بْن أَبْغَا بْن هُولاكُو مَلِك التَّتَار، الْمُتَوَفَّى سَنَة٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م (المقْرِيزي: المَواعِظ والِاعْتِبَار، ج٣ ص٢٧٩ حاشية ١).

(٨٢) المقْرِيزي: السُّلُوك، ج٢ ص٣٤٠؛ والمَواعِظ والِاعْتِبَار، ج٣ ص٢٧٩.

(٨٣) عِقْدُ الجُمَان، ج٤ ص١٣٨ – ١٤٠.

(٨٤) الأَمِير شَمْس الدِّيْن سُنْقُر الأَعْسَر الْمَنْصُورِيّ، كَانَ مَمْلُوك عِزّ الدِّيْن أيدَمُر الظَّاهِرِيّ نَائِب الشَّام، ثُمَّ صَارَ إِلَى الْمَنْصُور قَلَاوُون فوَلَّاه وَظائِف مُهمّة فِي سَلْطَنتِهِ، ثُمَّ صُودر أَيَّام الْأَشْرَف خَلِيل. ولمَّا تَسَلطَنَ حُسَام الدِّيْن لَاجِين وَلَّاه الْوِزَارَة فِي سَنَة ٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م، ثُمَّ عُزِل، وسُجِنَ، فلمَّا قُتِلَ لَاجِين وأُعِيدَ النَّاصِرُ مُحَمَّد بْن قَلَاوُون إلى السَّلْطَنَة ثَانِيًا أَفْرجَ عَنْه، وأَعَادَه إلى الْوِزَارَة فِي جُمَادَى الْأُولَى ٦٩٨هـ/ فبْرَاير ١٢٩٩م، ثُمَّ عُزِل فِي آخر سَنَة ٧٠٠هـ/ أُغُسطُس ١٣٠١م، ووُلّي كَشْفَ القِلاع الشَّامِيَّة، واسْتَقَرَّ أَحدَ أُمَرَاء الْأُلُوف، ومَاتَ بالْقَاهِرَة بَعْد صِرَاع مع الأَمْرَاض سَنَة ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م (الصَّفَدِيّ: أَعْيَانُ العَصْر، ج٢ ص٤٧٨، ٤٧٩؛ المقْرِيزي: المَواعِظ والِاعْتِبَار،ج٣ ص٢٧٨–٢٨٠؛ ابْن حَجَر العَسْقَلانيّ: الدُّرَر الكَامِنة، ج٢ ص١٧٧، ١٧٨).

(٨٥) زُبْدَةُ الفِكْرَة فِي تَارِيخ الهِجْرَة، عَصْر سَلاطِين الْمَمَالِيك، تَحْقِيق زُبَيدة مُحَمَّد عَطَا، عَيْن للدِّرَاسَات والبُحُوث الإِنْسَانيَّة والاجْتِمَاعيَّة، القَاهِرة، ٢٠٠١م، ص٣٧٩. والدَّوَادَار؛ لَقَبٌ وَظِيفيّ مُركَّبٌ مِن لَفْظين: أَحَدُهُمَا عَربيٌّ وهُوَ الدَّوَاة، والثَّانِي فَارِسيٌّ وهُوَ دَار، ومَعْناهُ مُمْسِك. ويَكُون المَعْنَى «مُمْسِك الدَّوَاة» وحُذِفت الهَاءُ مِن آخِر الدَّوَاة اسْتثقَالًا. وصَاحِبه هو الَّذِي يَحْمِلُ دَواةَ السُّلطَان أَوْ

الأَمِير أَوْ غَيْرِهما، ويَتولَّى أَمْرَها مَعَ مَا ينضَمُّ إِلَى ذَلِكَ مِن الأُمُور اللَّازمِة لهَذَا المَعْنَى مِنْ حُكْمٍ وتَنْفِيذ أُمُورٍ، وغَيْر ذَلِكَ، بِحَسبِ مَا يَقْتَضِيه الحَالُ. وَلَمْ يَكُنْ لِلْسُلْطَان فِي العَصْر الْمَمْلُوكِيّ دَوَادَارٌ وَاحِدٌ فَقَط، بَل عدَّةٌ مِن الأُمَرَاء والْجُنْد، قد يَصلُ عَدَدُهم إلى عَشرَة، ويُطْلَقُ عَلَى كُلّ مِنهم دَوَادَار، ولهم رُتَبٌ ودَرَجات، أَعْلَاهم الدَّوَادَار الْكَبِير يَلِيهِ الدَّوَادَارُ الثَّانِي ثُمَّ بَقِيَّة الدَّوَادَارية ثَالِثٌ ورَابِعٌ حَتَّى العَاشِر (القَلْقَشَنْديّ: صُبْح الأَعْشَى، ج٤ ص١٩ وج٥ ص٤٦٢؛ السّحمَاوِيّ: الثَّغْرُ البَاسِمُ، ج١ ص٣٩٠؛ مُحَمَّد قَنديل البقلي: التَّعْرِيف بمُصطلَحاتِ صُبح الأَعْشَى، نُشِر كمُلْحَق لكِتابِ صُبْح الأَعْشَى (ج١٥)، الهَيْئَة العَامَة لقُصُور الثَّقافَة، القَاهِرة، ٢٠٠٦م، ص١٣٩).

(٨٦) بَيْبَرْس الدَّوَادَار: زُبْدَةُ الفِكْرَة فِي تَارِيخ الهِجْرَة، ص٣٩١، ٣٩٢؛ المقْرِيزي: السُّلُوك، ج٢ ص ٣٤٦؛ أَبُو المَحاسِن: النُّجُوم الزَّاهِرة، ج٨ ص١٤٩– ١٥٤.

(٨٧) اسْتَقَرَّ بَلَبان السِّنَاني فِي الأَسْتادَّارية عِوَضًا عن مَنْجَك فِي ذِي الْقِعْدَةِ سَنَة ٧٥١هـ/ يَنَاير ١٣٥١م (عَبْد الْبَاسِط بْن خَلِيل: نَيْلُ الْأَمَلِ، ج١ ق١ ص٢٠٧). و"الأَسْتادَّار" لَقَبٌ وَظِيفيّ وَرَدَ رَسْمُ حُرُوفِه هكذا فِي أَغْلَب المَصَادِر، على أن القَلْقَشَنْديّ نَبَّه إلى أنَّه بكَسْرِ الهَمْزة، وقَالَ: هو لَقَبٌ على الَّذِي يَتولَّى قَبْضَ مَال السُّلطَان أَوْ الأَمِير وصَرْفَهُ، وتُمْتَثل أَوامِرُه فيه. وهو مُركَّب مِن لَفْظتين فَارِسيتين: "إِسْتذ" ومَعْناها الأَخْذ، و"دَار"، ومَعْناها المُمْسِك. فأُدْغِمت الذَّال فِي الذَّال فصَارَ "إِسْتدَّار". ومَعْنَاه المُتَوَلِّي للأَخْذ؛ لأنه يَتولَّى قَبْض المَال. ويُقَالُ فيهِ أَيْضًا: "سِتدَّار" (صُبْح الأَعْشَى، ج٥ ص٤٢٩، ٤٣٠؛ وضَوْء الصُّبح المُسفِر، ص٣٤٣، ٣٤٤). وقَدْ تَطوَّرت وَظِيفةُ الأَسْتادَّارية فِي عَصْر الْمَمَالِيك الجَرَاكِسة، وعَلا شَأنُ صَاحبِها؛ فبَعَد أن كَانَ يُشْرفُ على قُصُور السَّلاطِين، صَارَ يُنَاط بِهِ مُنْذُ أَيَّام الظَّاهِر بَرْقُوق تَدْبِير أَمْوَال المَمْلَكة، حَتَّى صَارَ كالْوَزِير العَظَيم، وَنفذَتْ كَلِمَتُه فِي سَائر أَحْوَال الدَّوْلَة (المقْرِيزي: المَواعِظ والاِعْتِبَار، ج٣ ص٧١٩، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٧). وعَنْ تَفاصِيل هَذِهِ الوَظِيفَة، انْظُر؛ مُحَمَّد سَيِّد كَامِل مُحَمَّد: الأَسْتادَّار والأَسْتادَّارية فِي مِصْر عَصْر سَلاطِين الْمَمَالِيك الجَرَاكِسة، مَجَلّة وَقَائِع تَارِيخِيَّة، مَرْكَز البُحُوث والدِّرَاسَات التَّارِيخِيَّة، كُلّيّة الآدَاب، جَامِعَة القَاهِرة، العَدَد ١٠، يُوليو ٢٠٠٨م، ص١١٥– ١٦٩).

(٨٨) المقْرِيزي: السُّلُوك، ج٤ ص١٥٣؛ عَبْد الْبَاسِط بْن خَلِيل: نَيْلُ الْأَمَلِ، ج١ ق١ ص٢٢٧.

(٨٩) ابْنُ إِيَاس: بَدَائعُ الزُّهُور، ج١ ق١ ص٥٤١.

(٩٠) جُرُونٌ أَوْ أَجْرَانٌ مُفْرَدُهَا جُرْن؛ وهو المَكَان الَّذِي يُوضَعُ فيه الزَّرْعُ المحْصُودُ ليُجَفَّف تَمْهيدًا لدَرْسِه.

(٩١) الصَّفَدِيّ: أَعْيَانُ العَصْر، ج٢ ص٤٦؛ ابْن حَجَر العَسْقَلانيّ: الدُّرَر الكَامِنة، ج١ ص٤٩٣.

(٩٢) أُمَرَاء الْمِئين: مَرْتَبَةٌ حَرْبِيَّة خَاصَّة بأَرْبَاب السُّيُوف فِي العَصْر الْمَمْلُوكِيّ، وتُقْرَنُ عَادَةً بلَقَبِ مُقَدَّم أَلْف، فيُقَال "أَمِير مِائَة مُقَدَّم أَلْف"، بمَعْنَى أَنْ يَكُونَ فِي خِدْمَةِ حَامِلِها مِائَةُ مَمْلُوك مِن الفُرْسَان، وهو فِي الْوَقْت نَفْسِه مُقَدَّم فِي الحَرْب على أَلْف جُنْدِي مِن أَجْنَاد الْحلقَة. وأَصْحَاب هَذِهِ المَرْتَبَة أَعْلى مَرَاتِب الأُمَرَاء، ويَتَوَلَّوْنَ أَسْنَى الوَظائِف وأَرْفَع المناصب فِي الدَّوْلَة (القَلْقَشَنْديّ: صُبْح الأَعْشَى، ج٤ ص١٤؛ السّحمَاوِيّ: الثَّغْرُ البَاسِمُ، ج١ ص٣٨٤؛ مُحَمَّد قَنديل البقلي: التَّعْرِيف بمُصطلَحاتِ صُبح الأَعْشَى، ص٤٩، ٥٠).

(٩٣) أُمَرَاء الطَّبْلَخاناه: أَقَلّ فِي الرُّتْبَة مِن أُمَرَاء الْمِئين مُقَدَّمي الْأُلُوف، ومِن أَحقيَّتهم دَقّ الطُّبُول على أَبْوَابِهم كما يَفْعلُ السَّلاطِين، وعِدَّة كُلّ مِنْهم فِي الغَالِب ٤٠ فَارِسًا – ولهذا يُطْلَقُ عَلَى كُلّ مِنْهم أَيْضًا أَمِير أَرْبَعين– وقَدْ يَزِيدُ بَعْضهم إلى ٧٠ أَوْ ٨٠ فَارِسًا (القَلْقَشَنْديّ: صُبْح الأَعْشَى، ج٤ ص١٥؛ حَسَن البَاشَا: الفُنُون الإِسْلاميَّة والوَظائِف، ج١ ص٢٣١– ٢٣٦؛ مُحَمَّد قَنديل البقلي: التَّعْرِيف بمُصطلَحاتِ صُبح الأَعْشَى، ج١٥ ص٥٠).

(٩٤) أُمَرَاء الْعَشَرَاتِ: عِدَّة كُلّ مِنْهم عَشرَة فَوَارِس، ورُبَّمَا كَانَ فيهم مَن لَهُ عِشْرُونَ فَارِسًا ولا يَعَدّ إِلَّا فِي أُمَرَاء الْعَشَرَاتِ، وهَذِهِ الطَّبَقَة لا ضَابِطَ لعَدَدِ أُمَرائِها بل يَزِيدُونَ ويَنْقُصُونَ، ومِنْهُم يَكُونُ صِغَارُ الوُلَاة وَنَحْوُهُمْ مِن أَرْبَاب الوَظائِف (القَلْقَشَنْديّ: صُبْح الأَعْشَى، ج٤ ص١٥؛ السّحمَاوِيّ: الثَّغْرُ البَاسِمُ، ج١ ص٣٨٥).

(٩٥) شَادّ العَمَائِر هو القَائِمُ فِي عمَارَة الأَمَاكِن التي يُنشئها السُّلْطَان، ورُبَّمَا اسْتَقَرَّ مَعَهُ مُقَدَّمٌ –وَرَدَتْ فِي المَصْدَر مُقَدَّما– فِي إِنْشَاءِ العَمَائِر المَهُولة ويُقال نَاظِر الْعِمَارَة، ولَهُ الأَمْرُ على المُهَنْدِسين والحَجَّارِين وصُنَّاع العَمَائِر ونَحْوِهِم (السّحمَاوِيّ: الثَّغْرُ البَاسِمُ، ج١ ص٤٠١).

(٩٦) الصَّفَدِيّ: أَعْيَانُ العَصْر، ج٢ ص٤٧٩؛ المقْرِيزي: المَواعِظ والإِعْتِبَار، ج٣ ص٢٧٩، ٢٨٠.

(٩٧) المقْرِيزي: السُّلُوك، ج٤ ص١٥٣؛ عَبْد الْبَاسِط بْن خَلِيل: نَيْلُ الْأَمَلِ، ج١ ق١ ص٢٢٧.

(٩٨) ابْن حَجَر العَسْقَلانيّ: الدُّرَر الكَامِنة، ج١ ص٤٩٣.

(٩٩) الصَّفَدِيّ: أَعْيَانُ العَصْر، ج٢ ص٤٦، ٦١٩؛ المقْرِيزي: السُّلُوك، ج٤ ص ٢٥٧.

(١٠٠) الأَمِيرُ نَاصِر الدِّيْن الشُّجَاعِيّ مُحَمَّد بْن الأَمِير رُكن الدِّيْن عُمَر البُتْخَاصّي الصَّفَدِيّ، تَنَقَّلَ فِي المَمَالِك، وَتَقَلَّبَتْ بِهِ الْأَحْوَالُ إلى أن تَوَلَّى الحُجوبية بصَفَدَ، ثُمَّ وُلِّيَ الحجوبية الكُبْرى، وَجَعَلَه شَيْخو على دِيْوَانه بحَلَب، ثُمَّ أُعْطى طَبْلَخاناة بِمصْر، ووُلِّيَ شَدّ العَمَائِر السُّلْطَانيَّة بالْقَاهِرَة، مَاتَ فِي رَبِيعٍ الْآخِر سَنَة ٧٦٢هـ/ فبْرَاير ١٣٦١م وَله نَحْو الْخَمسِين (الصَّفَدِيّ: أَعْيَانُ العَصْر، ج٥ ص ٣٨، ٣٩؛ ابْن حَجَر العَسْقَلانيّ: الدُّرَر الكَامِنة، ج٤ ص١٢٦).

(١٠١) الصَّفَدِيّ: أَعْيَانُ العَصْر، ج٥ ص٣٩.

(١٠٢) السُلطَان الْمَلِك المَؤَيَّد شَيْخ المَحْمُودي، أَبُو النَّصْر، أَحَد الْمَمَالِيك الظَّاهِرية، اعْتَلَى عَرْش السَّلْطَنَة مِن سَنَة ٨١٥هـ/ ١٤١٢م إلى سَنَة ٨٢٤هـ/ ١٤٢١م، وكَانَ مِن أَقْوَى سَلاطِين العَصْر الْمَمْلُوكِيّ الْجَرْكسيّ (انْظُر؛ المقْرِيزي، تَقِيّ الدّين أَحْمَد بْن عليّ (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤٢م): دُرَر العُقُودِ الفَرِيدَة فِي تَراجِم الأَعْيَان المُفِيدَة، تَحْقِيق مَحْمُود الجَلِيلي، دَار الغَربِ الْإِسْلَاميّ، بَيْرُوت، ط ١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ج٢ ص١٢٥ ومَا بَعْدها؛ ابْن حَجَر العَسْقَلانيّ، شِهَاب الدّين أَبُو الفَضْل أَحْمَد بْن عليّ (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٩م): إنْبَاءُ الغُمر بأبْنَاء العُمر، تَحْقِيق حَسَن حبشِي، المَجْلس الأَعلَى للشُّئون الإِسْلاميَّة، القَاهِرة، ١٤١٥-١٤١٩هـ/ ١٩٩٤- ١٩٩٨م، ج٢ ص٥١٥- ٥١٧، وج٣ ص٢٥٦، ٢٥٧).

(١٠٣) الحَسَن بْن عَبْد الله، الْمَعْرُوف بابن مُحِبّ الدِّيْن الطَّرَابلسيّ، الأَمِير بَدْر الدِّيْن: أَصْلُهُ مِن طَرَابُلُس الشَّام، وَشَغَلَ بِها عِدَّة وظَائِف، ثُمَّ تَعلَّق بِخِدْمَة الأَمِير شَيْخ المَحْمُودىّ لمّا وُلِّى نِيابتَها وَعَملَ أسْتادَّارا عِنْدَه، ودَامَ فِي خِدْمَتِه إلى أن تَسَلطَن، فوَلَّاه الأسْتادَّارية بالدِّيَار المِصْريَّة، ثُمَّ عُزِل، ووُلّي نِيَابَة الإِسْكَنْدَرِيَّة، ثُمَّ عُزِل عَنْها، ومَا لَبِثَ أن أُعِيدَ إلى الأسْتادَّارية، واسْتَمَرَّ فِيْهَا مُدَّة، ثُمَّ وُلّي كَشْف الْوَجْه القِبْلىّ سَنَة ٨١٩هـ/ ١٤١٦م، ووُلّي الْوِزَارَة سَنَة ٨٢٠هـ/ ١٤١٧م، ثُمَّ عُزِل عَنْها قَبْلَ نِهَاية السَّنَة، وبَعْد مُدَّة أُنْعِمَ عَلَيهِ بإِمْرَة مِائَة وتَقْدِمَة أَلْف بطَرَابُلُس؛ فتَوَجَّهَ إِلَيْهَا وأَقَامَ بِها إلى أَن مَاتَ المَلِكُ المُؤَيَّد شَيْخ، فقَبَضَ عَلَيهِ الظَّاهِر طَطَر وعَاقَبه حَتَّى هَلَكَ مِن الضَّرْب سَنَة ٨٢٤هـ/ ١٤٢١م (المقْرِيزي: السُلُوك، ج٦ ص٣٣٤، ٣٤٧، ٣٦١، ٣٧٥، ٤٨١، ٤٩١، وج٧ ص٤٩؛ أَبُو المَحاسِن، جَمَال الدّين يُوسُف بْن تَغْري بِردْي (ت٨٧٤ هـ/١٤٧٠م): المَنْهَل الصَّافِي والمُسْتَوفى بَعْدَ الوَافِي، تَحْقِيق نَبِيل مُحَمَّد عَبْد العَزِيز، الهَيْئَة المِصْريَّة العَامّة للكِتَاب، القَاهِرة، ١٩٨٨م، ج٥ ص٨٥- ٨٨؛ والنُّجُوم الزَّاهِرة، ج١٤ ص٢٣٧).

(١٠٤) ابْن حَجَر العَسْقَلانيّ: إنْبَاءُ الغُمر، ج٣ ص٦٩.

(١٠٥) أَيْتَمُش بْن عَبْد الله الخضري الظَّاهِري، الأَمِير سَيْف الدِّيْن: كَانَ مِن مَمَالِيك الظَّاهِر بَرْقُوق، ثُمَّ صَارَ من الدَّوَادَارية الصغار فِي أَيَّام ابْنه النَّاصِر فَرج، ثُمَّ تَولَّى إِمْرة عَشرَة فِي أَيَّام المَؤَيَّد، واسْتَقَرَّ فِي الأسْتادَّارية الْكُبْرَى أَوَائِل أَيَّام الْأَشْرَف بَرْسباي، ثُمَّ عُزِل عنها، وتَنَقَّلَت بِهِ الْأَحْوَالُ، ولَزِمَ دَاره حَتَّى مَاتَ فِي رَجَبٍ سَنَة ٨٤٦هـ/ دِيسِمبِر ١٤٤٢م (ابْن حَجَر العَسْقَلانيّ: إنْبَاءُ الغُمر، ج٤ ص٢٠١، ٢٠٢؛ أَبُو المَحاسِن: المَنْهَل الصَّافِي، ج٣ ص١٣٩- ١٤١؛ السَّخَاوِي: الضَّوْءُ اللَّامِع، ج٢ ص٣٢٤، ٣٢٥).

(١٠٦) ابْنُ الصَّيْرَفِيّ: نُزْهَةُ النُّفُوسِ، ج٢ ص٥٢٥.

(١٠٧) أَبُو المَحاسِن: النُّجُوم الزَّاهِرة، ج١٤ ص٢٢٦.

(١٠٨) دُولات خجَا بْن عَبْد الله الظَّاهِري، سَيْف الدِّيْن: كَانَ مِن مَمَالِيك الظَّاهِر بَرْقُوق، وُلِّي كَشْف الْوَجْه الْقِبْلِيّ ثُمَّ كَشْف الْوَجْه البَحريّ، ووُلِّي الْقَاهِرَة أَكْثَر مِن مَرَّة وعُزِل، ووُلِّي حِسْبَة الْقَاهِرَة، ومَاتَ بالطَّاعُون فِي يَوم السَّبْت أَوَّل ذِي الْقِعْدَةِ سَنَة ٨٤١هـ/ ٥ مَايُو ١٤٣٨م (المقْرِيزي: السُّلُوك، ج٧ ص٢٣٤، ٢٣٥؛ ابْن حَجَر العَسْقَلانيّ: إنْبَاءُ الغُمر، ج٣ ص٤٧٠؛ أَبُو المَحاسِن: المَنْهَل الصَّافِي، ج٥ ص٣٣٠، ٣٣١؛ والنُّجُوم الزَّاهِرة، ج١٥ ص٢١٧، ٢١٨؛ السَّخَاوِي: الضَّوْءُ اللَّامِع، ج٣ ص٢٢١).

(١٠٩) عَلَاء الدّين عَليّ بْن نَاصِر الدّين مُحَمَّد بْن الطَّبَلاوي: أَصْلُهُ مِن قَرْيَة طَبْلاوة بِالْوَجْهِ البَحريّ، بَاشَرَ ولَايَة القَاهِرة فِي سَلْطَنَة المَؤَيَّد شَيْخ، ثُمَّ عُزِل، وأُعِيدَ إِلَيْهَا بالرشوة بَعْد ١٥ عَامًا مِن عَزْلِه فِي سَلْطَنَة الْأَشْرَف بَرْسباى، ثُمَّ عُزِل، وأُعِيدَ إِلَيْهَا فِي سَنَة ٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م فِي سَلْطَنَة يُوسف بْن بَرْسباى، ولمَّا وَصَلَ الظَّاهِر جَقْمَق إلى السَّلْطَنَة عَزَله، وبَعْد أَقلّ مِن عَامٍ اسْتَطاعَ أَنْ يَحْصُلَ على وَظِيفَة "نقَابَة الْجَيْش" سَنَة ٨٤٣هـ/ ١٤٣٩م، ثمَّ انْفَصلَ عنها، ولَزِمَ دَاره حَتَّى مَاتَ فِي الْمُحَرَّم سَنَة ٨٧٩هـ/ مَايُو ١٤٧٤م، وقَدْ جَازَ الْمِائَة (المقْرِيزي: السُّلُوك، ج٦ ص٤٦٤، وج٧ ص١٢، ٣٨٧، ٤٠٥، ٤٤٨؛ السَّخَاوِي: الضَّوْءُ اللَّامِع، ج٦ ص٢٣، وج١١ ص٢١٢).

(١١٠) ابْنُ الصَّيْرَفِيّ: نُزْهَةُ النُّفُوسِ، ج٣ ص٣٠٩؛ المقْرِيزي: السُّلُوك، ج٧ ص ٢٨٢؛ ابْن حَجَر العَسْقَلانيّ: إنْبَاءُ الغُمر، ج٣ ص٥٤٢.

(١١١) جَانِبك النَّاصِريّ المُرتدّ: مِن مَمَالِيك النَّاصِر فَرَج، وجَرَتْ عَلَيهِ بَعْدَ قَتْلِهِ أُمُورٌ، وذَهَبَ إِلَى بِلاد الجَرْكس ثُمَّ عَادَ مِنها إِلَى مِصْرَ؛ وَلِذَا قِيلَ لَهُ الْمُرْتَدّ، وقِيلَ إنَّها غَلَط عَن المُرتَاض، مِن الرِّيَاضَة، لا مِن الارتِدَاد، فهو لَمْ يَرْتَدّ عَن الإِسْلَام فِيمَا هو مَشْهُور. وبَعْدَ عَوْدَتِهِ إلى مِصْر تَنَقَّلَت بِهِ الْأَحْوَالُ حَتَّى صَارَ خَاصَّكيا، ثُمَّ صَيَّرَه الظَّاهِر جَقْمَق أَمِير عَشرَة، ثُمَّ صَارَ من رُؤوس النُّوَب –سَيأتي تَعْرِيفُها– ثُمَّ مِن أُمَرَاء الطَّبْلَخاناه، واسْتَمَرَّ على ذَلِكَ إلى سَلْطَنَة خُشْدَاشِهِ الْأَشْرَف إِيْنَال، فصَيَّرَه مِن مُقَدَّمي الْأُلُوف، فَلَمَّا كَبرَ وشَاخَ أُخْرِجَتْ عنه النَّقْدِمَة، ولَزِمَ دَاره حَتَّى مَاتَ فِي ذِي الْحِجَّة سَنَة ٨٧١هـ/ يُوليو ١٤٦٧م، وقَدْ جَازَ الثَّمَانِينَ (السَّخَاوِي: الضَّوْءُ اللَّامِع، ج٣ ص٦٠، ٦١؛ عَبْد الْبَاسِط بْن خَلِيل: الرَّوْضُ البَاسِمُ، ج٣ ص٢٢٧، ٢٢٨؛ ونَيْلُ الْأَمَلِ، ج٢ ق٦ ص٢٧٠، ٢٧١؛ ابْنُ إِيَاس: بَدَائِعُ الزُّهُور، ج٢ ص٤٥٠).

(١١٢) رُؤوس النُوَب: مُفردها رَأْس نَوْبَة، وهو لَقَبٌ وَظِيفيّ يُطْلَقُ عَلَى الَّذِي يَتحدَّث على مَمَالِيك السُلطَان أَوْ الأَمِير، وتَنْفِيذ أَمْره فِيهم، وجَرَتِ الْعَادَةُ أَنْ يَكُونَ فِي هَذِهِ الوَظِيفَة أَرْبَعةُ أُمَرَاء: وَاحِد مُقَدَّم أَلْف وثَلاثَة طَبْلَخاناه، ويُقَال لأَعْلاهم فِي خِدْمَة السُلطَان "رَأْس نَوْبَة النُوَب" (القَلْقَشَنْديّ: صُبْح الأعْشَى، ج٤ ص١٨، ١٩ وج٥ ص٣٢٧، ٣٢٨ وضَوْء الصُبح المُسفِر، ص٣٤٣).

(١١٣) عَبْد الْبَاسِط بْن خَلِيل: الرَّوْضُ البَاسِمُ، ج٣ ص٢٢٨.

(١١٤) وَرَدَ رَسْمُ اسْمِه (قَانِي بك) فِي بَعْض المَصَادِر (انْظُر؛ أَبُو المَحاسِن: النُّجُوم الزَّاهِرة، ج١٥ ص٣٨٥، وج١٦ ص٣٢، ١٥٤، ٢٧٠، ٣٨٢؛ ابْنُ إِيَاس: بَدَائعُ الزُّهُور، ج٣ ص١٠٢).

(١١٥) عَبْد الْبَاسِط بْن خَلِيل: المَجْمَعُ المُفَنَّنُ، ص٥٦٦.

(١١٦) أَبُو المَحاسِن: النُّجُوم الزَّاهِرة، ج١٥ ص٣٨٥، وج١٦ ص٣٢؛ عَبْد الْبَاسِط بْن خَلِيل: نَيْلُ الْأَمَلِ، ج٢ ق٥ ص٢٦١.

(١١٧) أَبُو المَحاسِن: المَصْدَر نَفْسه، ج١٦ ص٣٢، ١٥٤، ٢٧٠؛ عَبْد الْبَاسِط بْن خَلِيل: الرَّوْضُ البَاسِمُ، ج٢ ص٢٩، ١٦٣؛ ونَيْلُ الْأَمَلِ، ج٢ ق٦ ص٩٦.

(١١٨) عَبْد الْبَاسِط بْن خَلِيل: نَيْلُ الْأَمَلِ، ج٢ ق٧ ص١١٧.

(١١٩) أَبُو المَحاسِن: المَصْدَر نَفْسه، ج١٦ ص٣٢.

(١٢٠) أَبُو المَحاسِن: المَصْدَر نَفْسه، ج١٦ ص٣٨٢؛ عَبْد الْبَاسِط بْن خَلِيل: الرَّوْضُ البَاسِمُ، ج٣ ص٣١٨، ٣١٩. كَانَ عُمره وَقْت اسْتِعفائه عَنْها ثَلاث وثَمَانِينَ سَنَة؛ إِذْ ذُكر أَنَّه تُوُفِّيَ فِي شَعْبَان سَنَة ٨٧٩هـ/ دِيسِمبِر ١٤٧٤م، وقَدْ بَلَغ التِّسعِين سَنَة (عَبْد الْبَاسِط بْن خَلِيل: نَيْلُ الْأَمَلِ، ج٢ ق٧ ص١١٧؛ ابْنُ إِيَاس: بَدَائعُ الزُّهُور، ج٢ ص٤٧٠، وج٣ ص١٠٢).

(١٢١) عَبْد الْبَاسِط بْن خَلِيل: الرَّوْضُ البَاسِمُ، ج٣ ص٣١٩، ج٤ ص١١٥؛ ونَيْلُ الْأَمَلِ، ج٢ ق٦ ص٣٠١؛ ابْنُ إِيَاس: بَدَائعُ الزُّهُور، ج٢ ص٤٧٠.

(١٢٢) الأَمِير يَشْبك مِن مَهْدِي الظَّاهِري: أَصْلُهُ مِن مُشتروات الظَّاهِر جَقْمَق، كَانَ أَحَد الدَّوَادَارِيَّة الصِّغَار، ثُمَّ قُرّر فِي كَشْف الْوَجْه الْقِبْلِيّ، وأُنْعِمَ عَلَيهِ بإِمْرة عَشرَة فِي سَنَة ٨٧١هـ/ ١٤٦٧م فِي عَهْد السُلطَان خُشْقَدَم، ثُمَّ تَنَقَّل فِي الخِدَم وارْتَفع شَأنُه فِي عَهْد الْأَشْرَف قَايِتْباي، حَيْثُ نَقَلَهُ مِن الكُشُوفيَّه وإِمْرة عَشرَة وَوَلَّاه الدَّوَادَارِيَّة الكُبرى مَبَاشرة، وأَضَاف إليه الْوِزَارَة، ثُمَّ أُضِيفَت إليه الأُسْتادَّارِيَّة الكُبرى فِي شَهْرِ رَجَبٍ سَنَة ٨٧٢هـ/ فبْرَاير ١٤٦٨م. وقَدْ مَاتَ مَقْتولًا فِي الرُّها فِي رَمَضَانَ سَنَة ٨٨٥هـ/ نُوفِمبر ١٤٨٠م (السَّخَاوِي: الضَّوْءُ اللَّامِع، ج١٠، ص٢٧٢-٢٧٤؛ عَبْد الْبَاسِط بْن خَلِيل: نَيْلُ الْأَمَلِ، ج٢ ق٧ ص٢٦٧؛ العُلَيمي، مُجِير الدِّيْن عَبْد الرَّحْمَن بْن مُحَمَّد بْن

عَبْد الرَّحْمَن (ت ٩٢٨هـ/ ١٥٢١م): التَّارِيخ المُعْتَبَر فِي أَنْبَاءِ مَنْ غَبَر، تَحْقِيق ودِرَاسة لَجْنة مُخْتصَّة مِن المُحَقِّين، مُؤسَّسَة دَار النَّوادِر، سُوريا – لبْنَان – الكُوَيت، ط١، ١٤٣١هـ/ ٢٠١١م، ج٢ ص٢٢٥؛ ابْنُ إيَاس: بَدَائعُ الزُّهُور، ج٣ ص١٧٠– ١٧٤).

(١٢٣) جُمِعتْ هَذِهِ الوَظائِف وغيرها ليَشْبك مِن مَهْدِي، وعُدّ ذَلِكَ مِن النَّوادِر، وأَوْرَدَ ابْنُ الصَّيْرَفِيّ ذَلِكَ فِي أَحْداث شَهْر شَعْبَان سَنَة ٨٧٣هـ/ فبْرَاير ١٤٦٩م، وعَلَّق عَلَيهِ بِقَوْلِهِ: "وهَذَا شَيءٌ لَمْ يَقَعْ لغَيْره مِن الأُمَرَاء فِي سَائِر الدُّول" (إنْبَاء الهَصْر، ص٥٦). وأَوْرَدَه أَيْضًا عَبْدُ الْبَاسِط بْن خَلِيل وأَعقبه بِقَوْلِهِ: "وعُدّ ذَلِكَ مِن نَوَادِره التي لم تَقَعْ لمِن قَبْلَه، وهي مِن غَرِيبِ النَّوادِر" (الرَّوْضُ البَاسِمُ، ج٤ ص٧٣) كما أَوْرَدَه ابْنُ إيَاس، ثُمَّ قَالَ: "وما أَظُن أنَّ هَذِهِ الوَظائِف قَط جُمِعَت فِي أَحَدٍ مِن الأُمَرَاء قَبْلَه" (بَدَائعُ الزُّهُور، ج٣ ص٢٨، ٢٩).

(١٢٤) ابْنُ الصَّيْرَفِيّ: إنْبَاء الهَصْر، ص١٢٦؛ السَّخَاوِي: وَجِيز الكَلَام، ج٢ ص٨١٠؛ عَبْد الْبَاسِط بْن خَلِيل: الرَّوْضُ البَاسِمُ، ج٤ ص١٨٩؛ ابْنُ إيَاس: بَدَائعُ الزُّهُور، ج٣ ص٣٧.

(١٢٥) بَدَائعُ الزُّهُور، ج٣ ص٣٧.

(١٢٦) ابْنُ الصَّيْرَفِيّ: إنْبَاء الهَصْر، ص١٣٠.

(١٢٧) سوار بْن سُلَيْمَان بْن نَاصِر الدِّيْن يَك بْن دُلْغَادِر التُّرْكماني، وَيُقَال لَهُ شَاه سوار، نَائِب الأَبْلُستَين (الأَلبستان) ومَرْعَشَ، خَرَجَ على الدَّوْلَة الْمَمْلُوكِيَّة وسَيْطرَ على بَعْض الْبِلَاد الحَلَبيَّة، وطالَبَ باسْتقلالها، فجَرَّد إليه الْمَمَالِيكُ ثَلاثَ حَملاتٍ عَسكريَّةٍ مُتتاليةٍ، لكنَّه هَزَمَهُمْ، ثُمَّ أَرسَلوا إليه حَمْلةً رَابِعةً بقِيادة الأَمِير يَشْبك مِن مَهْدِي سَنَة ٨٧٥هـ/ ١٤٧٠م فِي عَهْد الْأَشْرَف قَايِتْباي، ونجَحَتْ هَذِهِ الحَمْلَة فِي هَزيمَته، وتَمَّ القَبْضَ عَلَيهِ وَإِخْوَتِهِ، وجِيءَ بهم إلى الْقَاهِرَة، وتَمَّ شَنْقُهم فِي رَبِيعٍ الْأَوَّل سَنَة ٨٧٧هـ/ أُغسطُس١٤٧٢م. (ابْنُ أجَا، شَمْس الدِّين مُحَمَّد بْن مَحْمُود بْن خَلِيل الحَلَبيّ (ت٨٨١هـ/١٤٧٦م): العِرَاكُ بَيْن الْمَمَالِيك والعُثْمَانِيين الأَتْرَاك (مَعَ رِحْلَة الأَمِير يَشْبك مِن مَهْدِي الدَّوَادَار)؛ صَنَعَهُ مُحَمَّد أَحْمَد دهمَان، ط١، دَار الفِكْر، دِمَشْق، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص٣٤ وما بَعْدها؛ السَّخَاوِي: الضَّوْءُ اللَّامِع، ج٣، ص٢٧٤، ٢٧٥؛ عَبْد الْبَاسِط بْن خَلِيل: نَيْلُ الْأَمَلِ، ج٢ ق٧، ص٤٣–٤٥؛ ابْنُ إيَاس: بَدَائعُ الزُّهُور، ج٣ ص٧٦– ٧٨).

(١٢٨) شَرَفُ الدِّيْن مُوسَى بْن كَاتِب غَرِيب، وهو مُوسَى بْن يُوسُف الْقِبْطِيّ، اسْتَقَرَّ فِي الأسْتادَّارية فِي شَعْبَان سَنَة ٨٧٠هـ/ مَارِس ١٤٦٦م عِوَضًا عن الأَمِير زَيْن الدِّيْن يَحْيى الأسْتادَّار، ومَاتَ فِي صَفَرٍ سَنَة ٨٨٢هـ/ مَايُو ١٤٧٧م (أَبُو المَحاسِن: النُّجُوم الزَّاهِرة، ج١٦، ص٢٩٣، ٢٩٩؛ عَبْد الْبَاسِط بْن خَلِيل: الرَّوْضُ البَاسِمُ، ج٣ ص١٢٩؛ ابْنُ إيَاس: بَدَائعُ الزُّهُور، ج٣ ص١٢٧).

(١٢٩) ابْنُ الصَّيْرَفِيّ: إِنْبَاء الهَصْر، ص٢٨١، ٢٨٥، ٣١٩، ٣٢٨، ٣٩٢؛ إِيَاس: بَدَائِعُ الزُّهُور، ج٣ ص٨٢.

(١٣٠) جَانم السَّيْفِيّ قَاني بَاي البهْلَوان، دَوَادَار يَشْبك مِن مَهْدِي الدَّوَادَار، قُرّر فِي كَشْف سُيوط فِي سَنَة ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م عِوَضًا عن قَرْقَماس الأَعْوَر، فاسْتعفي جَانم مِن ذلك. وهو الَّذِي أَنْشَأ الْمَدْرَسَة اللَّطِيفة تُجَاهَ جَامِع قُوصُون، مَاتَ فِي ذِي الْقِعْدَةِ سَنَة ٩١٩هـ/ يناير ١٥١٤م، وكَانَ دَيِّنًا، خَيِّرًا (السَّخَاوِي: الضَّوْءُ اللَّامِع، ج١٠ ص٢١٢؛ عَبْد الْبَاسِط بْن خَلِيل: نَيْلُ الْأَمَلِ، ج٢ ق٧ ص٢٢٣، ٢٥٧؛ ابْنُ إِيَاس: بَدَائِعُ الزُّهُور، ج٣ ص١٦٧، وج٤ ص٣٥٣).

(١٣١) ابْنُ الصَّيْرَفِيّ: إِنْبَاء الهَصْر، ص٢٨١، ٢٨٥.

(١٣٢) نَيْلُ الْأَمَلِ» ج٧ ص٧٧.

(١٣٣) المَجْمَع المُفَنَّن، ص٦٠٢، ٦٠٣.

(١٣٤) خُشْقَدَم الظَّاهِرِيّ جَقْمَق الرُّومِي الَّلالا الطَّواشي، وَيُقَال لَهُ أَيْضًا الأَحْمدِيّ لتَاجِره، كَانَ أَحَد السُّقَاة، ثُمَّ تَرقَّى فِي الوَظَائِف، حَتَّى عُيّن وَزِيرا سَنَة ٨٧٩هـ/ ١٤٧٤م، واسْتَقَرَّ خَازِندَارًا زِمامًا سَنَة ٨٨٢هـ/ ١٤٧٧م مع الْوِزَارَة وغَيْرها، ثُمَّ عُزِل عَن الْوِزَارَة سَنَة ٨٨٩هـ/ ١٤٨٤م، واسْتَمَرَّ على الزِّمَامِيَّة والخَازِندارِيَّة، وتَغيَّر عَلَيهِ خَاطِرُ السُلطَان فِي سَنَة ٨٩٤هـ/ ١٤٨٨م وقَبَض عَلَيْهِ، ثُمَّ نَفَاهُ إلى سَوَاكِن –مِيْنَاء بالسُوْدَان– واسْتَمَرَّ بِها إلى أَن مَاتَ فِي شَوَّالٍ سَنَة ٨٩٤هـ/ سِبْتَمْبِر ١٤٨٩م (السَّخَاوِي: الضَّوْءُ اللَّامِع، ج٣ ص١٧٦، ١٧٧؛ ووَجِيز الكَلَام،، ج٣ ص١٠٧٢، ١٠٧٣؛ عَبْد الْبَاسِط بْن خَلِيل: الرَّوْضُ البَاسِمُ، ج٣ ص٣٣٤ وج٤ ص٨٢؛ ونَيْلُ الْأَمَلِ، ج٢ ق٧ ص١٠٧، ١٨٩، ٣٧٥؛ ابْنُ إِيَاس: بَدَائِعُ الزُّهُور، ج٣ ص٩٩، ٢٥٩).

(١٣٥) عَبْد الْبَاسِط بْن خَلِيل: نَيْلُ الْأَمَلِ، ج٢ ق٧ ص٣٢٣.

(١٣٦) ابْنُ إِيَاس: بَدَائِعُ الزُّهُور، ج٣ ص١٩٦.

(١٣٧) آقْبَرْدي مِن عَليّ بَاي الْأَشْرَفِيّ، أَحَد مُقَدَّمي الْأُلُوف، وقَرِيب السُلطَان قَايتْبَاي وعَدِيلُه، رُقِّيَ فِي أَيَّامه إلى مُنتهَى الرِّيَاسَة، وشَغَل عِدَّة وَظَائِف سَنيّة، واسْتَقَرَّ فِي الدَّوَادَارية الكُبْرى فِي الْمُحَرَّم سَنَة ٨٨٦هـ/ مَارِس ١٤٨١م، وفِي الْوِزَارَة مُضَافًا لِمَا بِيَدِه فِي ذِي الْقِعْدَةِ سَنَة ٨٩١هـ/ نُوفمبر ١٤٨٦م، وتُوُفِّيَ فِي سَنَة ٩٠٤هـ/ ١٤٩٩م (عَبْد الْبَاسِط بْن خَلِيل: الرَّوْضُ البَاسِمُ، ج٣، ص١٧٢؛ ونَيْلُ الْأَمَلِ، ج٢ ق٧ ص٢٧٩؛ إِيَاس: بَدَائِعُ الزُّهُور، ج٣ ص١٧٨، ٤٢١؛ ابْن طُولُون الدِمَشْقيّ، شَمْس الدِّين مُحَمَّد بْن عَليّ بْن خمَارويه الصَّالِحيّ (ت ٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م): مُفَاكَهةُ الخِلَّان فِي حَوَادِثِ الزَّمَان، وَضَعَ حَواشِيه خَلِيل المَنْصُور، دَار الْكُتُب العِلميّة، بَيْرُوت، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، ص١٧٨).

(١٣٨) ابْنُ إِيَاس: بَدَائِعُ الزُّهُور، ج٣ ص٢٠١.

(١٣٩) السَّخَاوِي: وَجِيز الكَلَام، ج٣ ص٩٩٣.

(١٤٠) العُلَيمي: التَّارِيخ المُعْتَبَر، ج٢ ص٢٧٦.

(١٤١) ابْن طُولُون الدِمَشْقيّ: مُفَاكَهةُ الخِلَّان، ص١٣٦.

(١٤٢) ابْنُ إِيَاس: بَدَائِعُ الزُّهُور، ج٣ ص٣٦١.

(١٤٣) الأَمِيرُ طُقطباي مِن وَلِيّ الدِّين، أُنْعِمَ عَلَيهِ بتَقْدِمة أَلْف فِي شَوَّالٍ سَنَة ٩٠٦هـ/ أبْرِيل ١٥٠١م، وَقُرِّرَ فِي الْوِزَارَة والأسْتادَّارية عِوَضًا عن مصرباي فِي الْمُحَرَّم سَنَة ٩٠٧هـ/ يُوليو ١٥٠١م، ومَاتَ فِي رَجَبٍ سَنَة ٩٠٨هـ/ يناير ١٥٠٣م (ابْنُ إِيَاس: بَدَائِعُ الزُّهُور، ج٤ ص٦، ١٨، ٤٦). ويَبْدُو أن طُقطباي وُلِيّ كَشْف الْوَجْه الْقِبْلِيّ قَبْلَ أَنْ يَحْصُلَ على التَّقْدِمَة؛ حَيْثُ جَاء اسْمُه مَتْبوعًا بـ "كَاشِف سُيوط" فِي أَحَد المَصَادِر، وذَلِكَ فِي أَحْداث شَهْر ذِي الْحِجَّة سَنَة ٨٩٠هـ/ دِيسِمبِر ١٤٨٥م (عَبْد الْبَاسِط بْن خَلِيل: نَيْلُ الْأَمَلِ، ج٢ ق٧ ص٤٣٥، ٤٣٦).

(١٤٤) ابْنُ إِيَاس: بَدَائِعُ الزُّهُور، ج٤ ص٢٦.

(١٤٥) ابْنُ إِيَاس: المَصْدَر نَفْسه، ج٤ ص١٨، وج٥ ص٩٢.

(١٤٦) طُومان بَاي مِن قَانْصُوه قَرِيب الْمَلِك الْأَشْرَف قَانْصُوه الغُوريّ، اشْتَرَاهُ هَذَا الْأَخِير، فقَدَّمَهُ إلى السُّلطَان الْأَشْرَف قَايِتْبَاي، فصَارَ مِن جُمْلة مَمَاليكِه، ولمَّا اعْتَلَى النَّاصِر مُحَمَّد بْن قَايِتْبَاي عَرْش مِصْر أَعْتَقَه، ولمَّا تَولَّى قَانْصُوه الغُوريّ مِصْر سَنَة ٩٠٦ هـ/١٥٠١ أَنْعَم عَلَيهِ بإِمْرة عَشرَة، ثُمَّ رَقَّاه إلى أَمِير طَبْلَخَانه، ثُمَّ أَنْعَم عَلَيهِ بتَقْدِمة أَلْف فِي ذِي الْحِجَّة سَنَة ٩١١هـ/ مَايُو ١٥٠٦م، وعَيَّنهُ دَوَادَارًا كَبِيرًا فِي سَنَة ٩١٣هـ/ ١٥٠٧م، ثُمَّ أَنْعَم عَلَيهِ بالأسْتادَّارية الْعَالِيَة، وعَيَّنهُ مُتحدِّثًا على دِيْوَان الْوِزَارَة وسَائِر الدَّواوين، ثُمَّ اُخْتِير سُلْطانًا لمِصْرَ عَقِبَ مَصْرَع الغُوريّ فِي مَرْج دَابِق. واسْتَمَرَّت سَلْطنتُه عَامًا، حَاوَل فِيْهَا انْقَاذ مِصْر مِن سَيْطَرةِ العُثْمَانيين عليها، لَكنَّهم هَزَمُوه فِي مَعَرَكة الرَّيْدانيَّة فِي ذِي الْحِجَّة ٩٢٢هـ/ يَنَايِر ١٥١٧م، ثُمَّ اقْتَادُوه إلى "بَابِ زَوِيلَة" وتَمَّ شَنْقُه (ابْنُ إِيَاس: المَصْدَر نَفْسه، ج٤ ص٧٨، ٩٣، ٩٩، ١٠٠، ١٢١، ١٤٢، ١٤٩، ٢٨٤، ٤١٥، وج٥ ص٣، ٨٥، ١٠٢ وما بَعْدها).

(١٤٧) ابْنُ إِيَاس: المَصْدَر نَفْسه، ج٤ ص١٨٠.

(١٤٨) ابْنُ إِيَاس: المَصْدَر نَفْسه، ج٤ ص٢٦١، ٢٦٢.

(١٤٩) ابْنُ إِيَاس: بَدَائِعُ الزُّهُور، ج٤ ص٢٩٨.

(١٥٠) ابْنُ إيَاس: المَصْدَر نَفْسه، ج٤ ص٣٧١، ٣٨٨.

(١٥١) المَصْدَر نَفْسه، ج٥ ص٣٠١.

(١٥٢) زَيْنُ الدِّين بَرَكَات بْن مُوسَى (الزَّيْني بَرَكَات)؛ أبُوه مُوسَى مِن العَرَب وأُمُّه تُسمَّى عنقَا، شَغَل كَثِيرًا مِن الوَظائِف فِي عَهْد السُّلطَان قَانْصُوه الغُوريّ، مِثل بَرْدَدَار السُّلْطان، وحِسْبَة القَاهِرة، وأسْتادَّار الذَّخِيرة ونَظَرِها، وغَيْر ذَلِكَ، فعَظُمَ شَأْنُهُ، واسْتَمَرَّ على مَكَانتِه مع بِدَايَات العَصْر العُثْمَاني، حَيْثُ وَلَّاه السُّلطَان سلِيم الأَوَل الحِسْبَةَ، ونَظَر الذَّخِيرة، وغَيْرها مِن الوَظائِف. وفي نِهَاية المَطَاف قُتِلَ على يَدِ الأَمِير إيْنَال الطَّوِيل فِي سَنَة ٩٢٨هـ/ ١٥٢٢م (ابْنُ إيَاس: المَصْدَر نَفْســـــه، ج٤ ص٥٠، ٧٥، ١٤٤، ١٤٦، ٣٢٨، ٣٨١، وج٥ ص٢٧، ٢٠٩، ٢٧٧، ٤٦٨، ٤٩٢؛ ابْنُ زُنْبُل الرَّمَال، شِهَاب الدِّين أَحْمَد بْن عَليّ المَحليّ (ت بعد ٩٧٥هـ/ ١٥٦٧م): تَارِيخ مِصْر المَحْرُوسَة (حَوادِث سَنَوات ٩٢٨-٩٧٥هـ)، "قِطعَة مِن كِتَاب انْفِصَال دَوْلَة الْأَوَان واتِّصَال دَوْلَة بَنـي عُثْمان"، تَحْقِيق مُحَمَّد جَمَال الدِّين الشُّوربَجي، دَار نُور حَوْرَان للدِّرَاسَات والنَّشر والتُّرَاث، دِمَشْق، ط١، ٢٠٢١م، ص٧٨- ٨٣) .

(١٥٣) الصَّفَدِيّ: أَعْيَانُ العَصْر، ج٥ ص٣٩.

(١٥٤) المقْرِيزي: السُّلُوك، ج٧ ص٢٨٢؛ ابْنُ إيَاس: بَدَائعُ الزُّهُور، ج٤ ص٣٧١.

(١٥٥) الْخِلْعَة: بالكَسْر: ما يُخْلَع على الإنْسَان مِن الثِّيَابِ، وكل ثَوْبٍ تَخْلَعُه عنك خِلْعَة؛ وإذا قِيل خَلَعَ فُلانٌ على فُلانٍ أَي أَعْطَاه ثَوبًا. والْخِلْعَة: ما يَخْلَعُه الخَلِيفةُ أَوْ الأَمِيرُ أَوْ الْمَلِكُ عَلَى أَحَد النَّاس مِن الثِّيَابِ الفَاخِرة، وعَادَةُ الْخلعِ قَدِيمة، وأَوَّل مَن خَلَعَ الْخِلْعَةَ فِي الإسْلام النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ) عِنْدَمَا خَلَعَ بُرْدَتَهُ على كَعْب بْن زُهَير، وقَدْ سَارَ الخُلَفَاءُ مِن بَعْدِهِ على نَهْجِهِ (رَجَب عَبْد الجَوَاد إبْراهِيم: المُعْجَمُ العَرَبـيّ لأَسْمَاء المَلابِس فِـي ضَـوْء المعَـاجِم والنُّصُـوص المُوثَّقَـة مِـن الجَاهِلِيَّــة حَتَّــى العَصْــر الحَــدِيث، دَار الأفَــاق العَرَبِيَّــة، القَــاهِرَة، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ص١٥٥). وفـي الدَّوْلَـة الْمَمْلُوكِيَّـة كَانَـتْ الْخِلَـعُ والتَّشَـارِيفُ علـى ثَلاثَـةِ أَنْـواع: تَشَـارِيف أَرْبَـاب السُّيُوف، وتَشَـارِيف الْـوُزَرَاء وأَرْبَـاب الأَقْـلام، وتَشَـارِيف القُضَـاة والعُلَمـاء. ولكُـلّ مِنهـا مَرَاتِـب أَوْ طَبَقات، وأَمَاكِن يَقَعُ الِّلبسُ فيها، وتُمْنَح عِنْدَ تَولِّي الوَظائِف والْمَنَاصِب، وفي الأَعْيَاد والمُناسَبات الْمُخْتَلِفَة .... وهَكَذا (ابْنُ فَضْل الله العُمَري، شِهَاب الدِّيْن أَحْمَد بْن يَحْيى (ت٧٤٩هـ/ ١٣٤٩): مَسَــالِكُ الأَبْصَــار فِــي مَمَالِــكِ الأَمْصَــار، تَحْقِيــق كَامِــل سَــلمَان، دَار الْكُتُــب العِلميّــة، بَيْرُوت،١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، ج٣ ص٣١٧- ٣٢٢؛ القَلْقَشَنْديّ: ضَوْء الصُّبح المُسفِر، ص٢٥٩-٢٦١).

(١٥٦) تُسمَّى الْخِلْعَةُ تَشْرِيفَة وجَمْعُها تَشَارِيف، والمُرَاد بِها أَنَّ السُّلطَان يُشَرِّف مَن يُلْبِسُهُ بِمَا يَلْبَسُهُ (القَلْقَشَنْديّ: ضَوْء الصُّبح المُسفِر، ص٢٥٩).

(١٥٧) القَلْقَشَنْديّ: صُبْح الأعْشَى، ج٤ ص٥٣؛ وضَوْء الصُّبح المُسفِر، ص٢٦١.

(١٥٨) ابْنُ فَضْل الله العُمَري: مَسَالِكُ الأَبْصَار، ج٣ ص٣١٧– ٣١٩؛ القَلْقَشَنْديّ: صُبْح الأعْشَى، ج٤ ص٥٢، ٥٣؛ وضَوْء الصُّبح المُسفِر، ص٢٥٩– ٢٦١؛ المقْرِيزي: المَواعِظ والإعْتِبَار، ج٣ ص٧٣٥– ٧٣٧.

(١٥٩) بَدَائِعُ الزُّهُور، ج٤ ص٢٦، ٢٦٢، ٢٩٨، ٣٧١.

(١٦٠) ابْنُ إيَاس: المَصْدَر نَفْسه، ج٤ ص٢٦.

(١٦١) القَلْقَشَنْديّ: صُبْح الأعْشَى، ج٤ ص١٥؛ حَسَن البَاشَا: الفُنُون الإسْلاميَّة والوَظَائِف، ج١ ص٢٣١؛ مُحَمَّد قَنديل البقلي: التَّعْرِيف بمُصطلَحاتِ صُبح الأَعْشَى، ص٥٠).

(١٦٢) النَّغْرُ البَاسِمُ، ج١ ص٣٨٥.

(١٦٣) يَبْدُو أَنَّ تَوَقُّف دَقّ الطَّبْلَخاناه لأُمَرَاء الطَّبْلَخاناه فِي أَوَاخِر العَصْر الْمَمْلُوكِيّ لَفَتَ أَنْظَار المُؤرِّخين فِي مِصْر والشَّام على حَدٍّ سَوَاء، حَتَّى إنَّ مُجِير الدِّيْن العُلَيمي (ت ٩٢٨هـ/١٥٢١م) عِنْدَ حَدِيثِه عن نَائِب قَلْعَة بَيت الْمُقَدّس – وهو غَيْر نَائِب الْقُدس– يَقُول: "وَكَانَت تدقّ الطَّبْلَخانه، فِي كُلّ لَيْلَة بَيْن الْمَغْرب وَالْعشَاء على عَادَة القِلاع بالْبِلَاد، وقَدْ تَلاشَتْ أَحْوالُها فِي عَصْرِنا، وتَشَعَّثَتْ وَبَطلَ مِنْهَا دَقُّ الطَّبْلَخانه، وَصَارَ نَائِبها كآحَادِ النَّاس؛ لتَلاشِي الْأَحْوَالُ، وَعَدم إقَامَة النِّظَام" (مُجِير الدِّيْن عَبْد الرَّحْمَن بْن مُحَمَّد: الْأُنْسُ الجَلِيل بتَارِيخ الْقُدْسِ والْخَلِيل، تَحْقِيق مَحْمُود عَودَة الكَعَابِنة، مَكتَبة دنديس، الْخَلِيل، فِلَسْطِين – عَمَّان، الأرْدُن، ط١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ج٢ ص١٠٩، ١١٠).

(١٦٤) تَثْقِيف التَّعْرِيف، ص١١٣.

(١٦٥) يُقْصَدُ بِها يَاء النَّسَب أَوْ الْيَاء المُشَدَّدة آخرًا، فإثْبَاتها فِي اللَّقَب أَعْلى رُتْبَة مِمَّا تجرَّد عنها، ولكُلّ مِنْهما صِيْغَةٌ ورَسْمٌ مَعْرُوفيْن فِي الدِّيوَان، ففِي الْأُولَى التي يُعَبُّر عَنْها بالسَّامِيّ بيَاء تَكُون صُورتُها: صَدَرَت هَذِهِ المُكاتَبة إلى المَجْلِس السَّامِيّ، الأَمِيري، الأَجَلّي، الْكَبِيري، وبَقيَّة الْأَلْقَاب والنُّعُوت مِثل ذَلِكَ بيَاء النَّسَب، ثُمَّ الدُعَاء وإعْلَامه بكَذَا وكَذَا. أما الأُخْرَى التي يُعَبُّر عَنْها بالسَّامِي بغَيْر يَاء تَكُون صِيْغتُها: هَذِهِ المُكاتَبة إلى المَجْلِس السَّامِي، الأَمِير، الأَجَلّ، الْكَبِير، وبَقيَّة الْأَلْقَاب والنُّعُوت على هَذَا المِنْوال مِن غَيْر يَاء النَّسَب، ثُمَّ الدُعَاء، وإعْلَامه بكَذَا وكَذَا

(انْظُر؛ ابْن نَاظِر الْجَيش: تَثْقِيف التَّعْرِيف، ص٤٠، ٤١؛ القَلْقَشَنْديّ: صُبْح الأعْشَى، ج٥ ص٤٩٦، ٤٩٧، وج٧ ص١٤٣، ١٤٤؛ وضَوْء الصُّبح المُسفِر، ص٢٧٢، ٣٥٣).

(١٦٦) ج٧ ص١٥٤، ١٥٨.

(١٦٧) لَقَبٌ اسْتُعْمِلَ فِي مُخَاطَبَةِ زَوجَات السُّلْطَان أَوْ أَقَارِبه، مُفْرَدهَا خَوَنْد، ومَعْنَاها: السَّيِّدَة أَوْ الأَمِيرَة (مُحَمَّد قَنديل البقلي: التَّعْرِيف بمُصطلَحاتِ صُبح الأَعْشَى، نُشِر كمُلْحَق لكِتابِ صُبْح الأَعْشَى (ج١٥)، ص١٢٤، ١٢٥).

(١٦٨) صُبْح الأَعْشَى، ج٧ ص١٥٤-١٦٠، ١٦٣، ١٦٦.

(١٦٩) القَلْقَشَنْديّ: صُبْح الأَعْشَى، ج٧ ص١٥٨.

(١٧٠) ضَوْء الصُّبح المُسفِر، ص٢٧٥.

(١٧١) هَذَا مع العِلْم أَنَّ القَلْقَشَنْديّ صَدَّر كَلَامَهُ عن أَرْبَاب السُّيُوف أنَّهم سِتَّة أَصْنَاف، ثُمَّ أَوْرَدَهم سَبْعَةً فِي شَرْحِه لَهُم (ضَوْء الصُّبح المُسفِر، ص٢٧٣- ٢٧٦).

(١٧٢) لَمْ يَكُنْ نِظَامُ "وِلَايَة الْعَهْد بالسَّلْطَنة" نِظَامًا رَسْميًّا أَوْ ثَابِتًا فِي الدَّوْلَة الْمَمْلُوكِيَّة؛ فالسُّلْطُة فِيهَا يَتِمُّ تَدَاوُلها فِي الغَالِب بمَبْدَأ "الحُكم لمَن غَلَب". ومَعَ هَذَا هُنَاكَ مِن السَّلَاطِين مَن عَيَّنَ وَلِيًّا للعَهْد بالسَّلْطَنة يَخْلُفُهُ عَلَى عَرْشِهَا؛ مِن هَؤُلَاء مَثَلًا السُّلْطَان الظَّاهِر بيبَرْس الَّذِي عَهِدَ بِهَا لابْنَه المَلِك السَّعِيد بَركَة، وكَذَلِكَ السُّلْطَان الْمَنْصُور قَلَاوُون الَّذِي جَعَلَها لابْنه المَلِك الصَّالِح "عَلَاء الدِّيْن عَليّ" (انْظُر؛ القَلْقَشَنْديّ: صُبْح الأَعْشَى، ج١٠ ص١٥٩، ١٦٠، ١٦٢، ١٧٣).

(١٧٣) القَلْقَشَنْديّ: ضَوْء الصُّبح المُسفِر، ص٢٧٣- ٢٧٦.

(١٧٤) النَّغْرُ الباسِمُ، ج٢ ص٦٧٥- ٦٨١.

(١٧٥) السّحمَاوِيّ: المَصْدَر نَفْسه، ج٢ ص٦٨٠.

(١٧٦) يُرَاد بِها الْمُكَاتَبَات الدَّائرة بَيْن أَعْيَان المَمْلَكة وأَكَابِر أَهْلِ الدَّوْلَة، مِن نُوَّاب السَّلْطَنَة وسَائِر الأُمَرَاء والْوُزَرَاء، ومَن فِي مَعْناهم، مِن أَعْيَان الكُتَّاب ومَن نَهَج نَهْجَهم مِن أَرْبَاب الْوَظَائِف (القَلْقَشَنْديّ: صُبْح الأَعْشَى، ج٨ ص ١٦٨، ٢١٢).

(١٧٧) ذَكَرَ القَلْقَشَنْديّ أَنَّ الْمُكَاتَبَات الْإِخْوَانِيَّات مُرَتَّبَة على تَرْتِيب الْمُكَاتَبَات الصَّادِرة مِن الأَبْوابِ السُّلْطَانية إلى أَهْلِ الدَّوْلَة، وبَيَّن رُتَبَ المَكْتُوبِ عَنْهم والمَكْتُوبِ إليهم فِي هَذِهِ الْمُكَاتَبَات، وأَنَّهم على طَبَقاتٍ أَرْبَع، وكُلّ طَبَقة تَنْقَسم إلى مَرَاتِب. وقَدْ انْقَسَمت الطَّبَقَة الثَّالِثة التي ضَمَّتْ مَن يُكْتَب إليه عَن السُّلطَان "ضَاعَفَ الله تَعَالى نِعْمَة الجَنَاب العَالِي"، والتي ذُكِرَ فِيْهَا كُشَّاف الْقَبْض إلى تِسْع مَرَاتِب (انْظُر؛ صُبْح الأَعْشَى، ج٨ ص٢١٧- ٢٣٢).

(١٧٨) القَلْقَشَنْديّ: صُبْح الأَعْشَى، ج٨ ص ٢٣٠.

(١٧٩) السّحمَاوِيّ: الثَّغْرُ البَاسِمُ، ج٢ ص٦٨٧.

(١٨٠) السّحمَاوِيّ: المَصْدَر نَفْسه، ج٢ ص٦٨٠.

(١٨١) عَبْد الْبَاسِط بْن خَلِيل: الرَّوْضُ البَاسِمُ، ج٣ ص٢٢٨.

(١٨٢) عَبْد الْبَاسِط بْن خَلِيل: المَجْمَع المُفَنَّن، ص٥٦٦.

(١٨٣) القَلْقَشَنْديّ: صُبْح الأَعْشَى، ج٣ ص٤٥٥، ٤٥٦.

(١٨٤) نَاظِرُ أَي دِيْوَان أَوْ وَظِيفَة فِي ذَلِكَ العَصْر "هو الَّذِي يَنْظُرُ فِي أَمْرِ تِلْكَ الْوَظِيفَة مِن الْأَمْوَال وغَيْرِها، ويُنفِّذُ تَصرُّفاتِها، ويُرْفعُ إِلَيْهِ حِسَابُها ليَنْظُرَ فِيه ويَتَأَمَّلَه فيمْضِي مَا يمْضِي ويَردّ مَا يَردّ" (القَلْقَشَنْديّ: صُبْح الأَعْشَى، ج٥ ص٤٦٥؛ وضَوْء الصُّبح المُسفِر، ص٣٤٧).

(١٨٥) المُستُوفِّي هو الَّذِي يَضْبِطُ الدِّيْوَان، ويُنبِّه عَلَى مَا فِيهِ مَصْلَحته مِن اسْتِخْرَاج أَمْوَاله وَنَحْو ذَلِكَ (القَلْقَشَنْديّ: صُبْح الأَعْشَى، ج٥ ص٤٦٦؛ وضَوْء الصُّبح المُسفِر، ص٣٤٧).

(١٨٦) الشَّاهِدُ هو الَّذِي يَشْهَدُ بمُتعلَّقات الدِّيْوَان نَفْيًا وإِثْباتًا (القَلْقَشَنْديّ: صُبْح الأَعْشَى، ج٥ ص٤٦٦؛ وضَوْء الصُّبح المُسفِر، ص٣٤٧).

(١٨٧) الصَّيْرَفِيّ هو الَّذِي يَتولَّى تَحْصِيل الْأَمْوَال وصَرْفها، وكَانَ يُعْرَف قَدِيمًا بالْجهْبَذ (القَلْقَشَنْديّ: صُبْح الأَعْشَى، ج٥ ص٤٦٦؛
Quatremère, E. M: Histoire des sultans mamlouks, T.1, par.1 p. 199).

(١٨٨) أكْرم بْن الخَطِير الْقِبْطِيّ، كَرِيم الدِّيْن الصَّغِير، أَبُو المَكَارِم، كَانَ مِن جُمْلَةِ كُتَّابِ مِصْرَ النَّصَارى، بَاشَرَ فِي دِيْوَان الْجَيْش إِلَى أَنْ وَلِيَ خَالُه القَاضِي كَرِيم الدِّيْن الْكَبِير نَظَر الخَاصّ، فاسْتَقَرَّ –بَعْدما أَظْهَرَ إِسْلَامَه– فِي نَظَر الدَّوْلَة، فَلَمَّا قُبِضَ على خَالِه عُرِضَ عَلَيهِ التَّحدُّث فِي نَظَرِ الخَاصّ، وغَيْره، فَامْتنعَ، فَأَمَرَ السُّلطَانُ بحَبْسِه، وصُودِرَ، ثُمَّ أُفْرِجَ عنه، وَوَلِّي نَظَر صَفَد ثُمَّ نَظَر دِمَشْق، ثُمَّ أُعِيد إِلَى مِصْر سَنَة ٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م، ونُفِيَ إِلَى أسْوَان فأُغْرِقَ فِي النِّيل، أَوَاخِر تلك السَّنَة (الصَّفَدِيّ: أَعْيَانُ العَصْر، ج١ ص٥٨٢– ٥٨٤؛ المقْرِيزي، تَقِيّ الدِّيْن أَحْمَد بْن عليّ (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤٢م): المُقَفَّى الْكَبِير، تَحْقِيق مُحَمَّد اليَعلَاوي، دَار الغَرب الْإِسْلَامي، بَيْرُوت، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ج٢ ص٢٦٦– ٢٧٠؛ ابْن حَجَر العَسْقَلانيّ: الدُّرَر الكَامِنة، ج١ ص٤٠٠، ٤٠١؛ أَبُو المَحاسِن: المَنْهَل الصَّافِي، ج٣ ص٣٣– ٣٥).

(١٨٩) لَمْ يَقُمْ كَرِيمُ الدِّيْن بأَمْرِ هَذِهِ الوَظِيفَة، وقَلِقَ لذلك قَلَقًا شَدِيدًا – خَشْيَةَ أَنْ تَكُونَ مَكِيدة دَبَّرَها له أَعْدَاؤه– فتَدخَّلَ نَائِب السَّلْطَنَة سَيْف الدِّيْن أَرْغُون وخَاطَبَ السُّلطَانَ فِي أَمْرِه، وأَوْضَحَ له التَّحَامُلَ عليه، فقَطَّعَ التَّوقِيع، وبَطلَ مَا كَانَ قَدْ رَسَمَ بِهِ فِيه (النُّوَيْري: نِهاية الأَرَب، ج٣٣ ص١٥٠).

(١٩٠) لَمْ نَعثُر عَلَى تَرجَمةٍ لَه فِي المَصادِر المُتَاحة.

(١٩١) ابْن حَجَر العَسْقَلانيّ: إنْبَاءُ الغُمر، ج٢ ص٣٤؛ ابْنُ الصَّيْرَفِيّ: نُزْهَةُ النُّفُوسِ، ج١ ص٤٧٧.

(١٩٢) عَبْد الْبَاسِط بْن خَلِيل، ص١٤٩، ١٥٠.

(١٩٣) الشَّرَف يَحْيى بْن كَرِيم الدِّيْن بْن بَريَّة، المَنْفَلُوطي، أَحَد الكَتَبة، ومِمَّن خَدَمَ بِـالْمُبَاشِرةِ عِنْدَ ابْن حُرَيز، ثُمَّ بَعْده كَتَبَ فِي الدِّيوَان، ثُمَّ بَطل وَانْقَطعَ حَتَّى وافَتهُ الْمَنِيَّةُ. وكَانَ قد صَاهَرَ مَنْصُور بْن صَفيّ الأسْتادَّار على أُخْتِه واسْتَولَدها ابْنه إبْرَاهِيم، وهو أَخُو شَمْس الدِّيْن مُحَمَّد وَالِد أَبِي الْبَقَاء وَأَبِي الْفَتْح (السَّخَاوِي: الضَّوْءُ اللَّامِع، ج١٠ ص٢٦٧، ٢٦٨).

(١٩٤) السَّخَاوِي: الضَّوْءُ اللَّامِع، ج١٠ ص٢٦٧.

(١٩٥) لَمْ نَعثُر عَلَى تَرجَمةٍ لَه فِي المَصادِر المُتَاحة، وذَكَرَه عَبْدُ الْبَاسِط بْن خَلِيل فِي تَرْجَمته لإبْراهِيم بْن شَرَف الدِّيْن يَحْيى بْن بَريَّة، فقَالَ: إنَّ إبْراهِيم هَذَا ابْنُ عَمِّ صَاحِبنا القَاضِي صَلَاح الدِّيْن مُحَمَّد بْن بَريَّة (المَجْمَع المُفَنَّن، ص١٤٩).

(١٩٦) انْظُر مَثَلًا؛ ابْن شَاهِين الظَّاهِري: زُبْدَة كَشْف المَمَالِك، ص٣٣.

(١٩٧) القَلْقَشَنْديّ: صُبْح الأَعْشَى، ج٣ ص٣٩٩، ٤٥٥.

(١٩٨) ذَكَرْنَا سَابِقًا أنَّ السَّلاطِين كانوا يَحْصلُون مِن خَرَاج مَنْفَلُوط على أَكْثَر الغِلَال التي تُحْمَل إلى الْأَهْرَاءَ السُّلْطَانية بالفُسْطَاط، ويَصْرِفُون مِنْها فِي جُمْلَة مَصَارِفها على الطَّواحِين السُّلْطَانية والمُنَاخَات وغَيْر ذَلِكَ.

(١٩٩) المقْرِيزي: السُّلُوك، ج٣ ص٢٤٧، ٢٤٨.

(٢٠٠) ابْن دُقْمَاق: الانْتصَارُ لوَاسِطَةِ عِقْدِ الأَمْصَار، ج٢ ص٥٩.

(٢٠١) زُبْدَة كَشْف المَمَالِك، ص٣٢.

(٢٠٢) بُرْهَان الدِّيْن أَبُو إسْحَاق إبْرَاهِيم بْن عَلِيّ: الْفَضَائِل البَاهِرة فِي مَحَاسِن مِصْر والقَاهِرة، تَحْقِيق مُصْطَفى السَّقّا وكَامِل المُهندِس، مَرْكَز تَحْقِيق التُّرَاث، القَاهِرة، ١٩٦٩م، ص١٢٩.

(٢٠٣) لَمْ نَعثُر عَلَى تَرجَمةٍ لَه فِي المَصادِر المُتَاحة.

(٢٠٤) عَلَى الأَرجَح سيَكُون جَمَالُ الدِّين المَذْكُور هو جَمَالُ الدِّين يُوسُف الأسْتادَّار، ابْن أَحْمَد بْن مُحَمَّد بْن أَحْمَد بْن جَعْفَر بْن قَاسِم الْبِيريّ الْحَلَبِيّ، الَّذِي نَكَبَه السُّلطَان فَرَج بْن بَرْقُوق وقَتَلهُ فِي سَنَة ٨١٢هـ/ ١٤٠٩م (انْظُر؛ المقْرِيزي: دُرَر العُقُودِ الفَرِيدَة، ج٣ ص٥٦٢– ٥٧٢؛ والسُّلُوك، ج٦ ص٢٥٢). هَذَا ويَقُول ابْنُ ظَهِيرة: إنَّ جَمَال الدِّين، أُسْتَاذ قُطْلُوشَاه، نَكَبَه السُّلطَان فَرَج بْن بَرْقُوق، وقَتَلهُ فِي سَنَة ٨٢٠هـ/ ١٤١٧م (الْفَضَائِل البَاهِرة، ص١٢٩). وقَوْله هَذَا بِهِ خَطَأ وَاضِح

فِي التَّارِيخ الَّذِي ذَكَرَه؛ لِأَنَّ السُّلْطَان فَرَج بْن بَرْقُوق قُتِلَ سَنَة ٨١٥هـ/ ١٤١٢م، فَهَلْ خَرَجَ مِن قَبْرِه بَعْد خَمْس سَنَوات مِنْ مَوْتِهِ لِيَقْتُلَ جَمَالَ الدِّين المُشَار إِلَيْهِ؟!

(٢٠٥) حَمْزة عَبْد العَزِيز بَدْر: الآثَار الإِسْلامِيَّةُ بمَنْفَلُوط، ص ١٤٠.

(٢٠٦) بَدَائِعُ الزُّهُور، ج٣ ص٣٥٩.

(٢٠٧) دَاوُدُ بْن سُلَيْمَانَ بْن عِيسَى بْن عُمَرَ الْهَوَّارِي، مِن أَبْرَز أُمَرَاء قَبِيلَة هَوَّارَة فِي صَعِيدِ مِصْرَ، قُرِّر فِي إِمْرَتِها سَنَة ٨٨٢هـ/ ١٤٧٧م، وصُرِفَ عَنْها غَيْرَ مَرَّةٍ، وأَخْلَعَ عَلَيهِ السُّلطَانُ بإِمْرةِ الْوَجْه الْقِبْلِيّ كَامِلًا فِي ذِي الْقِعْدَةِ سَنَة ٨٩٨هـ/ أُغُسطُس ١٤٩٣م، وفي النِّهَايةِ أُعْدم شَنْقًا بمنفلوط سَنَة٩٠٢هـ/ ١٤٩٧م (عَبْد الْبَاسِط بْن خَلِيل: نَيْلُ الْأَمَلِ، ج٢ ق٧ ص١٩٠؛ ابْنُ إِيَاس: المَصْدَر نَفْسه، ج٣ ص٢٤٦، ٢٩٧، ٣٥٩).

(٢٠٨) أُسْتَاذه هو قَانِبَك السَّيْفِيّ يَشْبُك بْن أَزْدَمُر، وهو مِن الدَّوَادَارية، وذَكَرنَا ذَلِكَ سَابِقًا.

(٢٠٩) عَبْد الْبَاسِط بْن خَلِيل: المَجْمَع المُفَنَّن، ص٥٦٦.

(٢١٠) بَدَائِعُ الزُّهُور، ج٥ ص٣٠١.

(٢١١) هُنَاكَ أَمْثِلَةٌ أُخْرَى ذَكَرَها ابْنُ إِيَاس تَدُلّ عَلى أَنَّ مِسَاحَة بِلَاد الصَّعِيد واسْتِخْرَاج الْمُغَلّ الَّذِي بِها وَظِيفَة وَاحِدة تُضَاف إلى الدَّوَادَار، مِن ذَلِكَ مَثَلًا ما أَوْرَدَه فِي أَحْداث شَهْر الْمُحَرَّم سَنَة ٩١٩هـ/ مَارِس ١٥١٣م، حَيْثُ يَقُول: "خَرَجَ الأَمِيرُ طُومان بَاي الدَّوَادَار الْكَبِير وتَوَجَّه إلى نَحْو جِهَاتِ الصَّعِيد بِسَبَبِ مِسَاحَة الْأَرَاضِي وضَمّ الْمُغَلّ" (المَصْدَر نَفْسه، ج٤ ص٢٩٨).

(٢١٢) النُّوَيْرِي: نِهاية الأَرَب، ج٨ ص١٨٠– ١٨٥؛ القَلْقَشَنْديّ: صُبْح الأَعْشَى، ج٣ ص٤٥٨.

(٢١٣) انْظُر؛ مَجْدي عَبْد الرَّشِيد: القَرْيَة المِصْريَّة فِي عَصْر سَلاطِين الْمَمَالِيك، ص١٤٠، ١٤١.

(٢١٤) مُحَمَّد أَحْمَد مُحَمَّد بِديوِي: مَظاهِر الحَضَارة فِي مِصْر العُليَا، ص١٥٢.

(٢١٥) انْظُر فِي هَذَا الشَّأْن مَثَلًا: سَيِّد مَحْمُود مُحَمَّد عَبْد العَال: ثَورات الْعُرْبَان وأَثَرُها فِي الاقْتِصَاد المِصْرِيَ زَمَن سَلاطِين الْمَمَالِيك (٦٤٨– ٩٢٣هـ/١٢٥٠–١٥١٧م)، مَجَلّة المُؤَرِّخ العَرَبي يصْدرُها اتِّحَاد المُؤَرِّخين العَرَب، القَاهِرة، العَدَد ٢٠، أُكتُوبر ٢٠١٢م، ص٣٩٥– ٤٤٢؛ إِيْمَان مُصْطَفى عَبْد العَظِيم: الْعُرْبَان فِي مِصْر بَيْن الاعْتِداء والوَلاء زَمَن الْمَمَالِيك الجَرَاكِسة (٧٨٤– ٩٢٣هـ/ ١٣٨٢–١٥١٧م)، حَولِيَّات آدَاب عَيْن شَمْس، الْقَاهِرَة، المُجَلّد ٤٠ (أُكتُوبر – دِيسِمبِر ٢٠١٢م)، ص٤١٩– ٤٧٣؛

Rapoport, Yossif: The Rise of Provincial Arab Ruling Families in Mamluk Egypt, 1350–1517, In: Mamluk studies review VOL. 25, (2022), Middle East Documentation Center, The University of Chicago, pp. (127- 160).

(٢١٦) المقْرِيزي: السُّلُوك، ج٤ ص١٥٣؛ عَبْد الْبَاسِط بْن خَلِيل: نَيْلُ الْأَمَلِ، ج١ ق١ ص٢٢٧؛ ابْنُ إِيَاس: بَدَائِعُ الزُّهُور، ج١ ق١ ص٥٤١.

(٢١٧) المقْرِيزي: المَواعِظ والِاعْتِبَار، ج٣ ص٢٧٨، ٢٧٩.

(٢١٨) المقْرِيزي: السُّلُوك، ج٧ ص٢٨٢؛ ابْنُ الصَّيْرَفِيّ: نُزْهَةُ النُّفُوسِ، ج٣ ص٣٠٩.

(219) Carl F. Petry: "The Politics of Insult: The Mamluk Sultanate's Response to Criminal Affronts", In: Mamluk studies review VOL. 15, (2011), Middle East Documentation Center, The University of Chicago, p.89.

(٢٢٠) المقْرِيزي: السُّلُوك، ج٧ ص٣٦٧.

(٢٢١) ابْن حَجَر العَسْقَلانيّ: إنْبَاءُ الغُمر، ج٣ ص٤٧٠؛ أَبُو المَحاسِن: النُّجُوم الزَّاهِرة، ج١٤ ص٣٦٠.

(٢٢٢) أَبُو المَحاسِن: النُّجُوم الزَّاهِرة، ج١٤ ص٣٦٠.

(٢٢٣) ابْنُ إِيَاس: بَدَائِعُ الزُّهُور، ج٢ ص١٤٠.

(٢٢٤) إِحْدَى القُرَى التَّابِعَة لمَرْكَز مَنْفَلُوط، وتُسمَّى بَني عَدِيّات.

(٢٢٥) أَي وضَعَهم عَلَى الخَازُوق؛ وهُوَ مِن آلَات التَّعْذِيب والإِعْدام، وهُوَ عِبَارة عَن عَمُود خَشَبي أو مَعْدَني مُدبَّب الرَّأس، يُجلِسون عَلَيه المُذنبَ، فيَدخُل في دُبُرِه، ويَخْرُج مِن أَعْلَاه.

(٢٢٦) عَبْد الْبَاسِط بْن خَلِيل: الرَّوْضُ البَاسِمُ، ج٤ ص٢٠٣، ٢٠٤، ٢٣٩؛ ونَيْلُ الْأَمَلِ، ج٢ ق٦ ص٤٠٩؛ ابْنُ إِيَاس: بَدَائِعُ الزُّهُور، ج٣ ص٤٣.

(٢٢٧) ابْنُ إِيَاس: المَصْدَر نَفْسه، ج٣ ص١٩٦.

(٢٢٨) عَبْد الْبَاسِط بْن خَلِيل: نَيْلُ الْأَمَلِ، ج٢ ق٧ ص١٠٧، ٣٢٣.

(٢٢٩) عَبْد الْبَاسِط بْن خَلِيل: الرَّوْضُ البَاسِمُ، ج٣ ص٢٢٨.

(٢٣٠) الضَّوْءُ اللَّامِع، ج٣ ص٦١؛ ووَجِيز الكَلَام، ج٢ ص٧٨٨.

(٢٣١) الرَّوْضُ البَاسِمُ ج٣ ص٢٢٨؛ ونَيْلُ الْأَمَلِ، ج٢ ق٦ ص٢٧١.

(٢٣٢) أَعْيَانُ العَصْر، ج٥ ص٣٩.

(٢٣٣) الدُّرَر الكَامِنة، ج٤ ص١٢٦.

(٢٣٤) عَبْد الْبَاسِط بْن خَلِيل: الرَّوْضُ البَاسِمُ، ج٤ ص٢٠٤.

(٢٣٥) المقْرِيزي: السُّلُوك، ج٤ ص١٥٣؛ عَبْد الْبَاسِط بْن خَلِيل: نَيْلُ الْأَمَلِ، ج١ ق١ ص٢٢٧.

(٢٣٦) سَافَرَ الصَّاحِبُ خُشْقَدَم إلى الْوَجْه الْقِبْلِيّ بِسَبَبِ ضَمّ الْمُغَلّ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَة ٨٨٧هـ/ أُكتُوبر ١٤٨٢م، وحَضَرَ إلى الْقَاهِرَة فِي شَهْرِ شَوَّالٍ/ نُوفمبر مِن تلك السَّنَة (ابْنُ إيَاس: بَدَائِعُ الزُّهُور، ج٣ ص١٩٦، ١٩٧).

(٢٣٧) خَرَجَ الأَمِيرُ طُومان بَاي الدَّوَادَار الْكَبِير إلى الصَّعِيد بِسَبَبِ ضَمّ الْمُغَلّ وجَمْع الْأَمْوَال فِي رَبِيعٍ الْأَوَّل سَنَة ٩٢٠هـ/ مَايُو ١٥١٤م، وحَضَرَ إلى الْقَاهِرَة فِي شَهْرِ جُمَادَى الْآخِرَة/ أُغسطُس مِن تلك السَّنَة (ابْنُ إيَاس: المَصْدَر نَفْسه، ج٤ ص٣٧١، ٣٨٨).

(٢٣٨) سَافَرَ الأَمِيرُ طُقطباي إلى جِهَة الصَّعِيد لجَمْع الْمُغَلّ فِي شَهْرِ شَعْبَان سَنَة ٩٠٧هـ/ فبْرَاير ١٥٠٢م، وحَضَرَ إلى الْقَاهِرَة فِي شَهْرِ ذِي الْحِجَّة/ يُونيَه مِن تلك السَّنَة (ابْنُ إيَاس: المَصْدَر نَفْسه، ج٤ ص٢٦، ٢٩). وسَافَرَ الأَمِير طُومان بَاي الدَّوَادَار إلى جِهَة الصَّعِيد فِي شَهْرِ الْمُحَرَّم سَنَة ٩١٦هـ/ أبْرِيل ١٥١٠م للسَّبَبِ نَفْسِهِ، وَعَادَ فِي جُمَادَى الْآخِرَة/ سِبْتَمْبِر مِن تلك السَّنَة، وكَانَ له نَحْو مِن خَمْسَةِ أَشْهُرٍ وهو مُسَافِرٍ هُنَاكَ (المَصْدَر نَفْسه، ج٤ ص١٨٠، ١٩١). وسَافَرَ مَرَّةً أُخْرَى إلى الصَّعِيد لجَمْعِ الْمُغَلّ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّل سَنَة ٩١٨هـ/ يُونيَه ١٥١٢م، وَعَادَ فِي شَهْرِ رَجَبٍ/ أُكتُوبر مِن تلك السَّنَة (المَصْدَر نَفْسه، ج٤ ص٢٦١، ٢٦٢، ٢٨٠).

(٢٣٩) تَوَجَّهَ الأَمِيرُ طُومان بَاي الدَّوَادَار الْكَبِير إلى الصَّعِيد بِسَبَبِ مِسَاحَة الْأَرَاضِي وضَمّ الْمُغَلّ فِي شَهْرِ الْمُحَرَّم سَنَة ٩١٩هـ/ مَارِس ١٥١٣م، وحَضَرَ إلى الْقَاهِرَة فِي شَهْرِ جُمَادَى الْآخِرَة/ أُغُسطُس مِن تلك السَّنَة (ابْنُ إيَاس: المَصْدَر نَفْسه، ج٤ ص٢٩٨، ٣٢٧).

(٢٤٠) ابْنُ الصَّيْرَفِيّ: إنْبَاء الهَصْر، ص١٦١؛ السَّخَاوِي: وَجِيز الكَلَام، ج٢ ص٨١٠؛ عَبْد الْبَاسِط بْن خَلِيل: الرَّوْضُ البَاسِمُ، ج٤ ص٢٠٣، ٢٠٤؛ ونَيْلُ الْأَمَلِ، ج٢ ق٦ ص٤٠٩؛ ابْنُ إيَاس: المَصْدَر نَفْسه، ج٣ ص٤٣.

(٢٤١) المقْرِيزي: السُّلُوك، ج٤ ص١٥٣؛ عَبْد الْبَاسِط بْن خَلِيل: نَيْلُ الْأَمَلِ، ج١ ق١ ص٢٢٧.

(٢٤٢) عَبْد الْبَاسِط بْن خَلِيل: الرَّوْضُ البَاسِمُ، ج٣ ص٢٢٨.

(٢٤٣) وَرَدَ ذِكْرُهَا فِي سِيَاق تَرْجَمَة أَحْمَد بْن مُحَمَّد بْن أَحْمَد بْن شَرَف القُضَاة، شِهَاب الدِّيْن الحُسَينيّ، المَنْفَلُوطيّ الشَّافِعيّ، الْمَعْرُوف بشَرَف القُضَاة أَيْضًا، والذي وُلِد بمَنْفَلُوط سَنَة ٨٢٨هـ/ ١٤٢٤م تَقْرِيبًا، وبِها نَشَأَ، وكَانَ جَدُّهُ مِن أَعْيَان رُؤَسَاء شُرَفَاء مَنْفَلُوط، وهو الَّذِي أَنْشَأ الْمَدْرَسَة المَذْكُورة (عَبْد الْبَاسِط بْن خَلِيل: المَجْمَع المُفَنَّن، ص٣٨٤).

(٢٤٤) عَبْد الْبَاسِط بْن خَلِيل: المَجْمَع المُفَنَّن، ص٣٨٤.

(٢٤٥) انْظُر مَثَلًا: السَّخَاوِي: وَجِيز الكَلَام، ج٣ ص٩١٥؛ عَبْد الْبَاسِط بْن خَلِيل: نَيْلُ الْأَمَلِ، ج٢ ق٨ ص٧١، ١٠٥؛ ابْـنُ إيَـاس: بَـدَائعُ الزُّهُـور، ج٣ ص٢٤١، ٣٥٧، ٣٦٠، ٣٧٠، ٣٧٨، وج٤ ص٣٣، ٢٨٩؛ حَمْزة عَبْد العَزِيز بَدْر: الآثَار الإِسْلاميَّةُ بمَنْفَلُوط، ص١١١.

(٢٤٦) ج٤ ص٢٠٤.

(٢٤٧) لَـمْ يَصْـعَدْ كَاشِـفُ الْقَبْضِ دَائِمًـا إلـى القَلْعَـة مِـن أَوَّلِ يَـوْمٍ يَصِـلُ فيـه إلـى الْقَـاهِرَة لِيُسَـلِّمَ علـى السُّلطَان. فقد ذَكَرَ ابْنُ إيَاس أنَّ السُّلطَان الْأَشْرَف قَانْصُوه الغُوريّ عِنْدَمَا بَلَغَهُ وُصُول طُومان بَاي – وهو عَائِد مِن الصَّعِيد– إلى الجِيْزَة، نَزَلَ إلى المِقْيَاس بجَزِيرَة الرَّوْضَةِ، وسَلَّمَ عَلَيهِ طُومان بَاي هنـاك، وفـي الْيَـوْمِ التَّـالِي صَـعَدَ إلـى القَلْعَـة، وأَخْلَـعَ عَلَيـهِ السُّلطَان خِلْعَـةً سَنِيَّةً، وهَذَا تَكرَّرَ حُدُوثُه فِي سَنَتَيْ ٩١٨ و٩٢٠هـ/ ١٥١٢ و١٥١٤م (بَدَائعُ الزُّهُور، ج٤ ص٢٨٠، ٣٨٨).

(٢٤٨) عَبْد الْبَاسِط بْن خَلِيل: الرَّوْضُ البَاسِمُ، ج٤ ص٢٠٤؛ ابْنُ إيَاس: المَصْدَر نَفْسه، ج٣ ص٤٣، وج٤ ص٢٩، ١٩١، ٢٨٠، ٣٨٨.

(٢٤٩) مَاير، ل. أ: المَلَابِس الْمَمْلُوكِيَّة، تَرجَمة صَالِح الشّيتي، الهَيْئَة المِصْريَّة العَامّة للكِتاب، الْقَاهِرَة، ١٩٧٢م، ص١٠٩.

(٢٥٠) ابْنُ الصَّيْرَفِيّ: إنْبَاء الهَصْر، ص١٦١. والكَنْبُوش المَذْكُور فِي المَتْن: أَدَاة على هَيْئَة الْبَرْذَعَة تُجْعَلُ على ظَهرِ الفَرَس وكَفْله، مِن فَوقِها غَاشِية مِن القُمَاش المُزَركَش (عُمَر عَبْد السَّلام تَدمُري فِـي تَحْقِيقـه للـرَّوض البَاسِـم فِـي حَـوَادث العُمُـر والتَّـراجِم، ج٤ ص٢٦٩، فِهْـرِس المُصـطلَحات والْأَلْقَـاب؛ مُحَمَّـد أَحْمَـد دهمَـان: مُعْجَـم الأَلفَـاظ التَّارِيخيَّـة فِـي العَصْـر الْمَمْلُـوكِيّ، دَار الفِكْـر المُعَاصِر– بَيْرُوت، ودَار الفِكْر– دِمَشْق، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص١٣١).

(٢٥١) بمَعْنى رِدَاء فَوْقَانيّ، وسُمِّي هكذا لأَنَّ الشَّخْص المَخْلُوع عَلَيهِ يَرْتَدِيه فَوْق ثِيَابِه. ويُمْكِن تَشْبِيهه بالجُبَّةِ الشَّائِع ارْتِداؤها فِي الّلبَاس الأَزْهَرِيّ فِي عَصْرِنا الحَالِي.

(٢٥٢) سُمِّي بالطِّرَازُ اليَلْبُغاويّ نِسْبَة إلى الأَمِير سَيْف الدِّيْن يَلْبُغا العُمَري الخَاصَّكي، أَتَابِك السُّلطَان الْأَشْرَف شَعْبَان بْن حُسَيْن، وهو عِبَارَة عن شَرِيطٍ عَرِيض مُذهَّب، خَاصّ بالكُمّ، أَدْخَلَهُ الأَمِير المَذْكُور فِي الطِّرَاز، فصَارَ يُعْرَف مِن بَعْدِه بالطِّرَاز اليَلْبُغاويّ (مَاير، ل. أ: المَلَابِس الْمَمْلُوكِيَّة، ص٦٣).

(٢٥٣) ابْنُ إيَاس: بَدَائعُ الزُّهُور، ج٤ ص٣٨٨، ٣٨٩.

(٢٥٤) ابْنُ الصَّيْرَفِيّ: إنْبَاء الهَصْر، ص١٦١؛ ابْنُ إيَاس: المَصْدَر نَفْسه، ج٤ ص ٣٨٨، ٣٨٩.

(٢٥٥) أَوْ كَمَا يَقُول ابْنُ إيَاس: " الْجَمُّ الْغَفِيرُ مِن الْعَسْكَرِ" (المَصْدَر نَفْسه، ج٤ ص٣٢٧).

(٢٥٦) ابْنُ إِيَاس: المَصْدَر نَفْسه، ج٤ ص٣٨٩.

(٢٥٧) الرَّوْضُ البَاسِمُ، ج٤ ص٢٠٤؛ ونَيْلُ الْأَمَلِ، ج٢ ق٦ ص٤٠٩.

(٢٥٨) هَذِهِ الكَلِمَةُ "دَقِيق" فِي نَيْلُ الْأَمَلِ (ج٢ ق٦ ص٤٠٩). والصَّوَاب "رَقِيق" كَمَا أَثْبَتناها؛ وَفْقًا لرَسْم حُرُوفِها فِي الرَّوْضُ البَاسِمُ (ج٤ ص٢٠٤)، وبَدَائعُ الزُّهُور، (ج٣ ص٤٣).

(٢٥٩) سَيْباي العَلائـيّ الإِيْنَالي، كَانَ خَاصَّكيا فِي أَيَّام أُسْتَاذه، ثُمَّ نُفِيَ إِلَى مَنْفَلُوط فِي أَيَّام الظَّاهِر خُشْقَدَم، وَبَقِيَ بِها طَوَال فَتْرَة حُكْمِه، ولمَّا تَسَلطَن الْأَشْرَف قَايِتْباي وَلَّاه الْكَشْفَ بمَنْفَلُوط بِعنَايَة الأَمِير يَشْبُك الدَّوَادَار الْكَبِير، فَقَامَ الْعَرَبُ فِي وَجْهِهِ وطَرَدُوه، لكِنَّه رَجَعَ إِلَيْهَا بَعْد القَبْض على مَحْمُود شَيْخ بَنِي عَدِيّ، وصَارَ مِن الأَثْرِيَاء وأَصْحَاب النُّفُوذ، ومَهَّدَ الْوَجْه الْقِبْلِيّ، وفي النِّهايَة قُتِلَ بمُخَيَّمِه على شَاطِئ النّيل قَرِيبًا مِن طِمَا، فِي شَهْرِ رَجَبٍ سَنَة ٨٨٥هـ/ سِبْتَمْبِر ١٤٨٠م، وَحُمِلَ جُثمانُه إِلَى أَسْيُوط فَدُفِنَ بِهَا. (السَّخَاوِي: الضَّوْءُ اللَّامِع، ج٣ ص٢٨٨).

(٢٦٠) المَخَازِيمُ جَمْعُ مَخْزُومَةٍ، وهي أَوْرَاق حِسَابيَّة يُحرِّرُها الكَاتِبُ أَوْ الجهْبَذُ عِنْدَ نِهايَة العَمَلِ الْيَوْمِيّ، يُقَيِّدُ فِيْهَا المُسْتخرَجَ والمَصْرُوفَ مِن الْأَمْوَال والغِلَال، ويَرْفَعُها على عِدَّةِ نُسَخٍ بِحَسَبِ المُسْتَرفِعين، ويُوقِّعُ عَلَيْهَا المَسؤولُون بالمُراجَعَةِ والمُوافَقَةِ (النُّوَيْرِي: نِهاية الأَرَب، ج٨ ص١٩٨).

(٢٦١) عَبْد الْبَاسِط بْن خَلِيل: الرَّوْضُ البَاسِمُ، ج٤ ص٢٠٤.

(٢٦٢) بَدَائعُ الزُّهُور، ج٣ ص١٩٦، ١٩٧.

(٢٦٣) ابْنُ إِيَاس: المَصْدَر نَفْسه، ج٤ ص٣٢٧.

(٢٦٤) الصَّفَدِيّ: أَعْيَانُ العَصْر، ج٥ ص ٣٨، ٣٩.

(٢٦٥) عَبْد الْبَاسِط بْن خَلِيل: الرَّوْضُ البَاسِمُ، ج٣ ص٢٢٨.

(٢٦٦) الصَّفَدِيّ: أَعْيَانُ العَصْر، ج٢ ص٤٦؛ ابْن حَجَر العَسْقَلانيّ: الدُّرَر الكَامِنة، ج١ ص٤٩٣.

ثبتُ المَصَادِر والمَراجِع

أَوّلاً: المَصَادِر

ابْنُ أجَا، شَمْس الدِّين مُحَمَّد بْن مَحْمُود بْن خَلِيل الحَلَبيّ (ت٨٨١هـ/١٤٧٦م)

– العِرَاكُ بَيْن الْمَمَالِيك والعُثْمَانِيين الأَتْرَاك (مَعَ رِحْلَة الأَمِير يَشْبك مِن مَهْدِي الدَّوَادَار)؛ صَنَعَهُ مُحَمَّد أَحْمَد دهمَان، ط ١، دَار الفِكْر، دِمَشْق، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

ابْنُ إيَاس، أَبُو البَرَكات مُحَمَّد بْن أَحْمَد (ت ٩٣٠هـ/١٥٢٣م)

– بَدَائِعُ الزُّهُور فِي وَقَائِع الدُّهُور، ٥ أَجْزَاء، تَحْقِيق مُحَمَّد مُصْطَفى، الهَيْئَة المِصْريَّة العَامّة للكِتاب، القَاهِرة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

بَيْبَرْس الدَّوَادَار، رُكْن الدِّيْن بَيْبَرْس بْن عَبْد الله المَنْصُوري النَّاصِري (ت٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م).

– زُبْدَةُ الفِكْرَة فِي تَارِيخ الهِجْرَة، عَصْر سَلاطِين الْمَمَالِيك، تَحْقِيق زُبَيدة مُحَمَّد عَطَا، عَيْن للدِّرَاسَات والبُحُوث الإِنْسَانيَّة والاجْتِمَاعيَّة، القَاهِرة، ٢٠٠١م.

ابْنُ جُبَيْر، أَبُو الحُسَين مُحَمَّد بْن أَحْمَد الكنَانيّ (ت٦١٤هـ/ ١٢١٧م).

– رِحْلَةُ ابْن جُبَيْر، دَار صَادِر، بَيْرُوت، ١٩٦٧م.

ابْن الجِيْعَان، شَرَف الدِّيْن أَبُو زَكريّا يَحْيى بْن شَاكِر بْن عَبْد الغَنِي (ت ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م).

– التُّحْفَةُ السَّنِيَّةُ بأَسْمَاءِ الْبِلَاد المِصْريَّة، مَكتَبة الكُلِيَّات الأَزْهَريَّة، القَاهِرة، ١٩٧٤م.

ابْن حَجَر العَسْقَلانيّ، شِهَاب الدّين أَبُو الفَضْل أَحْمَد بْن عليّ (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٩م):

– إنْبَاءُ الغُمر بأبْنَاء العُمر، ٤ أَجْزَاء، تَحْقِيق حَسَن حبشِي، المَجْلس الأَعلَى للشُّئون الإِسْلاميَّة، القَاهِرة، ١٤١٥–١٤١٩هـ/ ١٩٩٤– ١٩٩٨م.

– الدُّرَر الكَامِنة فِي أَعْيَان الْمِائَة الثَّامِنَة، ٤ أَجْزَاء، دَار الجِيْل، بَيْرُوت ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

ابْن خَلْدُون، عَبْد الرَّحْمَن بْن مُحَمَّد بْن مُحَمَّد الحَضْرَميَ الإِشْبيليّ (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٦م).

– تَارِيخ ابْن خَلْدُون المُسَمَّى "العِبَر وديْوان المُبْتدأ والخَبَر فِي تَارِيخ الْعَرَب والبَرْبَر ومَن عَاصَرَهم مِن ذَوي الشَّأن الأَكْبَر"، ج٥، تَحْقِيق خَليل شحَادة، دَار الفِكْر، بَيْرُوت، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

الْخَلِيلُ بْن أَحْمَد، أَبُو عَبْد الرَّحْمَن الْبَصْرِيُّ الفرَاهِيْدِيّ (ويقال الْفَرْهُودِيّ) النَّحْوِيّ (ت١٧٤هـ/٧٩٠م)

– العَين، ج٥، تَحْقِيق مَهْدِي المَخزُومي، وإِبْرَاهِيم السَامرائي، دَار ومَكْتَبة الهِلال (د. ت).

ابْن دُقْمَاق، صَارِم الدِّين إِبْرَاهِيم بْن مُحَمَّد بْن أيدَمُر العَلائي (ت ٨٠٩هـ/١٤٠٦م)

– الانْتصَارُ لوَاسِطَةِ عِقْدِ الأَمْصَار، جُزْءَان، قَابَلَهُ بأُصُولِه وأَعَدَّهُ لِلنَشْر أيْمَن فُؤَاد سَيِّد، مَكتَبة الْإِسْكَنْدَرِيَّة، مَرْكَز دِراسَات الحَضَارَة الإِسْلامِيَّة، الْإِسْكَنْدَرِيَّة، ٢٠٢١م.

الزَّبيدي، أَبُو الفَيْض مُحَمَّد بْن مُحَمَّد بْن عَبْد الرّزّاق الملقّب بمُرْتَضَى (ت١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م)

– تَاجُ العَرُوس مِنْ جَواهِر القَامُوس، ج١٩، تَحْقِيق عَبْد العَلِيم الطّحَاوِيّ، مَطبَعة حُكُومَة ٱلْكُوَيْت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

ابْنُ زُنْبُل الرَّمّال، شِهَاب الدِّين أَحْمَد بْن عَليّ المَحليّ (ت بعد ٩٧٥هـ/ ١٥٦٧م):

– تَارِيخ مِصْر المَحْرُوسَة (حَوادِث سَنَوات ٩٢٨–٩٧٥هـ)، "قِطعَة مِن كِتَاب انْفِصَال دَوْلَة الْأَوَان واتِّصَال دَوْلَة بَني عُثْمان"، تَحْقِيق مُحَمَّد جَمَال الدِّين الشُّوربَجي، دَار نُور حَوْرَان للدِّرَاسَات والنَّشر والتُّرَاث، دِمَشْق، ط١، ٢٠٢١م.

السّحمَاوِيّ، شَمْس الدِّين مُحَمَّد بْن بَدْر الدين مُحَمَّد الشَّافِعِي الْمُوقِّع (ت٨٦٨هـ/ ١٤٦٤م):

– الثَّغْرُ البَاسِمُ فِي صِنَاعة الكَاتِب والكَاتِم، الْمَعْرُوف باسْم (المَقْصد الرَّفيع المُنْشا الهَادي لدِيوَان الإِنْشَا للخَالِديّ)، جُزءان، تَحْقِيق أَشْرَف مُحَمَّد أَنَس، مَطبعة دَار الْكُتُب والوثائِق القَوميّة، القَاهِرة، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

السَّخَاوِي، شَمْس الدِّين مُحَمَّد بْن عَبْد الرَّحْمَن (ت ٩٠٢هـ/١٤٩٧م):

– الضَّوْءُ اللَّامِع لأَهْل القَرن التَّاسِع، الْأَجْزَاء (٢، ٣، ٦، ١٠، ١١)، دَار الجِيْل، بَيْرُوت، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

– وَجِيزُ الكَلَام فِي الذَّيْل عَلَى دُوَل الْإِسْلَام، الْجُزْءَان (٢، ٣)، تَحْقِيق بَشَّار عَوَّاد مَعْرُوف وآخرَيْن، مُؤسَّسة الرِّسَالة، بَيْرُوت، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

السُّيُوطِيّ، جَلَال الدِّين عَبْد الرَّحْمَن بْن أَبِي بَكْر جَمَال الدّين (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م)

– حُسْنُ المُحَاضَرَة فِي تَارِيخ مِصْر والقَاهِرة، ج٢، تَحْقِيق مُحَمَّد أَبُو الفَضْل إِبْرَاهِيم، دَار إِحْيَاء الكُتُب العَرَبِيَّة، عِيْسَى البَابي الحَلبي وَشُرَكَاهُ، مِصْر، ط١، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

ابْن شَاهِين الظَّاهِري، غَرْسُ الدِّين خَلِيل بْن شاهين الظَّاهِريّ الشَّيخيّ (ت٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م)

– زُبْدَة كَشْف المَمَالِك وبَيان الطُّرُق والمَسَالِك، اعْتَنَى بتَصحِيحه بولس راويس، المَطبعة الجُمهوريَّة، بَارِيس، ١٨٩٣م.

الصَّفَدِيّ، صَلاحُ الدِّيْن خَلِيل بْن أَيْبَك (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م):

– أَعْيَانُ العَصْر وأَعْوَانُ النَّصْر، الْأَجْزَاء (١، ٢، ٥)، حَقَّقَهُ عَليّ أَبُو زَيد، وآخَرُون، دَار الفِكْر المُعَاصِر– بَيْرُوت، ودَار الفِكْر – دِمَشْق، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

– الوَافِي بالْوَفَيَات، ج٢٤، تَحْقِيق أَحْمَد الأرنَاؤوط وتركي مُصْطفى، دَار إحيَاء التُّراث، بَيْرُوت، لبْنَان، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

ابْنُ الصَّيْرَفِيّ، نُور الدِّيْن عَليّ بْن دَاوُد بْن إبْرَاهِيم، الخَطِيب الْجَوْهَرِيّ (ت٩٠٠هـ/١٤٩٥م)

– إنْبَاء الهَصْر بأَنْبَاء العَصْر، تَحْقِيق حَسَن حَبشِي، الهَيْئَة المِصْريَّة العَامّة للكِتَاب، القَاهِرة، ٢٠٠٢م.

– نُزْهَةُ النُّفُوسِ والأَبْدانِ فِي تَوَارِيخِ الزَّمَان، الْأَجْزَاء (١– ٣)، تَحْقِيق حَسَن حَبشِي، مَطْبَعة دَار الكُتُب، القَاهِرة، ١٩٧٠– ١٩٩٤م.

ابْن طُولُون الدِمَشْقيّ، شَمْس الدِّين مُحَمَّد بْن عَليّ بْن خمَارويه الصَّالِحيّ (ت ٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م):

– مُفَاكَهةُ الخِلَّان فِي حَوَادِثِ الزَّمَان، وَضَعَ حَوَاشِيه خَلِيل المَنْصُور، دَار الْكُتُب العِلميّة، بَيْرُوت، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

ابْن ظَهِيرة، بُرْهَان الدِّيْن أَبُو إسْحَاق إبْرَاهِيم بْن عَلِيّ بْن مُحَمَّد (ت٨٩١هـ/١٤٨٦م):

– الْفَضَائِلُ البَاهِرة فِي مَحَاسِن مِصْرَ والقَاهِرة، تَحْقِيق مُصْطَفى السَّقّا وكَامِل المُهندِس، مَرْكَز تَحْقِيق التُّرَاث، القَاهِرة، ١٩٦٩م.

عَبْد الْبَاسِط بْن خَلِيل، زَيْن الدِّين بْن خَلِيل بْن شَاهِين الظَّاهِرِيّ (ت٩٢٠هـ/ ١٥١٤م):

– الرَّوْضُ البَاسِمُ فِي حَوَادِثِ العُمُر والتَّرَاجِم، ٤ أَجْزَاء، تَحْقِيق عُمَر عَبْد السَّلام تَدمُري، المَكتَبة العَصْريّة، صَيْدا– بَيْرُوت، ط١، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.

– المَجْمَعُ المُفَنَّنُ بِالمُعْجَمِ المُعَنْونِ، تَحْقِيق عَبْد الله مُحَمَّد الكندري، دَار البَشَائِر الإسْلاميَّة، بَيْرُوت، ط١، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

– نَيْلُ الْأَمَلِ فِي ذَيْلِ الدُّوَلِ، ج١ ق١، ج٢ ق٥– ٨، تَحْقِيق عُمَر عَبْد السَّلام تَدْمُري، المَكتَبة العَصْريّة للطِّباعة والنَّشر، بَيْرُوت – لبْنَان، ط١، ١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠٢م.

العُلَيمي، مُجِير الدِّيْن عَبْد الرَّحْمَن بْن مُحَمَّد بْن عَبْد الرَّحْمَن (ن٩٢٨هـ/ ١٥٢١م):

– الْأُنْسُ الجَلِيل بتَـارِيخ الْقُدْسِ والْخَلِيل، المُجَلَّد الثَّانِي، تَحْقِيق مَحْمُود عَودَة الكَعَابِنـة، مَكتَبـة دنديس، الْخَلِيل، فِلَسْطِين– عَمَّان، الأرْدُن، ط١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

– التَّارِيخ المُعْتَبَر فِي أَنْبَاءِ مَنْ غَبَر، ج٢، تَحْقِيق ودِرَاسة لَجْنة مُخْتصَّة مِن المُحَقِّين، مُؤسَّسَة دَار النَّوادِر، سُوريا – لبْنَان – الكُوَيت، ط١، ١٤٣١هـ/ ٢٠١١م.

العَيْني، بَدْر الدِّيْن أَبُو مُحَمَّد مَحْمُود بْن أَحْمَد بْن مُوسَى بْن أَحْمَد (ت٨٥٥هـ/ ١٤٥١م)

– عِقْدُ الجُمَانِ فِي تَارِيخِ أَهْلِ الزَّمَان– عَصْر سَلاطِين الْمَمَالِيك، الْجُزْءَان (٣، ٤)، حَقَّقَهُ ووَضَـعَ حَواشِيه مُحَمَّد مُحَمَّد أَمِين، مَطبعة دَار الْكُتُب والوثائِق القَوميّة، القَاهِرة، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

ابْنُ فَضْل الله العُمَري، شِهَاب الدِّيْن أَحْمَد بْن يَحْيى (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م):

– التَّعْرِيف بالمُصطلَح الشَّرِيف، تَحْقِيق مُحَمَّد حُسَيْن شَمْس الدِّين، دَار الْكُتُب العِلميّة، بَيْرُوت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

– مَسَالِكُ الأَبْصَار فِي مَمَالِكِ الأَمْصَار، ج٣، تَحْقِيق كَامِل سَلمَان الجبوري، دَار الْكُتُب العِلميّة، بَيْرُوت،١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

القَلْقَشَنْديّ، شِهَاب الدّين أَبُو العبّاس أَحْمَد بْن عَليّ (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م):

– صُبح الأَعْشَى، الْأَجْزَاء (١– ٥، ٧، ٨، ١٤)، طَبْعَة مُصَوَّرة عَن طَبْعِة دَار الْكُتُب الخِدِيويَة، الهَيْئَة العَامّة لقُصُور الثَّقافة، القَاهِرة ٢٠٠٤– ٢٠٠٦م.

– ضَـوْء الصُّبح المُسفِر وجَنـي الدَّوْح المُثمِر، تَصـحِيح وتَنقِيح مَحْمُود سَـلامَة، مَطبَعـة الوَاعِظ، مِصْر، ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م.

أَبُو المَحاسِن، جَمَال الدّين يُوسُف بْن تَغْري بِردْي (ت٨٧٤ هـ/١٤٧٠م):

– المَنْهَل الصَّـافِي والمُسْتَوفى بَعْدَ الوَافِي، الْجُزْءَان (٣، ٥)، تَحْقِيق مُحَمَّد مُحَمَّد أَمِين، ونَبِيل مُحَمَّد عَبْد العَزِيز، الهَيْئَة المِصْريَّة العَامّة للكِتَاب، القَاهِرة، ١٩٨٥، ١٩٨٨م.

– النُّجُوم الزَّاهِرة فِي مُلُوكِ مِصْر والقَاهِرة، الْجُزْءَان (٨، ٩)، بتَعْلِيقَات مُحَمَّد رَمْزي بك، مَطْبَعة دَار الكُتُب المِصْريَّة، القَـاهِرة، ١٣٥٨، ١٣٦١هـ/ ١٩٣٩، ١٩٤٢م، والْأَجْزَاء (١٣– ١٦) تَحْقِيق جَمَال مُحَمَّد محْرز وفَهِيم مُحَمَّد شلتُوت وإِبْرَاهِيم عَليَ طرخَان وجَمَال الدّين الشَّيّال، الهَيْئَة العَامّة للكتاب، القَاهِرة، ١٣٩٠– ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٠– ١٩٧٢م.

المقْرِيزي، تَقِيّ الدّين أَحْمَد بْن عليّ (ت ٨٤٥هـ/١٤٤٢م):
- البَيَانُ والإعْرَابُ عَمَّا بأَرْضِ مِصْرَ مِن الأَعْرَابِ، تَحْقِيق عَبْد النَّعِيم ضيْفي عُثْمَان، المَكتَبة الأَزْهَريّة للتُّرَاث، القَاهِرة، ٢٠٠٦م.
- دُرَر العُقُودِ الفَرِيدَة فِي تَراجِم الأَعْيَان المُفِيدَة، الْجُزْءَان (٢، ٣)، تَحْقِيق مَحْمُود الجَلِيلي، دَار الغَربِ الْإِسْلَاميّ، بَيْرُوت، ط ١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
- السُلُوك لمَعْرِفَة دُوَلِ الْمُلُوك، ٧ أَجْزَاء، تَحْقِيق مُحَمَّد عَبْد الْقَادِر عَطا، دَار الْكُتُب العِلميّة، بَيْرُوت، لبْنَان، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
- المُقَفَّى الْكَبِير، ج٢، تَحْقِيق مُحَمَّد اليَعلَاوي، دَار الغَرب الْإِسْلَامي، بَيْرُوت، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
- المَوَاعِظ والِاعْتِبَار فِي ذِكْر الخِطَط والآثَار، الْجُزْءَان (١، ٣)، تَحْقِيق أيْمَن فُؤَاد سَيّد، مُؤسَّسة الفُرْقَان للتُّرَاث الإِسْلَامي، لَنْدن ٢٠٠٢-٢٠٠٤م.

ابْن مَمّاتي، شَرَف الدِّيْن أَبُو المكارِم الأَسْعَد بْن مُهَذَّب (ت ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م):
- قَوانِين الدَّواوِين، تَحْقِيق عَزِيز سُوريَا ل عَطيّة، مَكتَبة مَدبُولي، القَاهِرة، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

المُنَاوي، زيْنُ الدِّين مُحَمَّد عبدُ الرُّؤوفِ بْن تاجِ العَارِفِينَ بْن عَليَ (ت ١٠٣١هـ/ ١٦٢٢م):
- التَّوقِيف عَلَى مهمَّات التَّعارِيف، عالَم الكُتُب، القَاهِرة، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

ابْن مَنْظُور، أَبُو الفَضْل مُحَمَّد بْن مَكْرَم بْن عَلِيّ (ت٧١١هـ/١٣١١م)
- لِسَان العَرب، الْجُزْءَان (٧، ٩)، دَار صَادِر، بَيْرُوت، ط٣، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

ابْنُ نَاظِر الْجَيش، تَقِيّ الدّين عَبْد الرَّحْمَن بْن مُحِبّ الدّين مُحَمَّد التَّمِيميَ الحَلَبيّ (٧٨٦هـ/ ١٣٨٤م):
- تَثْقِيف التَّعْرِيف بالمُصطلَح الشَّرِيف، تَحْقِيق رودلف فَسَلِي، المَعَهْد العِلمي الفرنْسِي للآثار الشَّرقيَّة، القَاهِرة، ١٩٨٧م.

النُّوَيْري، شِهَاب الدّين أَحْمَد بْن عَبْد الْوَهَّاب (ت ٧٣٣هـ/١٣٣٢م):
- نِهاية الأَرَب فِي فُنُون الأَدَب، ج٨ (تَحْقِيق عَليّ بوملحِمْ) وج٣١ (تَحْقِيق نَجِيب مُصْطَفى فَوَّاز وحكْمَت كشلِيْ فَوَّاز) وج٣٣ (تَحْقِيق إِبْرَاهِيم شَمْس الدِّين)، دَار الْكُتُب العِلميّة، بَيْرُوت، لبْنَان، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.

ثانِيًا: المَراجِع العَرَبيَّة والمُعرّبة

إبْرَاهِيم عَليَ طرخَان:

- النُّظُمُ الإقْطاعيَّة فِي الشَّرْق الأَوْسَط فِي العُصُور الوُسْطَى، دَار الْكَاتِب الْعَرَبِيّ للطِّباعَة والنَّشْر، القَاهِرة، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

أَحْمَد مُخْتار عُمَر:

- مُعْجَم اللُّغَة العَرَبيَّة المُعَاصرة، ج٣، عَالَم الكُتب، الْقَاهِرَة، ط١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

أَمِيْن مَحْمُود عَبْد الله:

- تَطَوُّر التَّقْسِيم الإدَاري فِي مِصْر العُليَا مُنْذُ فَجْر التَّارِيخ إلى نِهايَة القَرْن العِشرِيْن، مَطابِع جَامِعَة أَسْيُوط، أَسْيُوط، ١٩٩٦م.

حَسَن البَاشَا:

- الفُنُون الإسْلاميَّة والوَظائِف علَى الآثَار العَرَبيَّة، الْجُزْءَان (١، ٢)، دَار النَّهضَة العَرَبيَّة، الْقَاهِرَة، ١٩٦٦م.

خَيرُ الدّين الزِّرِكْلي:

- الأَعْلَام، "قَامُوس تَراجم لأَشْهَر الرِّجال والنِّسَاء مِنَ العَرَب والمُستعرِبين والمُستشرِقين"، ج٥، دَار العِلم للمَلايين، بَيْرُوت، لبْنَان، ط١٥، ٢٠٠٢م.

رَجَب عَبْد الجَّوَاد إبْرَاهِيم:

- المُعْجَمُ العَرَبيّ لأَسْمَاء المَلابِس فِي ضَوْء المعَاجِم والنُّصُوص المُوثَّقَة مِن الجَاهِليَّة حَتَّى العَصْر الحَدِيث، دَار الأفَاق العَرَبيَّة، القَاهِرَة، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

رِيْنهَارت دُوزِي:

- تَكْمِلَة المَعَاجِم العَرَبيَّة، ج٩، نقَلَه إلَى العَرَبيَّة وعلّق عَليه: جَمَال الخَيّاط، وزَارَة الثَّقَافَة والإعْلَام، دَار الشُّؤون الثَّقافيّة العَامّة، بَغْدَاد، ١٩٩٩م.

سَعيد عَبْد الفَتَّاح عَاشُور:

- العَصْر الْمَمَالِيكي فِي مِصْر والشَّام، دَار النَّهضَة العَرَبيَّة، الْقَاهِرَة، ط٢، ١٩٧٦م.
- المُجْتَمع المِصْري فِي عَصْر سَلاطِين الْمَمَالِيك، دَار النَّهضَة العَرَبيَّة، الْقَاهِرَة، ١٩٩٢م.

عَبْد الْمُنْعِم مَاجِد:

– نُظُمُ دَوْلَة سَلاطِين الْمَمَالِيك ورُسُومُهم فِي مِصْر، ج٢، مَكتَبة الأَنجلُو المِصْريَّة، القَاهِرة، ط٢، ١٩٧٩م.

عَليّ بَاشَا مُبَارَك بْن سُليمان الرَّوْحي (ت ١٣١١هـ/ ١٨٩٣م):

– الخِطَط التَّوْفِيقيَّة الْجَدِيدة لمِصْر والقَاهِرة ومُدُنِها وبِلادِها القَدِيمَة والشَّهِيرَة، ج١٥، المَطْبَعة الكُبْرَى الأَمِيريَّة، بُوْلَاق، الْقَاهِرَة، ط١، ١٣٠٥هـ/ ١٨٨٧م.

عُمَر طوُسُون:

– مَالِيَّة مِصْر مِن عَهْد الفَرَاعِنة إلى الآن، مَطْبَعة صَلَاح الدِّيْن الكُبْرَى، الْإِسْكَنْدَرِيَّة، ١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م.

قَاسِم عَبْده قَاسِم:

– عَصْر سَلاطِين الْمَمَالِيك، التَّارِيخ السِّيَاسِي والاِجتِمَاعي، عَيْن للدِّرَاسَات والبُحُوث الإِنْسَانيَّة والاجْتمَاعيَّة، القَاهِرة، ط١، ١٩٩٨م.

مَاير، ل. أ:

– المَلَابِس الْمَمْلُوكِيَّة، تَرجَمة صَالِح الشّيتي، الهَيْئَة المِصْريَّة العَامّة للكِتاب، الْقَاهِرَة، ١٩٧٢م.

مَجْدي عَبْد الرَّشِيد:

– القَرْيَـة المِصْـريَّة فِـي عَصْـر سَـلاطِين الْمَمَالِيك (٦٤٨– ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠– ١٥١٧م)، الهَيْئَـة المِصْريَّة العَامّة للكِتاب، الْقَاهِرَة، ١٩٩٩م.

مُحَمَّد أَحْمَد دهمَان:

– مُعْجَم الأَلْفَاظ التَّارِيخيَّة فِي العَصْر الْمَمْلُوكِيّ، دَار الفِكْر المُعَاصِر– بَيْرُوت، ودَار الفِكْر– دِمَشْق، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

مُحَمَّد أَحْمَد مُحَمَّد بِديوِي:

– مَظَاهِر الحَضَارة فِي مِصْر العُليَا فِي عَصْر سَلاطِين الدَّوْلَتين الأَيُوبِيّة والْمَمْلُوكِيَّة، مَطْبَعة الأَمَانة، الْقَاهِرَة ١٩٨٧م.

مُحَمَّد رَمْزِي:

– القَامُوْس الجُغْرَافِي للبِلَادِ المِصْريَّة مِن عَهْد قُدَمَاء المِصْريين إِلَى سَنَة ١٩٤٥م، القِسْم الثَّانِي؛ الْبِلَاد الحَاليّة، الهَيْئَة المِصْريَّة العَامّة للكِتاب، الْقَاهِرَة ١٩٩٤م.

مُحَمَّد قَنديل البقلي:

– التَّعْرِيف بمُصطلَحاتِ صُبح الأَعْشَى، نُشِر كمُلْحَق لكِتابِ صُبْح الأَعْشَى (ج١٥)، الهَيْئَة العَامَة لقُصُور الثَّقافَة، القَاهِرة، ٢٠٠٦م.

ثَالِثًا: الدَّوْرِيّاتُ والرَّسائِلُ العِلميّة

إيْمَان مُصْطَفى عَبْد العَظِيم:

– الْعُرْبَان فِي مِصْر بَيْن الاعْتِداء والوَلاء زَمَن الْمَمَالِيك الجَرَاكِسة (٧٨٤-٩٢٣هـ/ ١٣٨٢-١٥١٧م)، حَولِيَّات آدَاب عَيْن شَمْس، الْقَاهِرَة، المُجَلّد ٤٠ (أُكتُوبر – دِيسِمبِر ٢٠١٢م).

حَمْزة عَبْد العَزِيز بَدْر:

– الآثَار الإِسْلاميَّة بمَنْفَلُوط مِن الفَتْح العَرَبِيّ حَتَّى العَصْر العُثْمَانيّ، رِسَالة مَاجِستير غَيْر مَنْشُورة، كُلّيّة الآدَاب بسُوهَاج، جَامِعَة أَسْيُوط، ١٩٨٤م.

سَيِّد خَلِيل مُحَمَّد عَليّ:

– كُشَّاف الْجُسُور فِي مِصْر خِلال العَصْرين الأَيُّوبيّ والْمَمْلُوكِيّ (٥٦٧- ٩٢٣هـ/١١٧١-١٥١٧م)، مَجَلّة كُلّيّة الآدَاب بقِنَا، جَامِعَة جَنُوب الوَادِي، العَدَد ٥٦، يُوليو ٢٠٢٢م.

سَيِّد مَحْمُود مُحَمَّد عَبْد العَال:

– ثَورات الْعُرْبَان وأَثرُها فِي الاقْتصَاد المِصْريَ زَمَن سَلاطِين الْمَمَالِيك (٦٤٨- ٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)، مَجَلّة المُؤرِّخ العَرَبي يصْدرُها اتِّحَاد المُؤرِّخين العَرَب، القَاهِرة، العَدَد ٢٠، أُكتُوبر ٢٠١٢م.

مُحَمَّد سَالم عبَّاس الصَّعِيدي:

– الكُشُوفِيَّة فِي مِصْر عَصْر سَلاطِين الْمَمَالِيك وأَثرُها الاقْتصَادي، مَجَلّة كُلّيّة اللُّغَة العَرَبيَّة بالمَنصُورة، جَامِعَة الأَزْهَر، المُجَلّد ٤١، العَدَد ٢، ٢٠٢٢م.

مُحَمَّد سَيِّد كَامِل مُحَمَّد:

– الأسْتادَّار والأسْتادَّارية فِي مِصْر عَصْر سَلاطِين الْمَمَالِيك الجَرَاكِسة، مَجَلّة وَقَائِع تَارِيخِيَّة، مَرْكَز البُحُوث والدِّراسَات التَّارِيخِيَّة، كُلّيّة الآدَاب، جَامِعَة القَاهِرة، العَدَد ١٠، يُوليو ٢٠٠٨م.

مُحَمَّد السَّيد مُحَمَّد فَيَّاض:

– دَوْر المِهْمَندَار فِي مِصْر والشَّام فِي العَصْر الْمَمْلُوكِيّ (٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)، مَجَلّة كُلّيّة الآدَاب، جَامِعَة أُسْوَان، المُجَلّد ١٤، العَدَد ٢، أُكتُوبر ٢٠٢٣م.

رَابِعًا: المَرَاجِعُ والدَّوْرِيّاتُ الأَجْنبيَّةُ

Carl F. Petry:

– "The Politics of Insult: The Mamluk Sultanate's Response to Criminal Affronts", In: Mamluk studies review Vol. 15, (2011), Middle East Documentation Center, The University of Chicago, pp. (87- 115).

Quatremère, E. M:

– Histoire des sultans mamlouks, de l'Égypte, T.1, (Paris 1837).

Rapoport, Yossif:

– "The Rise of Provincial Arab Ruling Families in Mamluk Egypt, 1350–1517", In: Mamluk studies review Vol. 25, (2022), Middle East Documentation Center, The University of Chicago, pp. (127- 160).

Takenori Yoshimura:

– "The Role of Middle and Lower Rank Military Officers in Fourteenth-Century Mamluk Egypt: Establishment and Development of the Regional Administration Offices of w¯al¯I and ka¯shif", In: Studies on the History and Culture of the Mamluk Sultanate (1250–1517), V&R Unipress, Bonn University Press, 2021, pp. (299- 320).